عالم أفضل



❉ تصميم الغلاف: قسم الجرافيك بدار المنتدىٰ

❉ إخراج داخلي: قسم التنسيق بدار المنتدىٰ

❉ رقم الإيداع: **4547/ 2023**

❉ الترقيم الدولي: **978-977-86580-8-1**

المدير العام: الأستاذ عزيز عثمان

لمراسلة الدار: daralmuntadaa@gmail.com 

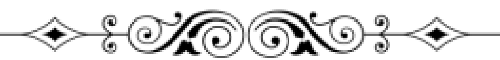
واتس آب: +20 100 518 6476 

فيسبوك: **دار المنتدى للنشر والتوزيع** 

كتاب

عالم أفضل

د. عبير بسيوني رضوان



"كلنا أهل الله – أولياء الله"



د. عبير بسيوني رضوان

النفس عزيزة على عزة العقل الذي يرفض الظلم. لكن العدل في هذه الدنيا نادر وأحيانا مستحيل. ولهذا تضطرب الموازين كلها، وتصبح مختلفة منقوصة في تقدير الناس أو تقدير الأعمال. ويتبقى دائمًا حكم الموقف الذي لا محيد عنه. والسمو بالنفس وعدم جدال الجاهلين. لهذا أصبح كل منا يعيش في عالم مختلف حتى لو كنا في نفس المكان والزمان. بل وأصبح البعض يعيش في أكثر من عالم في نفس الوقت ليستطيع أن يتحمل عالمه الواقع فيه. العالم الحقيقي في داخلنا، وليس في الوقائع التي تثور وتهدأ، وتنتهي لتبدأ أو يبدأ غيرها. هذه العوالم هي محاولة للاختفاء كنوع من انواع الامتثال والمرونة لتصاريف القدر! إنه امتثال استنكاري! لم نعد كلنا نحلم بأن نكون في عالم الإنسان، وانما أصبح البعض يتمنى أن ينتمي لعالم الحيوان لعله يكون عليه



أرحم وأرأف. العوالم في دنيانا هذه متعددة. وحياتنا إذا لم نكن نستطيع أن نحياها بما فيها من صعوبات نهرب منها إلى عالمنا الخاص. كل منا له عوالمه الخاصة وتأملاته. فأين من ذلك عالمك أنت وأنا وهو وهي! نجتمع معًا في بحثنا الدؤوب عن عالم أفضل! عالم تتوفر فيه ضمانات لاستمرار الحياة بشكلها الطبيعي والسوي. دنيا يسود فيها التفاؤل واليقين بأن كل ما هو قادم خير ورحمة ورضوان، ونستسلم فيها "استسلام العزة" إلى خالقنا صابرين لفضائله شاكرين ولربنا حامدين. عالم كلنا فيه أهل الله ومن أوليائه. ونقضي فيه أيامنا ببركة مخلصين القصد والنية نملأه بإرادة الحياة والسعادة والعطاء والعزيمة. إنها نفحات من التحام الأخلاق بالعبادات! مقتطفات من سيرة الهادي المهدي المصطفى صلوات الله عليه وسلامه. وقبضة من أثر الصالحين أصحاب العزة والأمان في الدنيا والآخرة، العابدين المحسنين الجابرين للخواطر الراضين بقضاء الله وقدره. كتابنا بحث عن عالم أفضل في رحاب ديننا السمح وربنا العظيم نتحسس فيه بعض من السنة النبوية الشريفة وسيرة افضل خلق الله. اهدف بالكتاب تقديم السلوى للمهموم وفرحة للمكروب بفتح آفاق عالم الفضيلة والاخلاق الحسنة الطيبة الذي نأمل أن نعيش فيه ونحلم أن نكون عليه.

د. عبير بسيوني رضوان

أكاديمية ودبلوماسية تروي الحكايات. سفيرة مصر السابقة لدى بوروندي. تخرجت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة. حصلت على ماجستير إدارة أعمال من جامعة ماسترخيت بهولندا، وعلى ماجستير ودكتوراه العلاقات



الدولية في موضوعات التدخل الإنساني والمنظمة العالمية للتجارة من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة، وعلى دبلومات متعددة في التجارة والتحكيم الدولي. لها باب دائم بمجلة "الدبلوماسي" التي تصدر عن وزارة الخارجية المصرية، ومقالات منشورة بالصحافة والدوريات العربية (كالسياسة الدولية، ومجلة الديمقراطية، والشروق، والحياة، والأهرام، واليوم السابع) وأجنبية (كمجلة هارفرد للعلاقات الدولية ومجلة السياسات العالمية ومجلة الدبلوماسية الأمريكية والمجلة الدولية لدراسات إدارة وسياسة التعليم). أستاذ زائر بهيئة تدريس جامعة نيويورك بتيرانا وجامعة جرين ويتش بلندن في برامج تدريس الموضوعات الإفريقية والدولية ونظريات الدبلوماسية المعاصرة، ولها عدد من القصص نشرت في ملحق أهرام الجمعة ومجلة الدبلوماسي والحياة واليوم السابع.



كتب للمؤلفة:

- اتفاقيات منظمة التجارة العالمية وتأثيرها على اقتصاديات الدول العربية، (القاهرة: مكتبة الآداب)، 2010.

- السياسات الخارجية الأمريكية في القرن الحادي والعشرين، (القاهرة: دار النهضة العربية)، 2011

- الأمن الإنساني وتطبيقاته في المحافل الدولية، مع إضاءة حول مكانته في الإسلام Human Security and its application in the international forums، with Special Focus on its Importance in Islam، (القاهرة: دار السلام)، 2011.

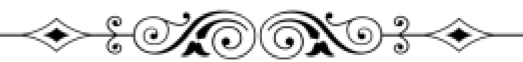
- أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية Identity Crises and the Revolution on the State in the absence of Citizenship and the rise of sectarian (القاهرة: دار السلام)، 2011.

- مصر ما بين الجغرافية السياسية وقامة مصر الدولية Egypt between the Geopolitics and Egypt's international stature، (القاهرة: مكتبة جزيرة الورد)، 2016.

- ثورات الأمم: ثورة مصر وانعكاساتها الاقليمية والعالمية، (القاهرة: الدار)، 2017.



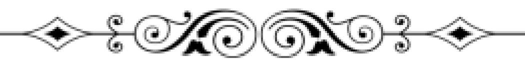
- حكايات الصباح: مجموعة قصصية (القاهرة: دار المعارف)، 2017.
- التجربة النرويجية: قصة شعب استثمر في الطبيعة (القاهرة: دار غراب)، 2018.
- حكايات إفريقي (القاهرة: مكتبة جزيرة الورد)، 2020.
- مجموعة انا الانسان؛ وقفات في حياتنا (القاهرة: كنوز)، 2020.
- إفريقيا التي أحببتها: ما بين كسر عبودية الماضي واحتكارات الحاضر، وتحرير المستقبل؛ (القاهرة: مكتبة جزيرة الورد)، 2021.



الفهرس



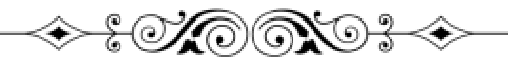
- فضيلة القوة
- أكرم الأخلاق كظم الغيظ، فيها صبر وعفو وإصلاح واحسان، وأجره على الله
- كف الأذى عن الناس صدقة، وترك السخرية بالناس أفضل عبادة
- الصمت، الفضيلة الغائبة، عبادة المحبين
- عابر سبيل
- سنظل نصلي ونغني حتى نعود إلى الحياة!
- ينسون أو يتذكرون. الله لا ينسانا
- الصبر: أعظم الطاعات وأفضل العبادات وأكبر النعم وواجب إنساني!
- يا حليم ارزقنا بعضا من حلمك نتقوت بها على هذا الزمان
- أولياء الله
- أهل الله: أهل البر والتقوى- أهل العفو والمغفرة- أهل القرآن
- أهل الشكر المتعبدون حقًا
- أهل المعروف وأهل المغفرة هم أهل الثناء والحمد
- أفضل المعروف إغاثة الملهوف
- الله حي وفرجه جاي.. نصر الله قريب



- طلب النصرة من الله عزة
- الاستقامة أكبر كرامة
- العدل اسم الله والقيمة المحورية في الإسلام وأساس التقدم
- العليم: سميع بصير
- المحسنين: أهل العفو والفضل
- لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
- وهم البحث عن الراحة ينتهي عند التسليم والابتسامة!
- الإرادة.. إذن من الله

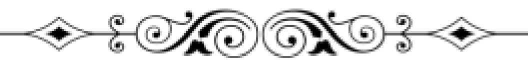
إرادة الفرد. إرادة التغيير
إرادة مجتمع ومسؤلية التعايش!
إرادة العلم.. إرادة المستقبل
إرادة الشفاء.. اليقين والتوكل
إرادة النجاح... إرادة مقاومة ونهوض!
إرادة العمل والإنجاز ما بين العطاء والعزيمة
إرادة السعادة.. إرادة حياة!

- المحاكمة: فانتزيا العدل في زمن المعارك



حمد الله نعمة من نعم الله

الحمد لله هي أول كلمة قالها سيدنا آدم عليه السلام أبو البشرية. الحمد لله هي أول كلمة في القرآن الكريم. ومن الحمد اشتق اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأمته الحمادون يَحمدون الله على السراء والضراء، وصلاة أمته مفتتحه بالحمد، وخير الدعاء قول "الحمد لله"، وأفضل الناس يوم القيامة هم الحامدون، وبالرغم من ذلك تمر علينا آيات الحمد والشكر في كلام الله عز جل دون أن يدرك البعض أن حمد ربنا في حد ذاته هو من نعم الله علينا. هو هداية وتفضيل وتمييز اختص به الله القليل من العباد دون غيرهم. فمن فضله علينا سبحانه وتعالى أن علمنا أن نحمده ونشكره على كرمه وفضله علينا. فأن يلهث القلب واللسان بحمد الله لهو آمان واطمئنان لا يشعر به إلا المؤمن الحق الواثق بيقين الإيمان، ولا يدركه إلا من يعرف معنى الحمد كنعمة، ويدرك أن الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية هو في حد ذاته فضل من الخالق يستحق الحمد. فالرب سبحانه حمده قد ملأ السماوات والأرض وما بينهما وما بعد ذلك فملأ العالم العلوي والسفلي والدنيا والآخرة، ووسع حمده ما وسع علمه، فله الحمد التام على جميع خلقه، ولا حكم يحكم إلا بحمده، ولا قامت السماوات والأرض إلا بحمده، ولا يتحول شيء من حال إلى حال إلا بحمده، ولا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار إلا بحمده، وأنزل كتابه بالحمد، وشرع دينه بالحمد، وأوجب ثوابه وعقابه بالحمد، فحمده من لوازم ذاته إذ يستحيل



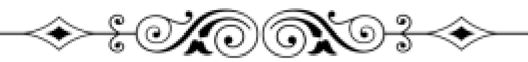
أن يكون إلا محمودا، فالحمد سبب الخلق وغايته، وكل ما خلقه وشرعه فهو متضمن للغايات الحميدة ولا بد من لوازمها ولوازم لوازمها.

الحمد هو الثناء بالجميل على واهب الجميل، وهو أخص من المدح وأعم من الشكر، ولا يجوز إلا لله، والله علم الذات الأقدس واجب الوجود ذي الجلال والجمال فهو رب العالمين، والرب هو السيد المالك المربي، والعالمين جمع عالم أريد به جميع الكائنات من كل ما سوى الله عز وجل ولذلك فهو من صفات الكمال لله تعالى. أما الشكرُ فهو الثناء عليه بإنعامه، فالشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة، فكلُّ شكرٍ حمدٌ، وليسَ كلُّ حمدٍ شكرًا، فهذا فرقُ ما بين الحمد والشكر، ولذلك جاز أن يَحْمِدَ الله تعالى نفسه، ولم يَجُزْ أن يشكرها. واختص الله نفسه بصفة الشكر فمن أسمائه الحسنى "الشاكر" و"الشكور"، وهو من الحمد من اسمائه "الحميد" و"المحمود"، وقرن الملك بالحمد (له الملك وله الحمد)، وقرن الحميد بالمجيد، والمجد والملك صفات كمال بمفردها كما هو الحمد واقترانهما كمال زائد، وجعلها في الصلاة على رسول الله تعالى وبختام التشهد بكل صلاة. قال عليه الصلاة والسلام: (الحمد رأس الشكر وما شكر الله من لم يحمده). وقرن الحميد بالعزيز (أي الذي ذل لعزته كل عزيز)، قال رسول الله في أولى غزواته "بدر الكبرى" (الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي نَصَرَ عَبْدَهُ وَأَعَزَّ دِينَهُ) ويوم فتح مكة (الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده). كما قرن الحكيم (المحكم والمتقن للأشياء) بالحميد، والولي (الناصر) بالحميد، والتسبيح (التنزيه) بالحمد. فأما الفرق بين الحمد والمدح، فهو أن الحمد لا يستحق إلا على فعلٍ حسن،



والمدح قد يكون على فعل وغير فعل، ويكون للحي والميت، فالمدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره، ومما يقال منه وفيه بالتسخير، فكلُّ حمدٍ مدحٌ وليْسَ كل مدحٍ حمدًا، ولهذا جاز أن يُمدح الله تعالى على صفته، بأنه عالم قادر، ولم يجز أن يحمد به، لأن العلم والقدرة من صفات ذاته، لا من صفات أفعاله، ويجوز أن يمدح ويحمد على صفته، بأنه خالق رازق لأن الخلق والرزق من صفات فعله لا من صفات ذاته .

وحمد الله تعالى من الأمور التي يجب على الإنسان أن يقوم بها في السراء والضراء، لأن من يحمد الله تعالى ويصبر على البلاء، فإن الله تعالى سوف يعوضه عن هذا الصبر، كذلك الحمد في النعم يجعل الله تعالى يبارك له في حياته. حمد الله تعالى وشكره على الفضائل والنعم يكون من خلال ذكر أفعال الله الحسنى وأسمائه مع الخضوع والتذلل والمحبة أثناء الحمد. وتعد كلمة "الحمد لله" التي يستخدمها المسلم من أفضل الكلمات الطيبة التي يعبر بها الإنسان عن حمد الله تعالى على جميع النعم، لأن هذه الكلمة تكون هي السبب في حدوث النعمة وهي السبب في زوال النقمة وزوال غضب الله تعالى. لكل ذلك فإن أفضل الذكر هو "الحمد لله رب العالمين". "الحمد لله" جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها من أنه تعالى: مالك لجميع الحمد من الخلق أو مستحق لأن يحمدوه، والله علم على المعبود بحق ﴿ربِّ العالمين﴾ أي مالك جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، وكل منها يُطلق عليه عالم. ومن الحمد اشتق اسم سيدنا رسول الله أحمدا محمدا ومحمودا عند أهل الأرض والسماء.



وفي كل أمورنا نكرر الحمد الله في أعمال يومنا حتى يبارك الله تعالى في هذا اليوم، يقول الإنسان الحمد الله عند الأكل وبعد الانتهاء من الأكل، عند النوم وعند الاستيقاظ من النوم، كذلك تقال عند العطاس، عند لبس ثوب جديد، عند الركوب، كذلك في الصلاة، عند البداية في أي دعاء، عند بداية أي خطبة أو رسالة، عند فقد الولد أو فقدان أحد الأقارب، عند رؤية ما يحب أو يكره وغيرها الكثير من المواضع التي يجب أن نحمد الله تعالى فيها. قال صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللِّسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرَّحمان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم).

وقد وردت كلمة الحمد لله في القرآن الكريم 23 مرة في 23 آية، جميعها تدل على عدل ربنا الحق العليم، والعدل القيمة الأخلاقية العليا في الإسلام ومنها تنبع جميع القيم المُثلي، ومن الآيات 6 مرات وردت فيهم كاملة "الحمد لله رب العالمين". ومن بينهم آيات الحمد ما نكرره كثيرا لأنها تصف حالة المؤمن وهو في نعمة الحمد لله. قال تعالى:

1-"وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن أن رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ*الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ" وتتحدث الآية عن حالة المؤمنين عند دخولهم الجنات الدائمة، وشعورهم بالأمان والسعادة والاطمئنان فقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا جميع ما يحزننا من أمور الدنيا أو الآخرة. أن رَبَّنا بفضله وكرمه لَغَفُورٌ شَكُورٌ أى الواسع المغفرة لعباده والكثير العطاء للمطيعين، حيث أعطاهم الخيرات الوفيرة في مقابل الأعمال القليلة.



2-"وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُفَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ" ومعنى الآية أن قال المؤمنون: الحمد لله الذي صدَقنا وعده الذي وعدَنا إياه على ألسنة رسله، وأورثَنا أرض الجنة نَنْزِل منها في أيِّ مكان شئنا، فنِعم ثواب المحسنين الذين اجتهدوا في طاعة ربهم.

3-"وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله". وهنا يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، حين أدخلوا الجنة، ورأوا ما أكرمهم الله به من كرامته، وما صرف عنهم من العذاب المهين الذي ابتلي به أهل النار بكفرهم بربهم، وتكذيبهم رسله. ومعنى الحمد لله الذي هدانا لهذا أي الحمد لله الذي وفقنا للعمل الذي أكسبنا هذا الذي نحن فيه من كرامة الله وفضله، وصرف عذابه. ومعنى "وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله" أي وما كنا لنرشد لذلك، لولا أن أرشدنا الله له ووفقنا بمنه وطوله.

4-"وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْوَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" ومعناها لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار، وأنه نزل كلا في المحل الذي يليق به ويصلح له وهو العادل في ذلك الذي لا يجور-أخبر عن ملائكته أنهم محدقون من حول عرشه المجيد، يسبحون بحمد ربهم، ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور، وقد فصل القضية، وقضى الأمر، وحكم بالعدل; ولهذا قال"وقضي بينهم" أي بين الخلائق بالحق. ثم قال "وقيل الحمد لله رب العالمين" أي ونطق الكون أجمعه - ناطقه وبهيمه - لله رب العالمين،



بالحمد في حكمه وعدله؛ ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد .

5-"وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين" ومعناها أن الله لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها، إلا كان حمده أفضل من نعمته، لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل.

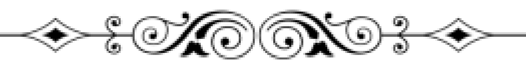
وهناك 14 آية أخرى وردت فيها كلمة الحمد أو بحمد في القرآن الكريم كتسبيح ودعاء لله رب العالمين مثل قوله تعالى: "وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إلا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ". وقوله: "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ". و"فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا".

كما تعددت الأحاديث التي ذكرها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حمد الله تعالى ومنها: (ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله، إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ). وكان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يصلِّي حتى تَرِمَ، أو تنتَفِخَ، قدَماه، فيُقالُ له، فيقولُ: (أفلا أكونُ عبدًا شَكورًا). وفي الحديث (إذا آتاكَ اللهُ مالًا فليُرَ عليكَ، فإنَّ اللهَ يحبُّ أن يَرَى أثرَه على عبدِه حَسَنًا، ولا يحبُّ البؤسَ ولا التباؤسَ) وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (التَّحدُّثُ بنعمةِ اللهِ شُكرٌ، وتركُها كُفرٌ، ومَن لا يشكرُ القَليلَ لا يَشكرُ الكثيرَ، ومَن لا يشكرُ النَّاسَ لا يشكرُ اللهَ، والجماعةُ برَكةٌ، والفُرقةُ عذابٌ). كما قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي



عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إلا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ البَلَاءِ كَائِنًا مَا كَانَ مَا عَاشَ".

وحمده تعالى أنواع: حمد على ربوبيته، وحمد على تفرده بها وحمد على الوهيته وتفرده، وحمد على نعمته، وحمد على منته، وحمد على حكمته، وحمد على عدله في خلقه، وحمد على غناه عن إيجاد الولد والشريك والولي من الذل، وحمد على كماله الذي لا يليق بغيره، فهو محمود على كل حال وفي كل أن ونفس وعلى كل ما فعل وكل ما شرع وعلى كل ما هو متصف به وعلى كل ما هو منزه عنه وعلى كل ما في الوجود من خير وشر ولذة وألم وعافية وبلاء فكما أن الملك كله له والقدرة كلها له والعزة كلها له والعلم كله له والجمال كله له والحمد كله له كما في الدعاء المأثور (اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله واليك يرجع الأمر كله وأنت أهل لئن تحمد). وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وبهذا كانت النهاية الرجوع إلى البداية بأسرار الحمد المكنونة.



الإسلام هو استسلام العزة

الإسلام له 4 معان مختلفة؛ أولها وهو أصل كلمة إسلام من السلام والإنابة إليه، ومدلول الإسلام على هذا هو "سلام الروح الشامل بتسليم حياة الإنسان جميعا إلى الله". ثانيهما «الإسلام بالمعنى العام»، وهذا يعني الاستسلام والانقياد لله عز وجل، ويسميه العلماء «خضوع العبودية بإرادة التكوين»، مستشهدا بالآية الكريمة التي تقول: «وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»، وهذا ينطبق على كل خلق الله، سواء مكلفين أم غير مكلفين، وحتى السماوات والأرض أسلمت لرب العالمين، وحتى الجبال فهى مسلمة لله رب العالمين بمعنى «خضوع العبودية بإرادة التكوين»، لأن المكون للكل هو الله. ثالثهما الإسلام بالمعنى الخاص، أي الدين الذي أنزله الله عز وجل على جميع الأنبياء، وهو التوحيد، وهذا يطلق عليه العلماء - خضوع العبادة بإرادة التكليف- أي أنه مكلف من الله. أما المعنى الرابع، فهو الإسلام بالمعنى الأخص، وهو الدين الذي ارتضاه الله عز وجل لخاتم الأنبياء والمرسلين، وهو الشريعة كما قال الله تعالى "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا".

إن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة دون اعتراض والخلوص من الشرك، هذا هو تعريف الإسلام شرعًا، ولذلك لا أحد أصوب طريقًا ولا أهدى سبيلًا ممن أسلم وجهه لله قال سبحانه "وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ



فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى"، وقال: "وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ".

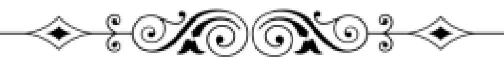
وهو في اللغة: الاستسلام والإذعان، وإذا جئنا إلى العبادة نجد أنها الخضوع والذل، والخضوع والذل والمحبة استسلام وإذعان، فالعبادة هي الإسلام نفسها، فيكون عبادة الاسلام بالاستسلام لله هي مقتضى الإيمان. ويكون معنى الاستسلام لله، هو الطاعة، الإخبات، الانقياد لله، قال تعالى: "فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا"؛ أي التسليم التام وهو معنى الحديث الصحيح: "رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينا، وبمحمدﷺ نبيًا"، ديننا الإسلام وعبادتنا الاستسلام والتسليم لأمر الله مع دفع البلاء بالأخذ بالاسباب، إلهًا واحدًا أعبده، لا أعبد غيره، رضيت بالله ربًا، يحكم فيّ، وفي أولادي، وفي أموالي، وفي أحوالي، ويأتي المصطفى صلوات الله عليه بالوحي، ويبلغنا فننفذ من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم.

بهذا المعنى، تكون أكبر قضية في حياة المسلمين معرفة الوسيلة والطريق والصراط لكيفية أن يستسلموا لله رب العالمين. وحيث أن لعنصر الانقياد والاستسلام في العبادة أكبر الأثر في تعميق الربط بين العابد وربه وتقويته. وليس من الاسلام أبدًا الاستسلام والانقياد للابتلاء؛ فعلى الإنسان أن حدَث له شيء فيه ضررٌ أن يدفعه آخِذًا بكُلِّ سببٍ مباح، مُحسِنًا الظن بربه الرحيم، وهو في الوقت نفسه مُؤمِنٌ أنه لا يجرى في مُلكه إلا ما شاء وحده لا شريك له "وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله".



أراد الله بالقضاء والقدر طمأنة الناس بأن مستقبلهم بيد الله لا بيد العباد، حتى لا تخضع الرقاب إلا إليه، ويعلم الناس أن العباد لا يمكنهم إنزال ضر بأحد إلا إذا كان هذا الضر قدرا مقضيَا. وأما المقضي والمقدور فهو أثر القضاء والقدر، وليس الرضا به واجبا على الإطلاق كما هو زعم من يعتقد أن الرضا بالقضاء هو الرضا بالمقضي.

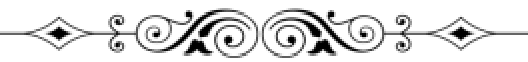
الإسلام الحق إذن استسلام المؤمن بعزة المعتز الذي له العزة والجبروت، فهو استسلام لا ذل له لأنه خالٍ من الزلل، هو تسليم يقوى من موقف المسلم لأمر الله، ويمده بأسباب الغلبة والتغلب على المعاضل والشدائد ثقة بالله أن يدفع عنه البلاء، وهو فهمنا لوعده جل علاه " مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ".



حسن الخلق أعظم الأعمال، والدين كله

خُلق

الخُلُق هو مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح. والأخلاق من ضمن الأمور الضرورية التي دعت اليها الأديان المختلفة، فكل الأديان دعت إلى الأخلاق السامية التي تبني إنسانية الإنسان فهي الضمانة الوحيدة لاستمرار الحياة بشكلها الطبيعي والسوي. والأخلاق السامية لها العديد من الأشكال المختلفة. ومن هنا يجب أن تنتبه إلى درسٍ مهم وهو: يجب أن يضيف لك الدين خُلق جديد، ومن ليس كذلك ففي التزامه مشكلة، لأن الإيمان يزيد وينقص فإن لم يكن يزيد فإنه ينقص.. فابحث دائمًا عن أثر الإيمان عليك.. لأن الله شكور فإذا لم تجد للعبادة بعدها سعادة وانشراح فأعلم أن هذا العمل مدخول. وفروع الخلق أو الأخلاق كثيرة يقسمها البعض إلى أربعة أنواع بناء على علاقاتها وأوجه صلاتها: الأول: ما يتعلق بوجوه الصلة القائمة بين الإنسان وخالقه والفضيلة الخلقية في حدود هذا القسم تفرض على الإنسان أنواعًا كثيرة من السلوك الأخلاقي: منها الإيمان بالله لأنه حق، ومنها الاعتراف له بكمال الصفات. والقسم الثاني: ما يتعلق بوجوه الصلة بين الإنسان وبين الناس الآخرين، وصور السلوك الأخلاقي الحميد وتشمل: الصدق، والأمانة، والعفة، والعدل، والإحسان، والعفو، وحسن



المعاشرة والرحمة بين الناس والرفق والعطف والتودد والتسامح والعطاء والإحسان والمروءة والشجاعة والكرم والمساواة ومراعاة خصوصية الغير والاحترام وترك سيئ الأخلاق من البذاءة والفحش وغيرها من مسالك الإيذاء. والقسم الثالث يتعلق بصلة الإنسان بنفسه مثل الحلم (سيد الأخلاق) والآناة والرضا والقناعة والحياء والصبر والتواضع والقوة (فهي فضيلة كالصبر)، والقسم الرابع يتصل بعلاقة الإنسان مع مخلوقات غير عاقلة.

الخُلق هو أبرز ما يراه الناسُ ويُدركونه من سائر الأعمال؛ فالناس لا يرون عقيدةَ الشخص؛ لأن محلَّها القلبُ، كما لا يرون كلَّ عباداته، لكنهم يرَوْن أخلاقه، ويتعاملون معه من خلالها؛ لذا فإنهم يُقيِّمون دِينَه بِناءً على تعامله، فيحكُمون على صحتِه من عدمه عن طريق خُلقه وسلوكه، لا عن طريق دعواه. وقد لخص رسولنا الكريم بعثته في مكارم الأخلاق حيث قال: "إنما بُعثت لأتممَ مكارم الأخلاق". فكأن مكارمَ الأخلاق بناء شيَّده الأنبياء، وبُعث النبي صلى الله عليه وسلم ليتم هذا البناء، فيكتمل صرح مكارم الأخلاق ببِعثته صلى الله عليه وسلم ولأن الدِّينَ بغير خُلق كمحكمة بغير قاضٍ، كذلك فإن الأخلاقَ بغير دِين عبث. فالدين كله منهج للأخلاق في شتى الروابط والصلات، والأخلاق هي الدين بكل ما فيه، وليست خارجة عنه أو زائدة عليه في قليل أو كثير.

من أهم أسس دين الإسلام هي مكارم الأخلاق التي أوصانا بها رسولنا الكريم، فوحدها الأخلاق هي التي تبعث الطمأنينة بين الناس والشعوب والعالم ككل. هي



أساس سلامة القلب والضمير حتى يلتئم الشمل وتهدأ النفوس من الخوف والصراعات والذعر بين الناس، وتعتبر هي الضامن للحياة بيننا البعض.

وإذا نظرنا إلى الدين الإسلامي لوجدناه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: عقيدة وتتمثل في توحيد الله تعالى، وشريعة: وتتمثل في العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها، وأخلاق: وتتمثل في الأخلاق الفاضلة في التعامل مع الآخرين. وكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة يمثل ثلث الإسلام، والأخلاق- التي يظن البعض أن لا علاقة لها بالدين – تعدل ثلث الإسلام، بل الإسلام كله لأن التوحيد والعبادات شرعت من أجل ترسيخ مكارم الأخلاق بين أفراد المجتمع، فالغاية والحكمة الجليلة من تشريع العبادات هي غرس الأخلاق الفاضة وتهذيب النفوس؛ كما هو معلوم في الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها.

ولأهمية الأخلاق أصبحت شعارًا للدين (الدين المعاملة) فلم يكن الدين صلاة ولا زكاة ولا صوم فحسب. وحث عليها المولى سبحانه وتعالى فوصف رسوله القدوة الحسنة في قوله تعالى: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" وحثت الآيات على الخلق الحسن -وهي لا تعد ولا تحصى- ومنها قوله تبارك وتعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون". وقال عزّ وجَلّ "وَسَارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ". وقال "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ". وفسر "فَاصْفَحِ

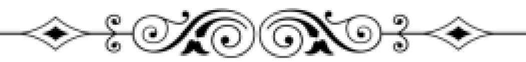


الصَّفْحَ الْجَمِيلَ". وأمر بها "اعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ". وقال: "فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ". ووعد بالثواب "وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا إلا تُحِبُّونَ أن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ". وقال "ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ". ونهى سبحانه وتعالى عن سيئ الأخلاق من البخل والتبذير والكبر والغش والتدليس والكذب والنميمة والحسد والحقد والرياء والغلظة والغضب والسخرية من الآخرين والانشغالَ بعيوب الناس عن عيوب النفس قال تعالى: (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ).

أما فَضْل حُسْنِ الْخُلُق فهو عظيم فهو أولا: خَيرُ الأُعطِياتِ. سُئلَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم: ما خَيْرُ ما أُعطِيَ الناسُ؟ فقال: خُلُقٌ حَسَنٌ. وسُئلَ عليه الصلاة والسلام: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ فقَال: تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ. وثانيا: يَرفَع صاحِبَه إلى الدّرَجات العُلى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ . وعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم قائلا "إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلّم" وقال صلى الله عليه وسلم (ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله). وأوضح: ″الإيمان بضع وسبعون شعبة – أو وستون شعبة – أعلاها ″ لا إله إلا الله ″، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق ″ويقول النبي صلى الله عليه وسلم "أتدرون ما المفلس، قالوا: من لا درهم له ولا متاع قال: المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا



وسفك دم هذا وأكل مال هذا فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، حتى إذا فنيت حسناته، أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار". أما الفضل الثالث فهو أنه بِحُسْنِ الْخُلُق تَثْقل الموازين. قال عليه الصلاة والسلام: مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ. ويكفي رابعًا: أن صاحِبَ الْخُلُق الْحَسَن مِن أحبّ الناس إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى عِبادِ الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن اللّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْس: أن فِيك لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللّهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ. وهو خامسًا يضمن القُرْب مِن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يومَ القيامة. قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أن مِنْ أَحَبِّكُمْ إلى وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا. والفضل السادس هو نيل خَيْريّ الدنيا والآخِرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ. وقَالَ "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا؛ وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا. " واكد "اِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا "وأوضح: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلاقًا: الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَلا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ . أما الفضل السابع فهو أن صاحِب الْخُلُق الْحَسَن تُصيبه دَعوة النبي صلى الله عليه وسلم لأن السّماحة وحُسن المعاملة من معالي الأخلاق ومَكارِمِها، فقد دَعَا عليه الصلاة والسلام بِالرّحْمَة لِمَن فَعَل ذلك. فقال: رَحِمَ اللّهُ رَجُلا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى. كما أنه ثامنًا يُعمّرُ الدّيَارَ، ويَزيدُ في الأعمارِ . قال تعالى: "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ



بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ". وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم" إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الأَعْمَارِ. الفضل التاسع أنه يُباعِد مِن غَضَب الله فقد سؤل رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَاذَا يُبَاعِدُنِي مِنْ غَضَبِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَال: لا تَغْضَبْ. وقال النّبي -صلى الله عليه وسلم: (الرَّاحمونَ يرحمُهُمُ الرَّحمنُ.

ارحَموا من في الأرضِ يرحَمْكم من في السَّماء). والفضل العاشر أن حسن الخلق كما يوجب الجنة فكذلك يحرم صاحبه على النار. قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إلا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أو بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟! عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ". وهذا الثواب سواء كان في حُسن الخلق مع الناس أو مع عالم الحيوانات والكلاب والقطط؛ فإحسانك إلى البهائم يكون سببًا في غفران ذنوبك ودخولك الجنة. ففي الحديث "بَيْنمَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ؛ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ. فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟! قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ". فبحسن خلق هذا الرجل وعطفه ورحمته بالكلب غفر الله له ودخل الجنة. وعلى النقيض من ذلك، انظر إلى عاقبة سوء الخلق في الحديث الشريف "عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ". فما بالكم بمن حسَّن خلقه مع بني البشر؟!



والسؤال كيف نصل إلى حسن الخُلق؟

إن الخير معقود بالخُلق الحسن، والخير كل الخير في عصمة النفوس وحقن الدماء وإقرار الأمن وحماية الصلات التي تقوم على المودة والمعروف.

الأخلاق قابلة للتغيير، فلو كانت الأخلاق غير قابلة للتغيير لما كان لتنزيل الشرع معنى، وما كان للوصايا والمواعظ والتذكرة أي فائدة ترجى. وقوام الأمم بالأخلاق وضياعها بفقدانها لأخلاقها، قال الشاعر أحمد شوقي: إنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت*فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا. وقال: صَلاحُ أَمْرِكَ لِلأَخْلاقِ مَرْجِعُهُ*فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالأَخْلاقِ تَسْتَقِمِ.

وإن من مكارم الأخلاق السكوت وعدم الرد على الجاهل؛ لأنك لو رددت على من سبك أو شتمك وخاصمك فقد فتحت بابا من أبواب الشر، وكما قال عيسى عليه السلام: كل واحد ينفق مما عنده!

ومفتاح مكارم الأخلاق علو الهمة: فعلو الهمة يستلزم الجد، ونشدان المعالي، والترفُّع عن الدنايا ومحقرات الأمور، والهمة العالية لا تزال بصاحبها تزجُره عن مواقف الذل، واكتساب الرذائل، وحرمان الفضائل، حتى ترفَعَه من أدنى دركات الحضيض إلى أعلى مقامات المجد والسُّؤدَد؛ يقول العارفون: "فمن علَتْ همتُه، وخشعت نفسه، اتصف بكل خُلق جميل، ومن دنت همتُه، وطغت نفسُه، اتصف بكل خُلق رذيل. والنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها، وأفضلها، وأحمدها عاقبة،



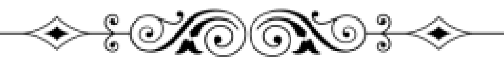
والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات، وتقعُ عليها كما يقع الذبابُ على الأقذار؛ فالنفوس العليَّة لا ترضى بالظُّلم، ولا بالفواحش، ولا بالسرقة ولا بالخيانة؛ لأنها أكبرُ من ذلك وأجلُّ، والنفوس المَهِينة الحقيرة الخسيسة بالضد من ذلك. فإذا عكف المرءُ على اقتناء الفضائل، وألزم نفسه على التخلق بالمحاسن، ولم يرضَ من منقبة إلا بأعلاها، لم يقفْ عند فضيلة إلا وطلب الزيادة عليها ارتفع في درجات الأخلاق.

وسيدنا محمد عليه أذكى الصلوات عليه والسلام هو تمام الخُلق الحسن، ولا سبيل ولا منهج حياتي أفضل من تتبع سيرته لنتحلى بأحسن الأخلاق، قال تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة". ولا مناص من تمرين النفس على فعل الأخلاق الحسنة بالتطبيق العملي. ومجاهدة النفس على ترك الأخلاق السيئة.

وعندما تعم مكارم الأخلاق يتسع الأمن والأمان بين الأشخاص والشعوب، وتنهض الأوطان، ويظهر الصدق والمحبة بين الأفراد والشعوب والرقي الحضاري، وينتشر التسامح بين الأفراد حتى يعم الخير والبركة.

اللهم إنا نعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرفُ عنا سيئها إلا أنت.



نور الله أعظم عطية

للأسف يغيب عن معظم البشرية الإحساس والتقدير لنعم الله علينا. بل يسيئ الكثيرين لفهم المعنى الحقيقي لأفضال الله وعطاياه العديدة لنا. ويتجاهل الأغلبية أن أغلى النعم التي منحنا اياها الله هي نور البصيرة. ولا نتحدث هنا عن نور البصر-مع أنه من أعظم عطايا ربنا للبشرية- فالعين مهما رأت لا تبصر كما ترى القلوب المنيرة بنور الله، وهذه هي البصيرة أو العقل المستنير. وهي نعمة لا يهبها الله عز وجل إلا للقليل من الناس. فالفكر والمعرفة كما أنهم ينيرون العقل إلا أنهم يزيدون من الحيرة والقلق، فالعقل البشري المحدود لا يتجاوز سقف معين. ووحده الإيمان بالله وغيبياته هو ما يُثبت المرء ويحميه من جنون المعرفة! هكذا نور الله الذي أنزله على عباده سكينة ورحمة وهداية وعلم. فعلى الأرض تُطرح أسرار إلهية لا حصر لها لمن له عين وبصيرة. قال الله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}. ونور الله عز وجل وكتابه هما منارات البصيرة المفتاحية التي أتت كمنة وفضل وكرم من الله تبارك وتعالى حيث قال: ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ وقال تعالى: «أَوَ مَن كَانَ مَيتًا فَأَحيَينَاهُ وَجَعَلنَا لَهُ نُورًا يَمشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيسَ بِخَارِجٍ, مِّنهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ». أي أن البصيرة هي النور الإلهي الذي أن أتى لأحدهم أنار له ما لا يمكن لعبد عادي أن يراه، وهي البينة التي يهتدي الإنسان



بسببها وهي آلة التمييز بين الحق و الباطل، لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل الله عز وجل دائمًا أن يلهمه البصيرة.

البصيرة في اللغة تعني «اكتساب المعرفة»، يُسمى أيضًا علم الغيب أو الرؤية المستقبلية، وهو قدرة روحانية مزعومة على رؤية الأحداث المستقبلية. وهي مثل غيرها من الظواهر الخارقة للطبيعة، لا يوجد دليل علمي مقبول على أن التبصر حقيقي، ويعتبر من العلوم الزائفة على نطاق واسع. يبدو أيضًا أن التبصر يتعدى على مبدأ السببية، الذي يقضي أن التأثير لا يمكن أن يحدث قبل سببه. وقد عُرف التبصر على نطاق واسع عبر التاريخ. رغم عدم وجود أدلة علمية، يعتقد الكثير من الناس أنه حقيقي؛ ويُطرح ضمن علم التخاطر فيما وراء علم النفس. والتبصر هو التمهُّل والأناة في تبين الأمور وكشفها، والسير في علاجها على بصيرة ورشد. وفي المعجم البَصيرة اسم، وجمعها بَصائرُ ومعناها: قوة الإدراك والفطنة أو العلم والخِبْرة أو الحُجَّة أو العِبْرَة أو العقل أو النظر النافِذ إلى خفايا الأشياء، ويقال ذو بَصيرة وبُعْد نظر، ونافذ البصيرة: ذو ذهن وعقل ثاقب، ذكيّ. وأهل البصائر: أهل الشَّجاعة والقوّة، أما أهل البصيرة: ذوو الخبرة. والفرق كبير بين البصر والبصيرة بالرغم من وحدة المصدرة، فالبصر للآفاق والبصيرة للأعماق. ونظر القلب أصدق من نظر العين.

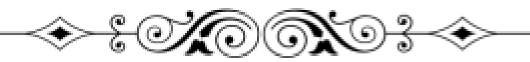
إذن البصيرة نور في قلب الإنسان المؤمن ورؤية ثاقبة ونافذة تصل إلى بواطن الأمور وحقائقها ولا تتوقف عند الظواهر التي قد لا تعكس الحقائق و البواطن، بل قد تكون الظواهر مخالفة تمامًا للبواطن والحقائق، فكم من الناس من له المقدرة على



رؤية الأشياء بشكلها الظاهري وألوانها الظاهرية لكنهم لا يهتدون إلى حقيقتها الباطنية كما لا يتمكنون من تشخيص خواص هذه الأشياء وتأثيراتها الإيجابية أو السلبية أبدًا لأنهم يفتقدون الآليات التي تمكنهم من ذلك. فالبصيرة موهبة إلهيّة ومَلَكَةٌ تحصل لدى الإنسان البصير بفعل معنوى وتوفيق رباني.

وقد وردت آيات قرآنية عديدة في البصيرة والبصائر تقارب العشرون، فجاءت في وصف الكتب السماوية بأنها بصائر وهدى ورحمة في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم. كما جاءت بمعنى دلائل وبراهين للناس وحجة عليهم، وحملت معنى البصر القلبي للحق وليست البصر العيني. والإنسان هو الذي يختار في أن يبصر أو يعمى عن رؤية الحق ونذكر منها قوله تعالي: "بل الإنسان على نفسه بصيرة"، "فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها، وما أنا عليكم بحفيظ".

وهكذا نجد الوعد الإلهي بنور البصيرة ما دام الإنسان اتخذ الطريق الصحيح، لأن الله عز وجل يمنحها لهؤلاء الذين لا يألون جهدًا في البحث عن الله وذاته، ويحبون الله لذاته، ويقفون بين يديه بالليل والنهار، لا يريدون منه سوى الرضا والقبول. فمؤكد مثل هؤلاء سيأتي يومًا ويصلون إلى ما يتمنون، لأن الله لا يمكن أبدًا أن يضيع أجر من أحسن عملًا. وحقيقة البصيرة تكون بما يكون به اتضاح الحق، وإدراك الأمور على حقائقها، فهي اسمٌ للإدراك التام الحاصل في القلب، فهي عين القلب، كما أن البصر عين البدن. وفقط أصحاب البصيرة هم من يُنسب إليهم الكمال الحقيقي ممن أُعطوا قوةً في العبادة، وبصرًا في الدين، فالله -تبارك وتعالى- يقول: "وَاذْكُرْ عِبَادَنَا



إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ". ولهذا قالوا أن البصيرة: هي الأمر الكاشف الذي يعرف الإنسان به ربه معرفةً صحيحة، ويعرف به الطريق الموصل إليه، وهو ما شرعه على ألسُن رسلهِ -عليهم الصلاة والسلام - وبه يعرف الدار التي يصير الناس إليها. ومن هنا كانت –على سبيل المثال لا الحصر- الاستخارة واستفتاء القلب. فالإنسان العادي يعتمد لا شك على نور عينيه ليرى، وأحيانًا ما يشعر بأن قلبه لا يرتاح لأمر ما، وهنا عليه التوقف واللجوء إلى الله عز وجل للاستخارة، لأن القلب أحيانًا ما يتفوق على العين لأنه قد يرى بنور الله وهي البصيرة، بينما إذا غابت عنا هذه البصيرة، فلنعلم أن ذنوبنا أكبر من إدراك رحمات الله عز وجل بنا. فمن عقوبات المعاصي أنها تُعمي بصيرة القلب، وتطمس نوره، وتسد طرق العلم، وتحجب مواد الهداية، قال تعالى: «وَاعلَمُوا أن اللَّهَ يَحُولُ بَينَ المَرءِ وَقَلبِهِ وَأَنَّهُ إلَيهِ تُحشَرُونَ» وهي صورة تستوجب اليقظة الدائمة والحذر الدائم والاحتياط الدائم.

ولا سبيل إلى معرفة البصائر الربانية المنزلة رحمة من ربنا في كتابه العظيم إلا بتقوية الروابط بيننا وبين كتاب الله، وكلما ازداد الشوق والتعلق والمحبة لكتاب الله يبدأ نور القرآن العظيم يدخل إلى ثنايا النفس والروح تشرق به الروح، ويشرق به العقل والفكر والحسّ فيبدأ فعلًا بطريقة عفوية جدًا يرى الهدى، يرى النور، يرى الخير، يتبصّر فيما حوله، يتبصّر في كل المسائل والأشياء والمواقف التي تمر به وهو في ذلك كله لا يستغني عن الدعاء لله عز وجلّ والتوجه إليه في كتابه الكريم ليهديه سبل الرشاد.



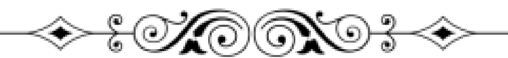
ويقول العلماء البصيرة على ثلاث درجات، من استكملها فقد استكمل البصيرة؛ بصيرة في الأسماء والصفات، وبصيرة في الأمر والنهي، وبصيرة في الوعد والوعيد. أما البصيرة في الأسماء فهي لإدراك حقيقة الذات الإلهية أي إلا يتأثر إيمانك بشبهة تعارض ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله، فقلبك يشهد أن الله سبحانه وتعالى مستويًا على عرشه، متكلمًا بأمره ونهيه، بصيرًا بحركات العالمين، علويه وسفليه، وأشخاصه وذواته، سميعًا لأصواتهم، رقيبًا على ضمائرهم وأسرارهم. والأمر كله بتدبيره، نازلٌ من عنده وصاعدٌ إليه، وأملاكه بين يديه، تنفذ أوامره في كل عوامه، موصوفًا بصفات الكمال، منعوتًا بنعوت الجلال، منزهًا عن العيوب والنقائص والمثال، فهو كما وصف نفسه في كتابه، وفوق ما يصفه به خلقه, حي لا يموت، قيوم لا ينام، عليم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. هذه رؤية القلب، المؤمن الصادق بنور البصيرة الذي يقذفه الله في قلبه يرى أسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى، خلق كل شيء فقدره تقديرًا، هذه رؤية لا تقدر بثمن، هذه الرؤية تجعلك تسمو، تجعلك تبقى على منهج الله المستقيم. أما مرتبة في الأمر والنهي فهي أن المؤمن الذي أُلقي في قلبه نور، فرأى به الحق حقًا والباطل باطلًا، لا يتأثر لا بتقاليد ولا بعادات ولا بأهواء لتصل إلى المرتبة الثالثة وهي البصيرة في الوعد والوعيد فكل نفس بما كسبت رهينة أي إدراك أن كل إنسان سيحاسب على عمله، كل إنسان سيدفع ثمن أخطائه، وكل إنسان سيقبض ثمن أعماله الصالحة بأعلى سعر، فالبصيرة إيمان يبعث على الاطمئنان بأنه عاجلًا وآجلًا، في دار العمل ودار الجزاء، سيلقى كل ثمار عمله.



وهكذا فالبصيرة فيها ما يخلصك من الحيرة فتهدي للحق المبين وتفجر المعرفة التي هي روح العلم ولبه، وتنبت الفراسة الصادقة بنور يقذفه الله في القلب يفرق به بين الحق والباطل. قال صلى الله عليه وسلم: "اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله عز وجل ثم قرأ "إن في ذلك لآيات للمتوسمين".

وفي عصر السرعة انعدم التبصر المرتبط بالتمهل والآناة، فاليوم أصبحت البصيرة وما تؤدي إليه من شدة الإدراك مرض (كما يقول دوستويفسكي)، أو أنها خطر أكثر من المخدرات باعتباره "إفراط في الوعي" (كما يقول كافكا)، أو ما يسميها البعض "لعنة المعرفة"، وفي ذلك قال المتنبي: "ذو العقل يشقى في النعيم بعقله* وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم".

نعم هذه هي حالة الضياع التي يشعر بها إنسان هذا الزمان، فإذا غاب عن الإنسان الفهم والبصيرة صار كل ما هو مؤقت ليس إلا نوعًا من الوهم، ويكفر به. أما إذا رأى ببصيرته فحينئذ سيؤمن بما هو باقٍ ودائم. وقديما قالوا: من أعظم ما وهب الله للإنسان، أن يُرزق بصيرة تعرف المعروف وتنكر المنكر. لا تلمس الحق البسيط الجلي إلا النفس البصيرة الرفيعة.



ما الإيمان إذا لم يكن حسن الظن بالله!

يقول العارفون بالله: ظني فيك جميل يا سندي. قال رسول الله: (حسنُ الظنِّ مِن حسنِ العبادةِ). فإن أحسن العبد الظن بالله فإن الله سيُصدِق ظنّه، قال المصطفى في الحديث القدسي: (قال اللهُ جلَّ وعلا: أنا عندَ ظنِّ عبدي بي؛ إن ظنَّ خيرًا فله، وإنْ ظنَّ شرًّا فله).

حسن الظن بالله هو أصل التوحيد وقوة اليقين بما وعد الله تعالى عباده من سعة كرمه ورحمته، ورجاء حصول ذلك، وهو ما يحملنا على حسن العمل نفسه إيمانا بربنا أن يثيبنا على أعمالنا ويتقبلها منا، فكلما حسن ظن العبد بربه حسن عمله. وإلا فحسن الظن مع اتباع الهوى عجز، فعن النبي قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني». فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة، وأما مع انعقاد أسباب الهلاك فيكون مستند حسن الظن على سعة مغفرة الله ورحمته، وعفوه، وجوده، وأن رحمته سبقت غضبه، وأنه لا تنفعه العقوبة، ولا يضره العفو. وعلى أن ينفع حسن الظن من تاب وندم وأقلع، وبدل السيئة بالحسنة، واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة. وإلا اختلط بالغرور، فالمؤمن العالم بدينه يضع الرجاء مواضعه، والجاهل المغتر يضعه في غير مواضعه.



وقد ذكر حسن الظن بالله في القرآن الكريم والسُنّة النبويّة في الكثير من المواضع مما يدلُّ على أهميّتها ومكانته، لما فيه من مبلغ صدق الإيمان وحسن العبادة وإخلاص العقيدة بأن الدعاء والرجاء إلى الله ووعده، فهو وحده المُتصرّف بالأمور، وأنه القادر على دفع البلاء عن عباده، وهو القادر على قضاء حوائجهم ومسائلهم على تعدُّدها، ومن هنا كان حُسن الظن بالله والتوكّل عليه، والاستعانة به في وقت البلاء والمصائب هو عبادة في حد ذاته لها ثوابها وأجرها العظيم.

قيل لأعرابي: إنّك ميّت. فقال: ثمّ إلى أين؟ قيل له: إلى الله تعالى. قال: ما وجدنا الخير إلا من الله تعالى أفنخشى لقاءه.

سُئل أحد السّلف: هل تعرف رجلا مستجاب الدّعوة؟ قال: لا ولكنّي أعرف من يستجيب الدّعوة.

سأل رجل ابن عبّاس: من يحاسب النّاس يوم القيامة؟ قال: الله. قال الرّجل: نجونا وربّ الكعبة.

احتضر شابّ فبكت أمّه فقال: يا أمّ لو أن حسابي يكون بين يديك فما تفعلين بي؟ قالت: أرحمك. فقال: الله أرحم بي منك.

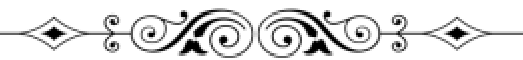


يقول سبحانه وتعالى في وصف يوم الحشر: {وخشعت الأصوات للرّحمٰن}، لم يقل {للجبّار} رغم أنّه موطن العظمة والجبروت في يوم الحشر! بل قال: {للرّحمٰن} جاء بالرّحمة في مقام تنخلع فيه القلوب.

وأحسن بالكريم الظنَّ دوما.. تجد من لطفه العجب العجابا

سر السعادة حسن ظنك بالذي.. خلق الحياة وقسم الأرزاقا

اللهم ارزقنا حسن الظن بك، وتوقُّع كل الجميل منك، وصدق التوكل عليك، ولذة الافتقار لك.



التوكل قرين الإيمان

التوكل على الله هو عبادة المؤمنين الصادقين هو عبادة عظيمة جامعة، أمر الله أنبياءه ورسله بالتوكل عليه، فهو يعتبر عبادة قلبيه، فيه الإقرار بالربوبية والألوهية فهو أول دليلٍ على أنه وحده -سبحانه- المستحق أن يُفرد بالتوكل، وذكر الله سبحانه وتعالى التوكّل عليه في كتابه العزيز أكثر من سبعين مرة بلفظ التوكل واشتقاقاتها. وأمر الله تعالى عباده بالتوكل عليه، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ وقال: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا أن رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، و﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرًا﴾، و﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾، كما قال سبحانه وتعالى ﴿وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين﴾.

التوكل على الله خلق عظيم من أخلاق الإسلام، وهو من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين، وهو نظام التوحيد وجماع الأمر، كما أنه نصف الدين، لأن الدين: استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة، ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها. وهو مفتاح كل خير لأنه أعلى مقامات التوحيد وعبادة من أفضل العبادات. والتوكل فريضة يجب إخلاصها لله تعالى وعقيدة إسلامية وهو من شروط الايمان، وبهذا فرض الله علي عباده التوكل؛ فقال: (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)، فهذا



دليلٌ على أن صحة الإسلام والإيمان متوقفة على التوكل؛ فالتوكل على غير الله يُعدّ شركًا، وقد جمع الله في الآيات القرآنية بين التوكل والعبادة، والتوكل والإيمان، والتوكل والإسلام، والتوكل والتقوى، والتوكل والهداية، وكل ذلك حتى يؤكّد لعباده أن التوكل هو أصل مراتب العبادة في جميع مراحلها، وأنّ التوكل هو ساق العبادات جميعها، فلا تقوم إلا به، فهو من سمات المؤمن. بل جعل الله تعالى التوكل شرطة لصحة إيمان عباده، فقد قال تعالى: "وعلى الله فتوكلوا أن كنتم مؤمنين"، و"وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين".

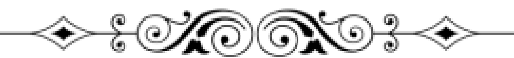
التوكل في معناه البسيط هو حُسن الظن بالله بطمأنينة القلب بموعود الله وقطع الاستشراف بالإياس من الخلق، وجملته في تفويض الأمر إلى الله -جل ثناؤه- والثقة به، ثقةً بحُسن تدبيره. التبرئة من حولك وقوتك وحول مثلك وقوة مثلك، فهو عبادة قلبيه. ولهذا قيل إن التوكل يجمع أصلين: علم القلب، وعمله، أما علمه: فيقينه بكفاية وكيله وكمال قيامه بما وكّله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك، وأما عمله: فسكونه إلى وكيله وطُمَأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أمرَه إليه، ورضاه بتصرُّفه له فوق رضاه بتصرُّفه هو لنفسه.

ويقترن التوكل بثلاث مراتب في الدين الإسلامي وهم؛ الإيمان، والإسلام، والإحسان. فالله ينظر إلى قلوبنا ويرى صدق اعتماد القلب عليه، ومدى توكل العبد على ربه في أموره كلها، ومن ثم إيمانه أن الله وحده هو من يعطي ومن يمنع، وهو من يضر ومن ينفع. أن التوكل على الله كخلق إسلامي يجعله أعلى درجات اليقين بالله، هو



أشرف ما يصف به المقربين لله، فمنزلة المتوكلين من أكبر المنازل عند الله، فهو مفتاح الخير والرضا والطمأنينة. وهو أفضل عبادة يتقرب بها العبد من ربه، فكلما زاد قرب العبد من ربه وإيمانه به يكون توكله على الله أكبر من أي شيء. ومن ضعف إيمانه ضعف توكله، فقد قال الله سبحانه وتعالى "وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير". فالتوكل على الله هو الاعتماد عليه والثقة به وبجميع أقداره، والثقة في نيل الرغبات، والتوكل يأتي مع السعي، فهو الذي لا يعجزه شيء وفي يده مفاتيح كل شيء. فحينما يُؤمن العبد بالقدر خيره وشره؛ فإنّه يطمئن ويتوكل على خالقه؛ ذلك لأنّه يعلم أن الله يعلم كل ما كان، وما هو كائن وما سيكون، وذلك مكتوبٌ عنده في اللوح المحفوظ منذُ الأزل، وأنّه -سبحانه- خالق كلِّ شيءٍ في هذا الكون، وهو المتصرّف والمُتحكم بكلِ شيءٍ، فلا يحدث شيء دون إرادته وحكمه.

إن الإيمان باسم الله الوكيل يكفل للمسلم أن يكون متوكلًا عليه، يعلم بكفالته له، ورعايته له؛ فيزيد إيمانه بالله ومحبته له، ويتمسّك بما أمره به، فهو ربه الذي تكفل برعايته ورزقه، فيُسلم الأمر لصاحب الأمر. وتكون علاقته بعباد الله علاقة محبة؛ فهم مثله يعيشون بكفالة ورعاية الخالق، يتقلبون بأقدار الله وأرزاقه من أصناف الأرزاق المادية والمعنوية، فقلب المسلم مطمئنٌ، يعلم أن النفع والضر بيد الله الوكيل، قال تعالى: (ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم لا إِلـهَ إلا هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ فَاعبُدوهُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ وَكيلٌ).



والتوكل على الله كله فوائد ونعم؛ فهو أولا: سعة للرزق، فللمؤمن المتوكل على الله جزاءً عظيمًا، بقول الله تعالى: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إن اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا). وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقك كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانًا". وثانيا: يحفظ من همسات الشيطان، قال الله تعالى "إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون". ولحديث: إذا خرج الرجل من باب بيته، كان معه ملكان موكلان به، فإذا قال: بسم الله، قالا: هُديت، فإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قالا: وُقِيت، فإذا قال: توكَّلت على الله، قالا: كُفِيت، قال: فيَلقاه قريناه، فيقولان: ماذا تريدان من رجل قد هُدي ووُقي وكُفِي. وتنحى عنه الشيطان. وثالثا: التوكل على الله يجعل الناس راضين ومتفائلين ويذهب التشاؤم، قال تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}. وقال رسول الله صلى الله علية وسلم: "الطيرة شرك ولكن الله يذهبها بالتوكل". ورابعا: التوكل الحق على الله يعتبر سببا لدخول الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب فقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون". وخامسا التوكل الحق على الله هو طريق للعزة، فالعز والغنى يَجولان في طلب التوكل، قال الله تعالى: "ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم"، و﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾، و﴿إن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، و﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾. وسادسا: التوكل جعله الله سببا يتقرب به العبد



من ربه لينال محبته، فالله سبحانه وتعالى يحب المتوكلين عليه، وإذا أحب الله عبدا قربه منه ورزقه وكفاه وحرمه على النار. وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "أربع لا يعطيهن الله إلا من أحب: الصمت وهو أول العبادة، والتوكل على الله، والتواضع والزهد في الدنيا". <u>وسابعا</u>: التوكل الحق على الله عنوان للإيمان بالله، قال تعالى: "وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين"، ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾. التوكل دليل التوحيد، فالتوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب. والمؤمن الصادق هو من يتوكل على الله، التوكل على الله عقيدة دينية لراحة دنيوية وآخروية، وله مقام جليل عند الله. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت، أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت الحي الذي لا يموت والجن والأنس يموتون"، ويدعو "اللهم إني أسألك التوفيق لمحابك من الأعمال وصدق التوكل عليك وحسن الظن بك"، ويزيد "اللهم اجعلني ممن توكّل عليك فكفيته واستهداك فهديته واستغفرك فغفرته"".
<u>وثامنا</u>: التوكل يصلح الأحوال ويفرج الهم، فالتوكل على الله والاعتماد عليه يفرج الهم ويدفع البلاء ويخفف المصائب والفتن ويشفي المرضى. قال تعالى: {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}، وقال تعالى: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}. <u>وتاسعا</u>: التوكل يأمن الناس من الخوف، فضعف التوكل على الله يتسبب في الشعور بالقلق والخوف، أما التوكل فيجعل القلب متصلا بالله سبحانه وتعالى فيكون القلب مطمئنا وواثقا في أقدار الله. قال تعالى: {فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ



الْعَظِيمِ}. أن المتوكل على الله حق التوكل مطمأنُ البال، ومنشرح الصدر، واثقًا بالله لا يحزن من واقع حاله، ولا يخشى من المستقبل، مُفوِّضًا أمره لله، إن دُعِيَ لطاعة أجاب، يتصدَّق من ماله ولو باليسير، ويشارك بالخير ويوقن بأن الله سيَخلف عليه خيرًا، ويُحسِن له العاقبة. وعاشرا: التوكل على الله بإنابته في جميع أمورنا يكون سببا في التوفيق وتحقيق المطالب، فمع السعي يتطلب التوكل، وثقة العبد في ربه والتوكل عليه بحق تتحقق مطالبه وتجاب دعواته. قال تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ و﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ و﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾،وقال: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أحد عشر: التوكل على الله هو سبب الهداية واستجابة الدعاء، فقد جمع الله بين التوكل والهداية وأيضا استجابة الدعاء. اثنى عشر: التوكل أصل ثابت من أصول العبادة فلا تتم العبادة ولا يصدق التوحيد إلا بالتوكل الحق على الله سبحانه وتعالى، فقد قاله جل وعلا في كتابه "فاعبده وتوكل عليه"، وفي آية أخري بين فيها سبحانه وتعالى أن التوكل من صفات المؤمن الصادق في قوله تعالى "إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون". ثالث عشر: التوكل مربوط بالثقة واليقين بالله، وإلا فلا توكل ما لم يكن معه اليقين، واليقين هو أن العبد يعمل لله خالصا ولا يطلب به عرض الدنيا ولا رضا المخلوقين وأن يكون في أمن بوعد الله وهو الرزق. والمؤمن الحق عظيم التوكل على الرزاق؛ لعظم يقينه بقدرة الله وعلمه ورحمته ولطفه وسعة رزقه، فالتوكل تابع لليقين، فكلما زاد اليقين في قلب المؤمن زاد توكله على الرحمن، وإذا نقص اليقين نقص التوكل. رابع عشر: بالتوكل تتحقق النصرة



ورد كيد الكائدين، قال تعالى: {إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ} وقال: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ أن النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}. خامس عشر: التوكل على الله يقوي العزيمة والثبات في الأمر، فالمتوكل على الله شجاع قوي بالله ولا يخاف الشيطان وأولياءه "حسبنا الله ونعم الوكيل" قالها إبراهيم حين أُلقِيَ في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} وقال تعالي: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ أن اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ولحديث: (إذا وقعتم في الأمر العظيم، فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل). سادس عشر: التوكُّل يزيد المعرفة بالله وصفاته. ويربطه بالقضاء والقدر، فالأمور كلها تصدر عن مشيئة الله وقدرته، وتنتهي كلها إلى علمه، فلا بد من الإيمان بقضاء الله وقدره، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وتحقيق التوكل مترتب على تحقيق الإيمان بالقدر؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ أن اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾. سابع عشر: التوكل على الله هو نتيجة للصبر، فالصبر والتوكل من أقوى الأسلحة في مواجهة الشدائد والصعاب في طريق الدعوة وتحمُّل أعبائها، وقيل: الصبر خاص بوقت المصيبة، والتوكل في أمر مستقبل، والصبر في حاجة للتوكل؛ لأنه - أي الصبر - من العبادات، وكلاهما من أُمهات الصفات التي يجب على المؤمن الاتصاف بها، وقيل: الصبر في أمر



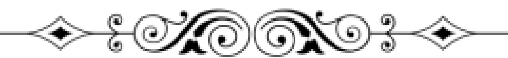
مملوك يحتاج للتحمل، والتوكل خاص بأمر غيبي كوني، يحتاج للاعتماد على الله والثقة بتدبيره. قال تعالي: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ و﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾. ثامن عشر: التوكل من أسباب دفْع السحر والحسد والعين: قال تعالى في سورة يوسف على لسان يعقوب: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ أن الْحُكْمُ إلا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾. أخيرًا والجامع لثمرات التوكل كلها، التوكل من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفْع المضار، وفيه الثقة بالله وعدم اليأس والثبات على الحق، وصدق الجهاد والإقدام على معالي الأمور: قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ وكفاية الله المتوكل جميع شؤونه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوِّه، ولا يضره، وهذا أعظم جزاءً أن جعل الله تعالى نفسه جزاء المتوكل عليه وكفايته، فلو توكَّل العبد على الله حقَّ توكُّله، وكادته السموات والأرض ومن فيهنَّ، لجعَل الله له مخرجًا، وكفاه رزقه ونصره.

وللتوكل أقسام منها ما هو شرك بالله مثل التوكل في أمور ليست بيد أحد إلا الله، مثل التوكل على الأموات وغيرهم في تحقيق المطالب مثل الرزق، أو الشفاعة. وكذلك من الشرك التوكل في الأمور والأسباب الظاهرة، مثل من يطلب العون من شخص أو يتوكل على طلب رزقه من سلطان، ومن يطلب الحفظ من الأذى من أمير أو رجل ذات منصب. أما التوكل الصحيح فهو التوكل عن طريق شخص ما بالإنابة عنه



في أي عمل مثل البيع والشراء، ولكن ليس لأحد أن يعتمد على أحد في تيسير الأمور أو زيادة الرزق . فصحيح التوكل هو اعتماد القلب على الله مع تعاطي الأسباب بالجوارح. أما التواكل فهو مسلك مذموم. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُفوِّض أمره لله ويُجرِّد اعتماده لمولاه ومع ذلك يتعاطى الأسباب ولا يتحرَّج من ذلك. فقال صلى الله عليه وسلم: «اعقلها وتوكل»، وقال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، فإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان». إنَّ حسن التوكل مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا بحياة المسلم، فلا جلب للنفع، ولا دفع للضر، ولا قضاء للحاجات إلا عن طريق حُسن التوكل. فالتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها الإنسان ما لا يطيق من أذى الخلق، وظلمهم وعدوانهم.

أسأل الله أن يجعلنا من المتوكلين، إنه سميعٌ قريب مجيب الدعاء، والحمد لله رب العالمين..



انتظار الفرج عبادة فطرية

المؤمنَ يكون من عباداتِه: انتظارُ الفرَج، وترقُّبُ انكشافِ الغُمَّة من الله تعالى، وقوةُ الرجاءِ، وحُصولُ الاضطرارِ، والافتقارُ إلى الله، والانكسارُ بين يديْ جبَّارِ السماواتِ والأرض، ذلك أن أشرفَ العبادات تَوَجُّهُ القلب بهمومِه كلِّها إلى مولاه، فإذا نزل به ضِيقٌ انتظرَ فرجَه منه لا ممَّن سِواه. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أن يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ: انْتِظَارُ الْفَرَجِ».

إِنَّ انْتِظَارَ الفَرَجِ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ أَجَلِّ العِبَادَاتِ، وهو من سنن الله التي لا تتبدل ولا تتحول، فمن سنه الله جل وعلا أن جعل الفرج مع الكرب واليسر مع العسر، فيُخرِجُ من المِحَنِ مِنَحًا ﴿فَعَسَى اللهُ أن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أو أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾. ﴿لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾. وتلك السُّنةُ تُربي الخلقَ على القُرْبِ من الله تعالى لذلك ربط الله ذلك بالتقوى: "وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا". وقال تعالى: "يَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا . حيث وعد الله تعالى أن مع العسر يسرا فقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * أن مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾. ولَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ. فكُلُّ كَرْبٍ ينزِلُ بالمؤمنِ فإنَّ مَعَهَ فَرَجًا لا محالة وكلُّ عُسرٍ مَعَهُ يُسرا ومن عَلِمَ ذلك وأَيقَنَ به فلن يُسْلِمَ قَلْبَهُ لليأسِ. والمتأمل يلاحظ أن أشد الناس بلاء الأنبياء سُئل رسولَ اللهِ أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياءُ، ثم الصالحون،ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الرجلُ على حسبِ دِينِه، فإن كان في دِينِه صلابةٌ، زِيدَ في بلائِه، وإن كان في دِينِه رِقَّةٌ، خُفِّفَ عنه ولا يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ حتى يمشي



على الأرضِ وليس عليه خطيئةٌ". فمن سنن الله تعالى في خلقه أنه يبتليهم في حياتهم ليرفع درجاتهم ويكفر عنهم سيئاتهم وابتلاء الله تعالى في الحَقِيقَةِ كله خير؛ "وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ أن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ". فقد يَبْتَلِي اللهُ تعالى عِبَادَهُ بِمَا شَاءَ مِنْ أَنْوَاعِ الابْتِلَاءِ لقوله تعالى: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ". لِيُظْهِرَ مَا فِي نُفُوسِهِمْ، وَيَرْفَعَ دَرَجَاتِهِمْ، وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَبِهَا يَمِيزُ اللهُ تعالى الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَهِيَ فِي الحَقِيقَةِ خَيْرٌ لَهُمْ، فدائما تكون الابْتِلَاءَاتِ وَالشَّدَائِدَ مَمْزُوجَةٌ بِلُطْفِ اللهِ تعالى، مَنْ ظَنَّ انْفِكَاكَ لُطْفِهِ عَنْ قَدَرِهِ فذَلِكَ لِقُصُورِ نَظَرِهِ؛ نَعَمْ تَنْزِلُ الابْتِلَاءَاتُ وَالشَّدَائِدُ وَتَنْزِلُ مَعَهَا مِنَ اللهِ تعالى المَعُونَةُ؛ يَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْمَعُونَةَ تَأْتِي مِنَ اللهِ عَلَى قَدْرِ المَؤُونَةِ، وَإِنَّ الصَّبْرَ يَأْتِي مِنَ اللهِ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ". وكَمَا ورد عن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، أن أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ، أن أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ".

والواجب على من أصيب بأمر يضيق به صدره ويزداد به غمه أن يصبر ويحتسب الأجر من الله عز وجل وينتظر الفرج، فهذه ثلاثة أمور: الصبر، واحتساب الأجر، وانتظار الفرج من الله عز وجل. وذلك أن الإنسان إذا أصيب بمصيبة من غم أو غيره فإنه يكفر الله بها عنه سيئاته وخطيئاته، وما أكثر السيئات والخطيئات من بني آدم (فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون). وإذا صبر واحتسب الأجر من الله أثيب على ذلك أي حصل له أمران التكفير والثواب، وإذا انتظر الفرج من الله عز



وجل أثيب على ذلك مرة ثالثة، لأن انتظار الفرج حسن ظنٍ بالله عز وجل، وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى عمل صالح يثاب عليه الإنسان. التفاؤل والتيمُّن هو سنَّة الحياة، لأنَّه سنة العمل وسنة الفطرة التي يَدين بها الوجدان قبل أن تَدين بها الأذهان. ففي التفاؤل ارتياح واستبشار، وفوز وظفر، وهو عنوان الاتكال على الله تعالى وحسن الظنِّ به، وهو يَبعث في النفس نشاطًا، وفي الروح قوة، وفي العزم شِدَّة.

الحقيقة الثابتة هو أن الله هو المتصرف في كل شيء، وأن كل عمل لعباده إنَّما هو طوع مشيئته وإرادته، وهذا مما يَغرس في النفوس التبجيل وتكريم النفس مما يظهر أثره في السلوك الخارجيّ، وكذلك في أوقات المحنة والآلام تمجيد لخلق التسليم والرضا الذي هو من سمات حياة المؤمن، فإذا مَسَّه ضر أو نزلَ به نصب كان تحت تأثير هذه العقيدة أكثر احتمالًا حين يذكر أن هذا من رَبٍّ كتبَ على نفسه الرحمة رؤوف بعباده رحيم. لذلك كان من التعاليم الإسلاميَّة التي يجب أن يَتَمسَّك بها كل تقي ويتثقف بها كل مؤمن أن يثق في العدل الإلهي، وأنَّ كل ما يحدث له من المصائب إنما هو مقسوم له فيجب أن يقابله بالصبر والتسليم إذ هو من قبل الحكيم الخبير، وهو خير ولا شك مهما خَفِيت حكمته، وغابت عنَّا أسرار أفعاله، قال تعالى"وَعَسَى أن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ".

وهكذا فإنَّ للمحنِ والشدائدِ فوائدَ عظيمةً لا يُدركُها إلا أربابُ البصائر وأُولُو النُّهَي، والحكماءُ من ذوي النظرِ النافذِ والقراءةِ العميقةِ لسننِ اللهِ الكونيةِ والقدريةِ



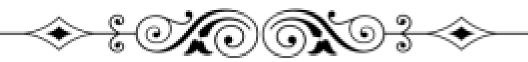
ولوقائعِ التاريخِ وحوادثِ الدُّهورِ والأيام. ومن أهم تلك الفوائد: تعلُّقُ القلوبِ بالله وإحساسُها بالعبوديةِ التامَّةِ لجبَّارِ السمواتِ والأرضِ، حتى ولو لم تكنْ آمنتْ به من قبلُ، وتنسى آلهتَها المزعومة من الملائكةِ والبشرِ وغيرهم، لأنها تدركُ يقينًا أن لا سبيلَ للنَّجاةِ من الشِّدَّةِ إلا باللُّجوءِ إلى القويِّ القاهرِ سبحانه، مع أنها قد تنسَى ذلك بعدَ النجاة، وهذا ما جاءَ في آياتٍ كثيرةٍ في القرآنِ العظيم، منها (وَإِذَا مَسَّ الإنسان الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أو قَاعِدًا أو قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ). إنها صرخةُ الاستغاثةِ والنجدةِ، تنطلقُ من ضميرِ الإنسان إلى تلك القوةِ المطلقةِ، التي يؤمِنُ بوجودِها دونَ أن يراها. فإذا ضاقتْ بالعبدِ السُّبُل، وانقطعتْ بالمكروبِ الحِيَل، فإنه يندفعُ بفطرتِه، يستغيثُ بربِّه، ويلجأُ إليه، يقينًا بأنه وحدَه القادرُ على كشفِ الكرْبِ ورفْعِ الضُّرِّ (قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ). يعني: اللهُ وحدَه هو الذى يُنْجِيكم من هذه المخاوفِ والأهوالِ ومن كل غَمٍّ يأخذُ بنفوسِكم، ثم أنتم بعد هذهِ النجاةِ تُشركون معه غيرَه، مُخْلِفين بذلك وعدَكم، حانِثِين في أَيْمانكم.

وتكونُ المحنةُ للمؤمنِ سببًا مُقَوِّيًا ودافعًا إلى شِدَّةِ التعلُّقِ والارتباطِ بالله، ومهما تأخَّرتْ عنه الإجابةُ فإنه لا يَمَلُّ ولا يَيْأَسُ، بل يزدادُ عُبوديَّةً وقُربًا وأملًا ورجاءً، ومن ثم يحقِّقُ أحدَ أهم أسبابِ الإجابةِ وهو الاضطرارُ (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ).



انتظار الفرج كعِبادةٌ هو عملٌ قلبيٌّ رُوحيٌّ، وعملٌ عقليٌّ فكريٌّ، وعملٌ ماديٌّ حسيٌّ، فهو اكتسابٌ للأسبابِ كلِّها في الحقيقةِ، فيكون انتظارُ الفرج ببذْلِ الجُهْدِ لكشفِ البَلِيَّةِ، ودفْعِ المُصيبةِ، وتخفيفِ آثارها حتى وإنْ كانت هذه الأسبابُ في الظاهرِ مما لا يكافِئُ الشدَّةَ النازلةَ، فنحنُ إنما أُمِرْنا باكتسابِ الأسبابِ المتاحةِ قَدْرَ الاستطاعةِ، والنَّصْرُ إنما هو من اللهِ وحدَه، فانتظارُ الفَرَجِ لا يكونُ أبدًا بالقُعُودِ وتركِ الأسبابِ بزعمِ التوكُّلِ على الله. وكلما أُغْلِق أمامَك بابٌ فابحثْ عن بابٍ آخر، وكلما امتنعَ منك سببٌ فتعلَّقْ بسببٍ آخر، واستعِنْ بسُنَنِ الله في الكونِ بعضِها على بعض. فاكتسابَ الأسبابِ في ذاتِه عبادةٌ، والفعلُ الحقيقيُّ إنما هو لله ربِّ العالمين، وقد كان قومُ نوحٍ يسخَرون من صُنعِ السفينةِ، لأنهم لم يكونوا يرَوْنَ من صُنْعِها فائدةً (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ أن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ). وكان نوحٌ عليه السلام نفسُه يدرِكُ أنها ليستْ سِوَى ألواحٍ ودُسُر، وليستْ هي العاصمةَ بذاتها من الغرقِ، ولهذا لما ظنَّ ابنُه أنها لنْ تنفعَ مع أمواجٍ كالجبالِ، والتجأ إلى قِمَّةِ الجبلِ قال له نوحٌ عليه السلام (لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إلا مَنْ رَحِم).

إنَّ انتظارَ الفرجِ من الله تعالى يُنْعِشُ العبدَ المؤمنَ، ويدفعُه بقوةٍ إلى اكتسابِ الأسْبابِ المعِينةِ على تجاوُزِ المحنةِ قدْرَ المستطاعِ، ولا تمنعُ الشدائِدُ -مهما عظُمَتْ- المؤمنين من الاستمرارِ في جهادِهم ومراجعةِ أنفسِهم والاستعانةِ بالله حتى يُنْزِلَ عليهم نصرَه وتوفيقَه (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ



وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ. وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إلا أن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

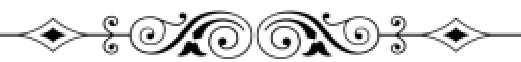
التشاؤم كلُّه سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل كله حسن ظن بالله سبحانه وأمل في عدله ولطفه، والمؤمن مأمور بحسنِ الظنّ بالله تعالى في كل حال، والتوكل عليه في الغدو والآصال قال تعالى: "وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ".

وانتظار الفرج وترقبه إذا كان مصحوبا ببذل الأسباب التي يكشف بها البلاء فهو من العبادات العظيمة التي يتقرب بها العبد من ربه ﴿فَعَسَى اللهُ أن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أو أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ ﴿لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، فعلى العبد إلا يضيق ذرعا وينتظر الفرج من ربه ويكون على يقين بموعود الله له. ثم إنه متى فتح الله أبواب رحمته فلا ممسك لها، ومتى أمسكها فلا مرسل لها، ومن ثم فلا مخافة من أحد، ولا رجاء في أحد، فالخوف من الله وحده والرجاء في الله وحده لقوله تعالى: "مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها وَما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ". وكان أولياء الله يحسنون الظن بالله، ويثقون في موعوده بمجيء الفرج بعد الشدة ولحسن ظنهم بربهم كان دائمًا عند ظنهم فقال تعالى عن يعقوب أنَّه قال لبنيه: {يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّهِ}، ونجى نوحا ومَنْ معه في الفُلك، وأنقذ إبراهيم من النار، وفدى ولده الذي أُمر بذبحه، ونجى موسى وقومه من اليمِّ مع إغراق



عدوِّهم، وما كان مع أيوب ويونس، وما جرى لمحمد صلى الله عليه وسلم من نجاته من كل أعدائه سواء في الغار، ويوم بدر، ويوم أحد، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، وغير ذلك، كل هذا مع حسن ظنهم بالله وانتظارهم الفرج من الله فأثيبوا بخيري الدنيا والآخرة، ومن أعظم الملاجئ التي يلجأ بها العبد إلى ربه مع انتظار الفرج: الاستغفار؛ فبه تنحل الكرب. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن لزمَ الاستغفارَ جَعلَ اللهُ له من كلِّ همٍّ فرجًا، ومن كلِّ ضيق مخرَجًا، ورزَقَه مِن حيثُ لا يحتَسبُ» فتقوى الله والمواظبة على الاستغفار تكون مفتاحا للخروج من كل هم فرج ومن كل ضيق مخرجا وكذلك الدعاء أقوى ما تقابل به المصائب وأقرب ما تنال به المطالب وأفضل ما ترتقي به الدرجات في ثواب الله وعطائه, «الدعاء هو العبادة» لقوله تعالى "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ أن الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ".

لا تَضِيقُوا ذَرْعًا، فَأَفْضَلُ العِبادَةِ انْتِظَارُ الفَرَجِ، والأَيَّامُ دُوَلٌ، وَالغَيْبُ مَسْتُورٌ، وَمِنَ المُحَالِ دَوَامُ الحَالِ، وَاللهِ الذي لَا إِلَهَ إلا هُوَ، سَيَكُونُ بَعْدَ الجُوعِ شِبَعٌ، وَبَعْدَ الظَّمَأِ رِيٌّ، وَبَعْدَ الخَوْفِ أَمْنٌ، وَبَعْدَ المِحَنِ مِنَحٌ، وَبَعْدَ السَّهَرِ نَوْمٌ، وَبَعْدَ المَرَضِ عَافِيَةٌ. بَشِّرُوا المَهْمُومَ بِفَرَجٍ مُفَاجِئٍ، وَبَشِّرُوا المَنْكُوبَ بِلُطْفٍ خَفِيٍّ، وَبَشِّرُوا المَرِيضَ بِالعَافِيَةِ. لِتَكُنْ مَعَ الدَّمْعَةِ بَسْمَةٌ، وَمَعَ الخَوْفِ أَمْنٌ، وَمَعَ الفَزَعِ سَكِينَةٌ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾. وكما يقول العارفين: سيجيء الفرج بلا دليل، كما جاء الهرج بلا نذير!



التفاؤل عبادة الصابرين

والثقة بالله عقيدة

إنَّ التفاؤل مكونٌ أساسي من رسالة الإسلام الصالحة لكل زمان ومكان، ولا يوجد كتاب على وجه الأرض مثل القرآن الكريم يمنح التفاؤل والفرح والسرور، ومهما تكن المصيبة ومهما تكن الهموم ومهما تكن الظروف، فإنك تجد في القرآن حلولًا لجميع مشاكلك، ويكفي أن تقرأ هذه الآية العظيمة التي تمنح الإنسان الرحمة والفرح والأمل، يقول تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أن اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) وقال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا). فالآية الكريمة تبث الأمل في نفس المؤمن، وأن الإنسان مأجور على البلاء الذي يصيبه، فمهما طالت المحنة فإن فرج الله قادم لعباده الصابرين، والأمل والتفاؤل جزء كبير من رسالة الإسلام. وقوله تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) هذه الآية الكريمة تحث المؤمن على الفرح أولًا بنعمة الإيمان بالله وبكتابه الكريم، والفرح عند وقوع النعم من الله عليه، ولكن ينبغي على المؤمن أن يَشكر الله الذي هو مصدر هذه النعم، وهو -عز وجل- مصدر الفرح الذي أصابه، وإنما أمر الله -تعالى- بالفرح بفضله ورحمته؛ لأن الفرح



سبب في نشاط المؤمن، وسبب في حث المؤمن على شكر الله والطمع في رضوانه ومرضاته، وسبب في رغبة العبد بأن يزداد علمًا وقربًا من الله، وهذا هو الفرح المحمود.

ولو تأملنا القرآن نجد مئات الآيات التي تمنح الإنسان القوة والتفاؤل، مثلًا يقول تعالى: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ أن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) وإن البلاءَ جزءٌ لا يتجزأ من حياة المسلم، قال تعالى: (حَتّى إِذَا استَيأَسَ الرُّسُلُ وَظَنّوا أَنَّهُم قَد كُذِبوا جاءَهُم نَصرُنا)، آيات كثيرة تبشر المؤمن بحسن الخاتمة وبالفرح الأكبر يوم لقاء الله، فتهون عليه أحزانه وتتضاءل أمامه المشاكل ويكفي أن تتذكر رحمة الله حتى تنسى كل هموم الدنيا: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ).

إن التفاؤل هو شعور داخلي بالرضا، وثقة تتحول إلى راحة نفسية لدى ذلك الإنسان الذي علق أمله بالله ولم يقنط، وأوضح معاني ومعالم التفاؤل احسن القرآن الكريم وصفها في العديد من الآيات، ومنها قوله تعالى: (وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ بِإِذْنِهِ)، فبدون التفاؤل نعيش ظلمات الضياع والبلاء والاضطراب والغربة، وبنور التفاؤل ينجلي كل ذلك ويعم الفرح والسرور. والتفاؤل معقود بالكلمة الطيبة، قال صلى الله عليه وسلم (ويعجبني الفأل) قالوا: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: "الكلمة الطيبة". لأن الكلمة في الحقيقة تفتح القلب وتكون سببًا لخيرات كثيرة حتى إنها تدخل المرء في جملة ذوي الأخلاق الحسنة. وفي البدء كانت الكلمة! وانعقدت عليها الحياة التي لا تطيب إلا بطاعة الله وحسن الظن به وترقب الخيرات منه وتعليق الآمال عليه. قال



صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه (أنا عند ظن عبدي بي). وسُمي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم رجاء أن يكون من أهل خصال الخير التي يكثر حمد الناس له عليها فهي تسمية فيها تفاؤل وهذا واضح ظاهر فيه. ويقول الحكماء: تفاءلوا بالخير تجدوه. فأحسن الظن بربك وثق بعطاء الله الذي خزائنه لا تنفد، ولا تثقل يومك بهموم غدك فتحرم نفسك سرور يومك.

إن التفاؤل والثقة بالله هم الركيزة الأساسية لتحقيق السعادة الدائمة والرضا بالحياة التي تحرر الإنسان من قيود اليأس والكآبة والحزن الذي قد يملأ قلبه إذا اعتاد التشاؤم والنظرة السوداوية للحياة خاصة إذا واجهته بعض الهموم والكربات في مشوار حياته، ولهذا فإن حسن الظن بالله والثقة فيه والتفاؤل من أهم العبادات العظيمة التي تعود بالنفع والبركة على الحياة النفسية والعملية والصحية، فقد ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث القدسي قوله: "أنا عند ظنِّ عبدِي بي أن ظنَّ خيرًا فلهُ، وإنْ ظنَّ شرًّا فلهُ". ومن الفوائد المتعددة للتفاؤل والثقة بالله أنها سبب لحصول الخير كله؛ فالتفاؤل يعزز في النفس حب العطاء والطموح ويدفعه نحو العمل الدؤوب والنجاح وتحقيق قفزاتٍ نوعية في حياته المهنية والإجتماعية. التفاؤل والثقة بالله سبب أكيد في محبة الناس والتفافهم حوله؛ فجميع الناس تنجذب تلقائيًا للشخص المتفائل في حياته المفعم بالطاقة والابتسامة وحب الحياة وتنفر من الشخص المتشائم الكئيب الذي يملأ اليأس والإحباط قلبه. التفاؤل يحقق راحة القلب والجسد وطمأنينة الروح والسلام الداخلي التام والرضا بالقضاء والقدر. التفاؤل



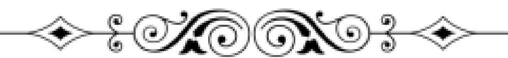
والثقة بالله تساعد على تجاوز المحن والمصائب بقوة وعزيمة ورضا بالقضاء. التفاؤل دليل على قوة الإيمان فهي تدل على التوكل التام على الله وحده وعلى أنه القادر على كل شيء. التفاؤل والثقة بالله تساعد على تجاوز الضيق والهم فلا يقعد المرء أسيرًا له، بل يشجعه على انتظار الفرج الذي يتوقع حدوثه سريعًا. التفاؤل يجعل الإنسان أكثر صحة وعافية فجسده خالٍ من الحزن والكآبة والهم والغم وهي أهم الأسباب التي تقتل صحة الإنسان وتحرمه العافية مع الوقت. التفاؤل سبب السعادة، فالمتفائل هو أسعد الناس لأنه دائمًا ما يرى الحياة جميلة وتستحق الكفاح والعمل. التفاؤل والثقة بالله تعزز في المسلم ثقته بنفسه وبقدراته وتجعله أكثر إصرارًا وعزيمةً وقوة.

وتظهر قيمة التفاؤل كعبادة اذا فهمنا أن الدعاء في الاصطلاح الشرعي يعني طلب النفع والخير، ودفع الضرر والأذى والشر، وقد دعا سبحانه وتعالى عباده المسلمين إلى ضرورة الاستمرار في الدعاء لتحقيق مطالبهم وأمنياتهم والإلحاح عليه عز وجل في ذلك لقوله تعالى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ". فجوهر العبادة هو التفاؤل بالثقة بالله وبقدرته العظيمة، ومن ثم دعاء المولى موقنين بالاجابة وكلنا ثقة بالله في رفع الكربات وتفريج الهموم، وفي ذلك قال تعالى: "قُل مَن يُنَجّيكُم مِن ظُلُماتِ البَرِّ وَالبَحرِ تَدعونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفيَةً لَئِن أَنجانا مِن هذِهِ لَنَكونَنَّ مِنَ الشّاكِرينَ".

التفاؤل هو صبر وتوكل وثقة بأن الله هو وحده الرزاق الذي يعطي الرزق لجميع مخلوقاته ومتكفّل بها طواله حياتهم، لقوله تعالى: "وَما مِن دابَّةٍ فِي الأَرضِ وَلا طائِرٍ يَطيرُ



بِجَناحَيهِ إلا أُمَمٌ أَمثالُكُم ما فَرَّطنا فِي الكِتابِ مِن شَيءٍ"، وقد أرشد الله تعالى عباده إلى طرق الوصول إلى هذا الرزق وهداه لكيفية العمل لتحقيق هذا الرزق والظفر به. الثقة بالله في النصر والتأييد يؤدي إلى القضاء على الشعور بالحاجة إلى الناس والضعف والمهانة والعجز، قال تعالى: "أليس الله بكاف عبده". فالمتوكل على الله في كل شيء لا يهاب الفقر ولا ضنك العيش لأنَّ للأرض رازقًا واحدًا قادرًا على إخراج العبد من الكدر والهم والفقر إلى السعة والراحة والعيش الكريم في أي وقتٍ يأذن له بذلك. ولنتبع قول النبي عليه الصلاة والسلام: "بشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا، ويسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا".



إخلاص القصد والنية

قال تعالى: (وعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ)، القصد نوع من الإرادة تبلغ في قوتها درجة الاعتزام، والإرادة لا تكون عزمًا ما لم تكن جازمة، فالقصد أعلى درجة من العزم، لأن الإرادة فيه جازمة مقرونة بالفعل، هو استقامة الطريق، والاعتماد. أما النية فهي الشيء المقصود إليه أو الوجه الذي يذهب فيه وتكون بالقلب، وقد يراد بها الشيء الذي يصاحبه القصد أو يسبقه. هي العزيمة على فعله. فهي منطلق القصد إلى الفعل.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إنَّما الأعْمالُ بالنِّيّاتِ، وإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى". فالنية هي شرط من شروط صحّة العبادات بأنواعها المختلفة من صلاة وصيامٍ وحج، وبها يتمّ تمييز العبادة من العادة. النية هي روح العمل ولا بدّ منها في العبادات وهي شرطٌ في أعمال البر والخير فلا بدّ منها في المعاصي والذنوب فالله-عزّ وجلّ-لا يجزي على العبادة إلا مع النية ولا يُحاسب على المعصية أن وقعت بطريق الخطأ ولم تكن عن عزمٍ ونية. والفرق بين النية والقصد، أن القصد معلق بفعل الفاعل نفسه وبفعل غيره. والنية لا تتعلق إلا بفعله نفسه، كما أن القصد لا يكون إلا بفعلٍ مقدورٍ يقصده الفاعل. أما النية فينوي الإنسان ما يقدر عليه وما يعجز عنه.

ومن القواعد الفقهية الكلية الكبرى قاعدة أن "الأمور بمقاصدها"، وأن كسب المؤمن يقع بقلبه ولسانه وجوارحه، فالنية أحد أقسامها وأرجحها؛ لأنهاعبادة

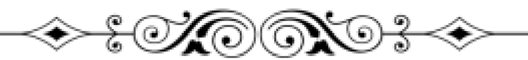


مستقلة، حتى يقال: "نية المؤمن خير من عمله". ومن هنا كان الحث على سلامة القصد وحسن النية لإعلاءقيمةالإخلاص في الاعمال والعبادة، وتنقيتها من الرياء ابتغاءً لوجه الله. فكان تفاضل درجات ايمان المؤمنين على اساس مدى اخلاص المؤمن. ولهذا تكرر التأكيد في آيات القرآن الكريم على النية والإخلاص، وذكر بكل الود عباده المخلصين قال سبحانه: (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ* أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ)، (كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)،(وما اومروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء)،(وادعوه مخلصين له الدين)،(فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ*أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)،(قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصًا له الدين). وفي هذا يقول الامام علي رضي الله عنه: (الإخلاص أعلى الإيمان).

وقد اراد الإسلام أن يُعلِّم أتباعه الإخلاص الحقيقي فدعاهم ودرَّبهم على عبادة السرِّ، في سائر المجالات، وجعلها أجرًا وثوابًا أفضل من عبادة العلن. وفي الحديث: «أعظم العبادة أجر، أخفاه».

وقد يظنُّ البعض أن الإخلاص مسألةٌ بسيطة يُمكنُ تحصيلها بأدنى جهد، لكنَّ الَّذي يعرف طبيعة النَّفس البشرية وهواها ورغباتها وشهواتها يتلمَّس عظيم المعاناة الَّتي تُصاحب العمل ليكون صافيًا خالصًا قربة إلى الله تعالى. ومن هنا أهمية النية ولهذا فإن من علامات المخلص أن تكون نيته في أي عمل يعمله خالصة لله تعالى وقبول هذا العمل منه سبحانه، فيقول عن حق "على الله القصد والنية.





البركة جند من جنود الله

سُئل أحد الصالحين لماذا لا تدعو "اللهم ارزقني"، وتطلب البركة في الرزق؟ أجاب: إن الله ضمن الرزق لكل حي من خلقه، ولكني أسأله البركة في الرزق فهي جند خفي من جنود الله يرسلها لمن يشاء، فإذا حلّت في المال كثّرته، وفي الولد أصلحته، وفي الجسم قوّته، وفي الوقت عمّرته، وفي القلب أسعدته.

قال سبحانه وتعالى: "مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلا هُوَ وَمَا هِيَ إلا ذِكْرَى لِلْبَشَر"، وقال عز من قال: "وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ". وجنود الله لا حصر لها، فالله قوى عزيز له جنوده من المؤمنين، ومن حزبه المفلحين، وجنوده من الملائكة الذين ملأوا السماوات العلى، يقاتلون مع المؤمنين، ويثبتونهم في حروبهم، وجنوده من المخلوقات الكونية المأمورة بأمره كالريح والرعد والطوفان والزلازل، وجنوده من مخلوقات الأرض كالحشرات وما أرسله الله سبحانه وتعالى على فرعون كما أخبرنا القرآن، ونرى في وقتنا المعاصر جنود أصغر من ذلك كالفيروسات (مثل الكورونا) وما هي إلا من جنود الله، وغيرها كثير لا نعلمه.

ومن بين جنود الله التي خص الله بها نفسه، تلك التي لا يمكن مضاهاتها في آثارها المعنوية في النفوس، كالرعب في زمن الحرب والبركة في زمن السلم.



وردت البركة في القرآن في 32 موضعًا، مسندة إلى الله تعالي في 9 مواضع معنية بذات الله وصفاته وأفعاله، مثله مثل الفعل (تعالى) الذي لا يسند إلا إلى الله جل شأنه.

وتُعطى البركة معنى الدوام فالكعبة المشرفة قال الله فيها: "إن اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين". فالبركة في دوام التوجه اليها في كل وقت من أوقات النهار والليل. بل أن تحية الاسلام "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" تختتم بالبركة، والعبرة بالخواتيم. وأكثر التحيات بركة هي التحيات لله. والبركات مقرونة بتحية الله تعالى سواء ذكرت لفظا ام لم تذكر. وهدية الله المباركة لعباده المسلمين ومعجزته هي القرآن الكريم، والقرآن قرآن مبارك، مبارك في ثوابه، مبارك في معناه، مبارك في آثاره، مُبارك من كل وجه.

البركة هي كثرة الخير والنماء، وهي جند مِن جنود الله يرسله لِمَن شاء مِن عباده، ويمنعه عمن شاء، فقد أرسله لأنبيائه ورسله والصالحين مِن عباد الله المؤمنين، فتمتعوا بالبركة في العمر والصحة، والعافية والمال، وسلَب البركةَ عن أقوام عاشوا في بُعدٍ عن منهج الوحي والرسالة، فعاشوا في محق وضنك وعمى.

ولأهمية وجود البركة في حياة المسلمين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو دعاءً عامًّا للأمة كما قال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»، ودعاءً خاصًّا لبعض الصحابة كما قال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه – لمَّا علم بزواجه -: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ».



والمتصفح للتاريخ يرى أمثلةً كثيرةً لحضورِ البركة ووجودها عند السلف الصالح رضي الله عنهم، فها هو سيدنا عثمان رضي الله عنه يجهز جيشًا كاملًا من ماله الخاص، فيبارك الله له في ماله؛ فقد رُوِي أن قد بلغَت ثمرةُ نخْله مائتي ألف أو تزيد؛ حيث بارك الله له إنفاقَه في سبيله، والي الآن أكبر وقف خيري في تاريخ الإنسانية هو وقف سيدنا عثمان. وهذه السيدة خديجة لما لاحظت بركةَ النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب فَتِي، عندما ازداد النماء والخير في مالها وتجارتها؛ حرَصت على الزواج بخير البرية.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُعلم ابنته فاطمةَ طريقةَ استجلاب البركة بالإخلاص في الذِّكر والتسبيح والتكبير، فقال: «إذا أويتما إلى فراشكما فكبِّرا أربعًا وثلاثين، وسبِّحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين؛ فهذا خير لكما من خادم».

والبركة أنواع كثيرة لا حصر لها، وهي نعمة لا نقدر على إحصائها (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)، فهناك البركات المطلقة التي تعلو ولا يعلى عليها، وهي بركة الله عز وجل، وبركة أسمائه الحسنى، وبركة كتابه القرآن الكريم، وبركة الإسلام، وبركة رسوله المصطفى ورسالته. كما أن هناك بركة في الأزمنة، وأجل أمثلتها بركة شهر رمضان الكريم والأيام العشر الطيبة من ذي الحجة، وبركة الشهور الحرم. وهناك بركة المكان كبركة مكة والمدينة والمسجد الأقصى. ومنها أيضا تلك المعنوية كبركة الصدقة وبركة التهاني والتحيات وبركة العمر وبركة العلم وبركة الاخلاق وبركة العمل



وبركة القناعة وبركة الرزق وبركة الطعام وبركة السحور وبركة ماء زمزم وبركة المال وبركة الاولاد... الخ.

وعندما نقرأ سيرة بعض الصحابة والأئمة والأعلام من أهل العلم نجد أن الله تعالى قد جعل البركة العظيمة في أوقاتهم، فها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولي الخلافة سنتين وبضعة أشهر فقط ومع ذلك مازلنا نقرأ في سيرته، سيرة حافلة بالمنجزات العظيمة، والفتوحات الكثيرة، ومثله عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فإنه ولي الخلافة سنتين وأشهر، ومع ذلك كانت سيرته ثرية عطرة حافلة بالمنجزات، وهذا سعد بن معاذ رضي الله عنه أسلم وعمره إحدى وثلاثون سنة، ومات وعمره سبع وثلاثون، أو ثمان وثلاثون؛ أي: إنه بقي في الإسلام ست أو سبع سنين فقط، ومع ذلك لما مات يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه قد اهتز لموته عرش الرحمن؛ فرحًا بقدومه، اهتز لموته عرش الرحمن وهو لم يبق في الإسلام سوى ست أو سبع سنين. إنها البركة، البركة العظيمة التي جعلها الله تعالى في هذه المدة القليلة. إنها البركة التي منحهم الله إياها في أعمارهم، وفي أوقاتهم، وفي أعمالهم، وفي أرزاقهم، فقد كانت البركة في الأعمار والأرزاق والأوقات سمة من سمات السلف الصالح، وهذا كله مصداقًا لقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أن أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾؛ بالإيمان والتقوى تتنزل البركات من السماء والأرض. اللهم أرزقنا البركة في كل شيء آمين يارب العالمين.





عبادة العطاء. مفتاح الخير والخلق العظيم!

العطاء من أهم القيم الإنسانية والأخلاقية، وهو نوع من السلوك الذاتي الطوعي، الذي يقوم به الفرد تجاه الآخرين، والنابع عن حب وقناعة ورضا في تقديم يد العون والمساعدة والخير والاهتمام بمصلحة الآخرين من دون التفكير بالمكافأة.

لَيسَ عَطَاءَ مَن يَرَى لِنَفسِهِ الفَضلَ وَالمِنَّةَ، بَلْ عَطَاءُ مَن يَعلَمُ أَنَّهُ يُعَامِلُ رَبًّا كَرِيمًا وَيَرجُو إِلَهًا جَوَادًا، يُعطِي الكَثِيرَ عَلَى القَلِيلِ، فهو المعطي (اسم من أسماء الله الحسنى) ومعناه: الذي أعطى كل شيء خلقه وتولى أمره ورزقه في الدنيا والآخرة. قال تعالى عما وهبه لسيدنا سليمان: "هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب". وهُوَ القَائِلُ - سُبحَانَهُ- ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ وقال: " وَمَا أَنفَقتُم مِن شَيءٍ فَهُوَ يُخلِفُهُ وَهُوَ خَيرُ الرَّازِقِينَ". ووعد بعظيم الثواب فقال: ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾. وقال رسول الله ﷺ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمِ"، وقال رسولنا الكريم: " أن اللهَ لا يَقبَلُ مِنَ العَمَلِ إلا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابتُغِيَ بِهِ وَجهُهُ"

وعلى العطاء حثت تعاليم ربنا العظيم المنزلة على رسله صلوات الله عليهم وسلامه اجمعين، فهي في المسيحية أصل العبادات. والعطاء الصحيح هو جزء من العبادة المفروضة، فالعبادة لا تكتمل من دون العطاء.



ويقول عَزَّ وَجَلَّ في آيات الذكر الحكيم: "فَأَمَّا مَن أَعطَى وَاتَّقَى *وَصَدَقَ بِالحُسنى *فَسَنُيَسِّرُهُ لِليُسرى *وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاستَغنَى *وَكَذَّبَ بِالحُسنى *فَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسرَى *وَمَا يُغنِي عَنهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى". وقد وعد الله عز وجل رسوله عليه الصلوات ولاسلام أن يعطيه حتى يرضيه "ولسوف يعطيك ربك فترضى". ومما أعطاه الله لرسوله في الآخرة نهر الكوثر "إنا اعطيناك الكوثر".

العطاء عبادة عظيمة القدر والثواب عند الله سبحانه وتعالى الذي وعد المنفقين في نواحي الخير بنماء رزقهم: "مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ". وَيَأبى اللهُ لِمَن أَحَبَّهُم مِنَ المُؤمِنِينَ وَاصطَفَاهُم مِن عِبَادِهِ الموَفَّقِينَ، إلا أن يَكُونُوا إلى الخَيرِ سَابِقِينَ وَفي العَطَاءِ مُتَنَافِسِينَ.

وعندما نتأمل مفهوم العطاء في الإسلام؛ فإن أول ما يتبادر إلى الأذهان هو مواقف الكرم والنبل التي ميزت حياة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم لا وهو من امتدحه ربه سبحانه وتعالى بقوله: "وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ". ومع تعدد مكارم أخلاق نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم من أمانة وصدق ورحمة وبذل وعطاء نجد تلك الأخيرة وصل فيها سيدنا رسول الله آفاقا لم تعرفها البشرية طوال حياته وحتى مماته؛ فلم يكن كرمه وسخاؤه بذلًا عاديًا وإنما كان فياضًا؛ لا ينفق فقط ما يزيد عن حاجته وإنما يتصدق حتى بما هو في حاجة إليه؛ حتى عرف عنه أنه لا يرد سائلا وأنه يعطي عطاء من لا يخاف فقرًا. وقد حثنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نقتدي به وأن يتصدق كلٍ



من سعته، وأوصى أمته بالإنفاق وذم البخل والشح؛ حيث قال"ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا" وقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخلاقِ وَيَكرَهُ سَفسَافَهَا". وقال –عليه افضلا الصلاة والسلامَ: " يَا بنَ آدَمَ، إِنَّكَ أن تَبذُلَ الفَضلَ خَيرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلا تُلامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابدَأْ بِمَن تَعُولُ، وَاليَدُ العُليَا خَيرٌ مِنَ اليَدِ السُّفلَى". هكذا كان عطاء النبي ونبله سخيا ممتدا ليشمل حتى أعداءه؛ فتملك بذلك القلوب واستمالها، وَهَدَّأَ نفورها وَرَدَّ شَارِدَهَا، وَأَحَالَ نار بُغضِهَا وَكَدَرَ كُرهِهَا، إلى جَنَّةِ مَحَبَّةٍ وَصَفَاءِ مَوَدَّةٍ. وكان يؤثر على نفسه حتى وإن كانت به حاجة وخصاصة؛ ورد في الأثر أن جاءت امرأة إلى النبي ببردة فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه. فأخذها النبي محتاجًا إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه فاكسنيها. فقال: "نَعَمْ"، فلما قام النبي لامَ أصحابه الرجل، قالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي أخذها محتاجًا إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يُسأل شيئًا فيمنعه. فقال: رجوتُ بركتها حين لبسها النبي؛ لعلِّي أكفَّن فيها ".

هكذا كانت خصلة الكرم التي تمتع بها أحد أسباب إسلام الكثيرين؛ وكانت غايته هي رفعة الإسلام والإنفاق في نواحي الخير هو طريقه، فاستخدم العطاء أيضًا في تأليف القلوب. كما كان عطاؤه صلى الله عليه وسلم عطاءً لا يكل ولا ينضب كما أنه لا يجرح ولا يؤذي الشعور؛ فقَد كَانَ عَطَاؤُهُ - عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - عَطَاءَ مَن عَرَفَ

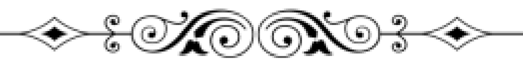


حَقِيقَةَ الدُّنيَا وَسُرعَةَ فَنَائِهَا، وَمَا أَعَدَّهُ اللهُ في الآخِرَةِ لأَهلِ العَطَاءِ مِن مُضَاعَفِ الثَّوَابِ وَكَرِيمِ الجَزَاءِ، وَمِن ثَمَّ فَقَد كَانَ لا يَفرَحُ بما أَبقَى كَفَرحِهِ بما أَعطَى، بَل لَقَد حَرِصَ إلا يَدَّخِرَ شَيئًا دُونَ مُستَحِقِّهِ أو سَائِلِهِ.

والعطاء غير مقصور أو محصور فقط في العطاء المادي، وانما مفتوح لكل أبواب الخير، بل يمكن أن يكون العطاء المعنويَ له كبير الأثر عن ذلك المادي؛ قال تعالى " وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ أن اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ". وقال عز من قال: "لينفق ذو سعة من سعته". ولم يقل سبحانه وتعالى لينفق ذو مال من ماله، فالانفاق ليس مالا فقط فقد وسعت عطايا الخالق للبشر بسعة أوجه الخير فكان لكل منا وجه سعة يختلف عن الآخر، وكل منا مطلوب منه الانفاق من تلك السعة التي لديه أيا ما كانت فمن الناس من ينفق من سعة الكلمة الطيبة والبسمة الصافية ومعاونة الآخرين وجبر الخواطر ونشر العلم النافع وبذل العمل المتقبل والإصلاح بين الناس والدعاء الطيب –ولو بظهر الغيب- ونشر الخلق الحسن من تسامح وتجاهل وغفله عن أخطاء الآخرين. فإن أعطيت من وقتك فأنت تمنح جزءا من عمرك؛ فإن كان لبر والدين أو زيارة مريض أو عمل خيري أو غير ذلك من رقائق الأعمال؛ فإن الله سيضاعف لك العطاء مضاعفة الوهاب ويهبك من العطايا ما لم تكن تحسبه، ويظلك في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله؛ سبحانه هو الكريم ذو الجلال والإكرام.



ولكل هذا كان أفضل وصف للعطاء أنه مفتاح الخير، فهو توصيف جامع شامع لعبادة أهملناها ونسينا ثوابتها العظيم، فكما جاء في الحديث: "إِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحَ لِلخَيرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلخَيرِ، فَطُوبى لِمَن جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الخَيرِ عَلَى يَدَيهِ، وَوَيلٌ لِمَن جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيهِ". وطوبي للعطَاءين!



العبادة المهجورة: جبر الخواطر على الله

العبادات أبواب؛ الصلاة باب. الصيام باب. جبر الخواطر باب. ولا نعرف من أيِّ باب ندخل الجنة. والخاطر هو القلب، وعدم كسره خلق عظيم، وهو يدل على سمو نفس وعظمة قلب وسلامة صدر ورجاحة عقل، وأغلب أحكام الدين الإسلامي قائمة على جبر الخواطر، فما أجمل هذه العبادة وما أعظم أثرها، يقول الإمام سفيان الثوري: «ما رأيت عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه مثل جبر خاطر أخيه المسلم»، ومما يعطيه جمالًا أن الجبر كلمة مأخوذة من أسماء الله الحسني فهو «الجبار»،وهذا الاسم بمعناه الرائع يُطمئنُ القلبَ ويريحُ النفس فهو سُبْحَانَهُ «الذِي يَجْبُرُ الفَقرَ بِالغِنَى، والمَرَضَ بِالصِحَّة، والخَيبَة والفَشَلَ بالتوْفِيقِ والأمل، والخَوفَ والحزنَ بالأَمنِ والاطمِئنَانِ، فَهُوَ جَبَّارٌ مُتصِفٌ بِكَثْرَة جَبْرِهِ حَوَائجَ الخَلَائِقِ». وقال تعالى: «وأمّا اليتيم فلا تقهر»، أيْ جبر خاطر لليتيم، ولم يرد رسول الله سائلًا قط بل كان يرشد الصحابة للحل ويدلهم على الطريق ويطيب خاطرهم، فجبر بخاطر ابن زعيم المنافقين عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول عندما طلب منه أن يصلي على أبيه وفعل النبي، وجبر بخاطر أهل مكة عندما عفا عنهم. وعندما جاء فقراء المهاجرين مكسوري الخاطر وقالوا: يا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأجور، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، ويَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، ويَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أموالِهِمْ، قَالَ: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ ما تَصَّدَّقُونَ؟ أن بِكُلِّ تَسْبِيحَة صَدَقَة، وكُلِ تَكْبِيرَة صَدَقَة، وكُلِّ تَحْمِيدَة صَدَقَة، وكُلِّ تَهْلِيلَة صَدَقَة،



وأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَة، ونَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَة، وفِي بُضْعِ أحدكمْ صَدَقَة". وحتى الأطفال كان لهم من جبر الخاطر مع رسول الله نصيب، بل إنه (عليه الصلاة والسلام) جبر بخواطرنا نحن الذين نحبه ونشتاق إليه ونتمنى لو كنا إلى جانبه نذود عنه وننافح عن دعوته، فقد أَتَى الْمَقْبَرَة فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وإِنَّا أن شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ ووَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إخواننا»، فقَالُوا له: أَوَلَسْنَا إخوانكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «بل أنتمْ أصحابِي، وإخواننَا لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ»، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أمتكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أن رجلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَة بَيْنَ ظَهْرَانَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، إلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ »، فَقَالُوا: بَلَى يا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ».

أما أكبر جبر للخواطر فهو ما طلبه رسولنا الكريم لأمته. وقد ورد أن النبيَّ رفعَ يديهِ وقال: «اللهمَّ! أمتي أمتي»، وبكى. فقال اللهُ عزَّ وجلَّ: يا جبريلُ! اذهب إلى محمدٍ - وربُّكَ أعلمُ- فسَلهُ ما يُبكيكَ؟ فأتاهُ جبريلُ (عليه السلام) فسَألهُ. فأخبرهُ رسولُ اللهِ بما قالَ. وهو أعلمُ. فقال اللهُ: يا جبريلُ! اذهبْ إلى محمدٍ فقلْ: إنَّا سنُرضيكَ في أمتكَ ولا نَسُوءُكَ. وجَبَر الله خاطر نبينا الرحيم بشفاعته لنا.

إن جبر النفوس من الدعاء الملازم لرسول الله فقد كان النبي يقول بين السجدتين: «اللهم اغفر لي وارحمني واهدني واجبرني وارزقني».



قال أحد الصالحين «إن من سار بين الناس جابرًا للخواطر أدركه الله في جوف المخاطر»، ووسائل جبر الخاطر وثمراته غير محصورة، وتشمل الاعتذار، والكلمة الطيبة، والابتسامة والهدية وقضاء مصالح الناس، والتزاور، والسؤال، والمساواة، حتى الدعاء نفسه جبر خاطر، ونكاد نقول أن مكارم الأخلاق قائمة على جبر الخواطر، أما الثمرات التي سوف نجنيها من هذه العبادة أولًا عند جبر خاطر من حولك فأنت تعبد الله بعبادة عظيمة تكاد تكون عبادة مهجورة، كما أنه عند جبر الخواطر أُدخِل السعادة والفرح والسرور على الناس والنبي (صلى الله عليه وسلم) عندما سأله رجل: أيّ الناس أحبهم إلى الله؟ قال «أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تُدخِله على مسلم». فيرى نبينا عليه الصلاة والسلام أن "جبران الخواطر" أفضل العبادات عند الله عز وجل.

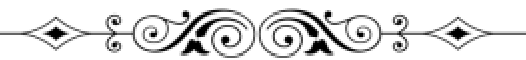
وبالمواقف هناك سلوك لجبر الخواطر، فقصد الشراء من بائع متجول في حر الشمس يضطر للسير على قدميه باحثًا عن رزقه مساعدة له وجبرًا لخاطره، وتقبل اعتذار المخطئ بحقك، خصوصًا عندما تعلم أن خطأه غير مقصود وأن تاريخ صحبته معك طيب نقي، فالصفح عنه ومسامحته تُطَيِّبُ نَفسه وتَجبرُ خاطره، وتبادل الهدايا بين الأقارب والأصدقاء والأحباب من أجمل ما يدخل الفرحة للقلب والهناء للنفس وهي سبيل الحب، وبساط الود، وطريق الألفة، تفعيلًا لقوله (صلى الله عليه وسلم): «تهادوا تحابوا». وتحري البر مع الوالدين بشراء ما يحتاجون له ومفاجأتهم بما يفقدون؛ دون طلب منهم أو سؤال بل كرمًا منك وتبرعًا حتى لو كنت تعاني من ضيق ذات اليد، اكبر



معاني جبر الخواطر، وإدخال الفرح والسرور على قلوبهم، وعدم نسيان صاحب الحاجة والمسكين الذي انكسر قلبه وذلت نفسه وضاق صدره، بأن يكون لهم من مالك نصيب ومن طعامك ومن دعائك ما تستطيع، بذلك نجبر كسرهم ونطيب قلوبهم ولا نُشعرهم بالنقص حتى يكتسوا مما تكسو نفسك. وغير ذلك من تطييب الخاطر مما لا يحتاج إلى كثير جهد ولا كبير طاقة فربما يكفي البعض كلمة: من ذكر، أو دعاء، أو موعظة.

حتى البسطاء يعلون من باب جبر الخواطر ومن هنا كانت طقطوقة الفنان المحبوب فريد الأطرش «جبر الخواطر على الله»: لو تراعيها بالحنية تلقى نعيم الدنيا معاها.. جبر الخواطر على الله، مش طالب منك غير طلة، تعالى سلم وأنا أسلم.

ومن الدعوات المنسية (ربَّ اصرف عنا شتات العقل والأمر والتفكير، واجبر كسرنا وآمن خوفنا، وأمطِرنا برزق من عندك لا حد له، وخير لا عد له، وفرج لا مد له، فرج من عندك لا حد له برحمتك يا أرحم الراحمين). اجبرنا يا جبار.



عبادة الرضا

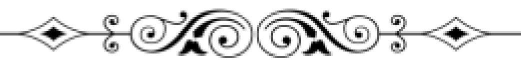
من أعلى منازل الإيمان التي خصها الله تعالى بأعظم جزاء وهو رضى الله تعالى هو عبادة الرضا فقال تعالى: (رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) والتي تكررت 4 مرات في كتاب الله الكريم (بسورة المائدة-آية 119 والتوبة آية 100 والمجادلة آية 22 والبينة آية 8). فمن احب الأذكار النبوية وافضلها: "رضيت بالله ربا، وبالاسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا" وإجابتها (إلا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة) كما جاء بالحديث النبوي. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ) وحديث آخر (من رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط). فالرضا منظومة لنفسية المؤمن لا بد أن يدرب نفسه عليها لينال فضلها مثل جميع العبادات.

فالراضي متفائلًا في جميع أحواله، منتظرًا الفرج من الله، موقنًا بأن مع العسر يسرًا، فلايأس، ولا قنوط، ولا كسل، ولا هوان، ولا تهاون. وهكذا كانت حكمة البسطاء بأن (الرضا بالمقسوم عبادة) لأنه في حقيقته رضا بقضاء الله وقدره. والرضا هنا هو بالتسليم والاستسلام لله تعالى وحده، فجاء بالحديث القدسي: "ألا أعلمك كلمة من تحت العرش من كنز من كنوز الجنة؟ تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقول الله عز وجل: أسلم عبدي واستسلم". وهذا هو كمال الرضا.



الرضا أعلى منزلة من الصبر لأنه يتعداه من تحمل الألم والصبر على اقدارك إلى الشكر لله على ذلك. لا يعنى الرضا الوقوف محلك سر وعدم السعى وراء الرزق أو تحسين معيشتك وانما يعنى السعى والرضا بعد ذلك بما رزقنا الله به. فالاستسلام للحال هو نوعٍ من التواكل المرفوض. ويقول الشيخ الشعراوى (مادامت فيك بقية من العافية للعمل فاعمل، ولا تعمل على قدر حاجتك فقط، ولكن اعمل على قدر طاقتك؛ لأنك لو عملت على قدر حاجتك فإن الذى لا يقدر على العمل لن يجد ما يعيش به. إذن فاعمل على قدر طاقتك لتتسع حركتك للناس جميعًا).

الرضا بالله تاج على رؤوس المؤمنين. والرضا هو باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، وبستان العارفين. وسر الرضا هو في الاقتناع أن الحياة هبة وليست حقًا. وكما يقولون الفرح أو السعادة لحظة، ولكن الرضا حياة!



طلب العزة

فضيلة منسية وباب واسع من مداخل الجهاد الحق، في زمن عز فيه الحق!

قال تعالى: "من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه" (فاطر: 10)، وقال سبحانه وتعالى: "يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون"(المنافقون: 8).

والعز لغة هو خلاف الذُلِّ. وهو في الأصل: القُوَّة والشِّدَّة والغَلَبَة والرِّفعة والامْتِنَاع. والعِزَّة اصطلاحًا هي حالة مانعة للإنسان من أن يُغْلَب. وهو خلق محمود، ودائما الخُلُق المحمود ما يكون بين خُلقين مذمومين، فهو وسط بينهما، فالعِزَّة، هي بين خُلُقين، أحدهما: الكِبْر، والآخر: الذُّل والهَوَان، والنَّفس إذا انحرفت عن خُلُق العِزَّة - التي وهبها الله للمؤمنين- انحرفت إمَّا إلى كِبْرٍ، وإمَّا إلى ذُلٍّ. والعِزَّة المحمودة بينهما.

وهكذا، فإن العزة من الصفات المهمة التي لا يستغني عنها أحد وتعد صمام أمان للفرد والمجتمع، فبالعزة تنمو الفضائل وتنمحى الرذائل، وبها تستجلب المكارم وتستدفع المكاره، وبالعزة يرقى الفرد والمجتمع فلا ذلة لدنيا ولا خضوع لشهوة ولا خوف من ذي طغيان، وهي إحساس يملأ القلب والنفس بالشموخ والاستعلاء والترفع وهي



نابعة من الخير ولذلك فصاحبها يحترم المثل العليا ويقاوم الرذيلة ويناصر الفضيلة ويرجو الخير لكل الخلق.

والعزة ليست تكبرا ولا تفاخرا، وليست بغيا أو عدوانا ولا هضما لحق أعظم للإنسان، وإنما هي الحفاظ على الكرامة والصيانة لما يجب أن يصان، ولذلك لا تتعارض العزة مع الرحمة، وفي القرآن الكريم ما يشير إلى هذا حيث وصف ربنا بهما معا في أكثر من موضع بكتاب الله ومن ذلك قوله تعالى: "وإن ربك لهو العزيز الرحيم"، ولكي تتحقق للإنسان أو المجتمع هذه الصفة فلا سبيل إلى ذلك إلا بطاعة الله تعالى والسير على منهجه والاعتزاز بدينه وشرعته والدفاع عن حقه.

ومما يُظْهِر فضيلة هذه الصِّفة ومَزِيَّتها، أن الله تعالى قد سمَّى نفسه بها في كتابه: "العزيز"، أي: الغَالِب الذي لا يُقْهر، واتَّصف بصفة العِزَّة الذي تضمَّنها الاسم. كما أنَّه تعالى قد سَمَّى نفسه المعِزَّ، أي هو الذي يَهَب العِزَّة لمن يشاء من عباده، كما أنَّه يُذِلُّ من يشاء، (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(آل عمران: 26).

هكذا تكون العِزَّة الحقيقيَّة. العِزَّة في الحقِّ، وبالحقِّ، والتي يكون صاحبها عزيزًا ولو كان ضعيفًا مَظْلومًا، شامخًا ولو كان طريدًا مُستضَامًا، فتجده لا يركع إلا لله، ولا يتنازل عن شيء ممَّا أَمَره به، فهو يَعْتَزُّ بعِزَّة الله -تبارك وتعالى-، الذي يُعِزُّ من يشاء،



ويُذِلُّ من يشاء. فهذه هي العِزَّة بالحقِّ؛ لأنَّها اعْتِزَاز بمن يملكها، وإذعان له، وانتساب لشرعه وهديه. أعزني يا عزيز.



فضيلة القوة

يهمل الكثيرين أن القوة فضيلة كالصبر. فإذا كان الصبر ملاذ الإنسان من القنوط ودرعه ضد الشدائد فإن القوة هي التي تملك أمور الإنسان وحياته فهي الحكم الفصل في جميع الخلافات. والعدل هو القوة التي تخيف الظالمون.

والفضائل عند افلاطون أربعة: ثلاثة منها تدبر قوى النفس وهي:

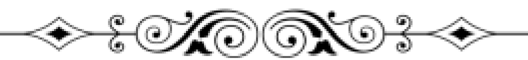
1- الحكمة فضية العقل تكمله بالحق، وهي أولى الفضائل ومبدؤها.

2- العفة فضيلة القوة الشهوانية تلطف الأهواء.

3- الشجاعة وهي فضيلة القوة الغضبية.

وقد رمز أفلاطون بقوى النفس الثلاث-أي الغضبية والشهوانية والعقلية- بالعربة ذات الجوادين فهما بمثابة القوتين الغضبية والشهوانية" أما من يقود فهو القوة العقلانية.

وإذا ما تحققت الفضائل الثلاث للنفس، تحقق فيها التناسب والنظام، ويسمي أفلاطون حالة التناسب هذه العدالة، وهي الفضيلة الرابعة عنده.



وعلى نفس المنوال جاءت نظريات فيلسوف التصوف الإمام الغزالي فالحكمة عنده هي فضيلة القوة العقلية ويعرفها بأنها "حال وفضيلة للنفس العاقلة وبها تسوس القوة الغضبية والشهوانية، وهي العلم بصواب الأفعال. وهذه الحكمة هي ضالة المؤمن.

إن قوة الأخلاق تغلب أخلاق القوة، وإن سخط الناس أو رضوا. وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول: "ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب".

وفضيلة القوَّة هي هبة من هبات الرّوح وإحدى الفضائل الإنسانيَّة.

الفضيلة بشكل عام هي استعدادٌ باطنيّ ثابت لفعل الخير تتيح للشَّخص ليس فقط أن يقوم بأفعالًا صالحة وإنَّما أن يعطي أفضل ما فيه. والإنسان الفاضل يسعى بكلِّ قواه الحسّيَّة والرّوحيَّة إلى الخير، ويمضي وراءه ويختاره قولًا وفعلًا. فالفضيلة اختيار حرّ وليس فرضًا أو أمرًا، ولابدّ وأن تتبعه اختيارات أخرى عديدة والتزامات متجدّدة. كما أن الفضيلة ليست مجرَّد مقاومة الخطيئة ورفضها، بل هي السُّلوك في عمل الخير. فلا يكفي أن لا أضرّ النَّاس، بل الانجح أن أخدمهم وأعينهم وأتعب من أجلهم. فهدف الحياة الفاضلة أن تكون مع الله في جميع الأحوال فعلا أو امتناعا. كما أن الفضيلة ليست مجرَّد فكرة ولا مثل أعلى، بل هي كالرّوح في الجسم يتفاعل معها

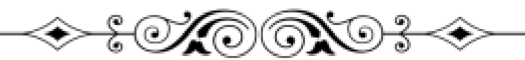


الإنسان ويعيشُها في عراكٍ مع ذاته. فلا حياة للفضيلة أن لم تُصبح واقعًا حيًّا وتاريخًا شاهدًا.

والخطأ الشائع أن فضيلة القوَّة تقوم في العنف، لأن أوَّل ما يتبادر إلى ذهننا، عند سماع كلمة القوَّة هو القوّة العضليّة، السّيطرة، السّلاح والعنف، وهذا طبقًا للمفهوم البشريّ، أمَّا فضيلة القوَّة الّتي يهبها الرّوح فهي مختلفةٌ تمامًا. لأنَّها قوَّةٌ داخليَّةٌ تحيي ولا تميت وتجعلُ الشَّخصَ أكثر شجاعة ليس ضدّ الآخرين وإنَّما ليختبر انتصار الخير على الشَّرّ، وفي نفس الوقت تجعلُهُ متواضعًا لأنّه لا ينسب شجاعتَهُ إلى نفسه بل إلى روح الله العامل فيه "قال عز من قال في آيات الذكر الحكيم: (أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ).

والقوي من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي لا يغلبه غالب ولا يرد قضاءه راد، ينفذ أمره، ويمضي قضاؤه في خلقه، شديد عقابه لمن كفر بآياته وجحد حججه. وقد ورد اسم الله القوي في القرآن الكريم تسع مرات أغلبها اقترنت فيها القوة بالعزة لله سبحانه وتعالى.

وإذا كانت قوة العقل(الحكمة) تساعدُ على معرفة واكتشاف إرادة الله، فإن قوة الجسد تعملُ على مستوى الإرادة، لأنَّ عملَ ما يوحي به الرّوح يحتاجُ إلى إرادةٍ. وهبةُ القوَّة تمكِّن الإنسان من العمل في وسط المحن والمضايقات، وهي لا تُلغي مجهودَنَا الشَّخصيّ بل تُعيِّنُ ضُعفنَا ونقصنا لمواجهة الصِّعاب والخوف.



وفضيلة القوَّة وحدها هي التي تمنح الشجاعة والصمود. فالقوَّة ضروريّة لمقاومة التّهديدات على اختلافِ أنواعها، وتجاوز الخوف ومواجهة الإعياء والملل من الحياة. وهبة القوَّة تمنح الإنسان الثِّقة والشَّجاعة والمثابرة الَّتي تناقض العناد والوهم والقساوة، ذلك لأنَّ قلب الإنسان يكون ثابتًا بالرَّبِّ. فالقوَّة الحقيقية ليست تجميع كل الطاقات النفسيَّة والأخلاقيَّة للقيام بعملٍ بطوليّ، إنَّما هي قبل كلّ شيء تسليم هادئ للذّات الإلهي وانتصاره، وهي انشراحُ القلبِ وسلامٌ داخليّ.

وهكذا فإن فضيلةَ القوَّة تُعبِّرُ عن نفسها بالوجه الأفضل، لا في الهجوم أو العدوانيَّة بل في المقاومة والصُّمود. فالمقاومة تكون في وجه اليأس الباطنيّ والحزن والملل، وهي حالات تشكّل عقبة أمام إيفاء الخير حقّه. فالإنتصار الدَّاخليّ يسبق الانتصار الخارجيّ.

وأعلى درجات فضيلة القوَّة هو الشهادةٌ حتَّى الاستشهاد. فالموت (الجسدي بمغادرة الروح للجسد أو المعنوي بالاتهامات والافتراءات والعزلة.. الخ) هو مصدر كلّ أنواع الفزع. وفضيلة القوَّة وحدها هي تتيح لنا مواجهة كلّ رسائل الموت بدون خوف. فالموت في هذه الحالة يكون استشهاد، والاستشهاد فرصة سانحة، تعبِّر فيها فضيلة القوَّة عن نفسها بالوجه الأسمى، فهو الفعل الأشدّ خصوصيّة وامتيازًا في القوَّة.

والحق أن فضيلة القوة ترتكز في نفس المسلم على عقيدة التوحيد, كغيرها من الفضائل التي تجعله يرفض الهوان في الأرض، لأنه رفيع القدر بانتسابه إلى السماء،



ولأنه يستطيع في نطاق إيمانه أن يكون أمة وحده: "قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين".

ومن فضائل القوة التي يوجبها الإسلام أن تكون وثيق العزم، مجتمع النية على إدراك هدفك بالوسائل الصحيحة التي تقربك منه، باذلا قصارى جهدك في بلوغ مأربك، غير تارك للحظوظ أن تصنع لك شيئا، أو للأقدار أن تدبر لك ما قصرت في تدبيره لنفسك. فكما جاء في الحديث الشريف عن سيد الخلق أنه قضى رسول الله بين رجُلين. فلما أدبرا قال المقضى عليه: حسبى الله ونعم الوكيل! فقال صلى الله عليه وسلم: أن الله يلوم على العجز! ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمرٌ فقل: "حسبى الله ونعم الوكيل". أى أن المرء مكلف بتعبئة قُواه كلها لمغالبة مشاكله حتى تنزاح من طريقه، فإن ذللها حتى استكانت له فقد أدى واجبه. وإن غلب على أمره أمامها بعد استفراغ جهده كان ركونه إلى الله عندئذ معاذا يعتصم به من غوائل الانكسار، فهو على الحالين قوى، بعمله أولا وبتوكله آخرا.

وكل قوة-مهما عظمت فيما عدا قوة المولى عز وجل-ضعيفة ما لم تكن موحدة. والمعرفة والقوة الإنسانية مترادفان. فالمعرفة في عصرنا هي مصدر القوة. ودائما وأبدًا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

<u>أكرم الاخلاق كظم الغيظ، فيها صبر وعفو وإصلاح واحسان، وأجره على الله</u>



ينبغي على من أُبتلي بمن يجهل عليه؛ أن يعفو ويصفح، ويكظم غيظه؛ لينال بذلك الأجر العظيم من الله تبارك وتعالى؛ مستشعرًا في ذلك ما أمره الله ورسوله به، وليكن له في نبينا الهادي وسلفنا الصالح الأسوة.

لذلك كان كظم الغيظ أكرم الاخلاق. تحصل به محبة الله ومحبة المؤمنين، وبه تُرفع الدرجات ويُدخل الجنات مع أعظم الثواب، وتُحط الخطيئات، ويقهر الشيطان ويحبط مكره، ويُعين على ترك الغضب ويُمرن على التحكم في النفس، ويبعد عنا العداوة وسيء الأخلاق، وينشر الاحسان وتتآلف به القلوب بإذن ربها. ومتلازمه العفو. وللعفو منزلة خاصة في مكارم الاخلاق لا يماثلها فضل فهو من درجات الاحسان، ولا يكافئها أجر حتى انه –وحده- سبحانه وتعالى هو الذي يثيب عليه. قال تعالى "فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ". ويقول نبينا الكريم "ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا". ومن أفضل الدعاء: "اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعفوا عنا". ويحتل العفو هذه المنزلة لما فيه من مقاومة للنزعة البشرية. فمن خصائص النفس البشرية الانتصار للنفس والكبرياء والنزوع إلى التقليل من شان الآخر. والمؤمن في سلوكه إلى الله عز وجل مُطالب بالتخلص شيئا فشيئا من رواسب هذه الأنماط السلوكية والتحلي بنقيضها من الصفات التي ذكرها الله عز وجل في القرآن الكريم، وحث عليها رسوله الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم في الأحاديث النبوية الشريفة. فمن الصفات التي ترفع المؤمن إلى المقامات العليا صفتا كظم الغيظ والعفو عن الناس. قال تعالى "سارعوا إلى مغفرة من



ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين".

والكظم لغة: حبس الشيء عند امتلائه، والغيظ: توقُّد حرارة القلب من الغضب وهو يغير الإنسان عند احتداده. والغيظ يؤثر على الجسد والنفس في أن معا. فمن الناس من يظهر عليه احمرار الوجه والعينين، ومنهم من يصفر لون بشرته من أثر انقباض الدم. والأثر على اللسان أقبح إذ ينطلق بالشتم والفحش الذي يستحي منه العاقل ويندم قائله عند سكون الغضب. وأما الأثر الجنوني فهو بانطلاق الضرب. وتأثير الغيظ على الباطن أشد من تأثيره على الظاهر، لأنه يولد الحقد في القلب والحسد وإضمار السوء على اختلاف أنواعه.

والكاظمون الغيظ هم الحابسون أنفسهم عن الاستجابة لبواعث الغضب وتنفيذ ما يقتضيه من القول أو الفعل. وكظم الغيظ اجتراع الغضب الكامن في الصدر وامتلاك النفس. أي حبس الغيظ والغضب وإمساكه وضبط النفس وعدم إنفاذ العقوبة للمسبّب له مع القدرة على ذلك، بل العفو والصفح عنه، والدفع بالتي هي أحسن. ولهذا فكظم الغيظ والعفو عن الناس من أمهات محاسن الأخلاق؛ ولم يبلغ كمال الاعتدال فيهما إلا الرسول صلى الله عليه وسلم. ومن أراد الاقتداء به والقرب منه ومن الله عز وجل، فليتحل بهاتين الخصلتين. أما من اتصف بأضدادهما فهو قريب من الشيطان اللعين الرجيم.



إن النفس عزيزة على عزة العقل الذي يرفض الظلم، لكن الشر المحض والخير المحض في هذه الدنيا مستحيلان. أن الموازين كلها مختلفة منقوصة في تقدير الناس أو تقدير الأعمال. ويتبقى دائما حكم الموقف الذي لا محيد عنه. والبلاء كله في خبث الناس وشدة خلافهم، وفي سر لا يكتم، وانتظار مفاجأة الأمر قبل المبادرة بذلك، والخضوع لحكم الضرورة الحازمة، وعندها يبطل الجدل ويبطل من قبله التدبير. فتنطلق شرارات الغيظ والغضب. وتنطفئ معها كل محاولة لتفهم موقف الاخر أو دوافعه أو حتى تقدير موقفه، وجميعها من أهم شروط ضبط النفس امام طوفان الغضب الذي لا يذر أمامه خير. والدفعة الحيوانية للغضب لها الوثبة العاجلة الأولى ولا يلجم زمامها إلا الثبات للعقيدة التي يلوذ به الإنسان بعد المراجعة، وللضمير الذي يثوب اليه المرء بعد الامتحان. فهي لهذا تنفع صاحبها في المحنة وبعد تبين الشده، وتستعيد قوى النفس وتستخرج ذخيرتها الطيبة من أعماقها.

ومسالك كظم الغيظ متعددة أهمها العفو عند الخصام والذي يتجلى في صمت المظلوم، ومقابلة السوء بالخير وهؤلاء جزاءهم الجنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "هؤلاء يعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويواسون مما آتاهم الله"، وتصديق ذلك في كتاب الله: "والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين". ومن الأسباب التي تعين على كظم الغيظ دعاء الله عز وجل واحتساب الأجر والثواب عند الله عز وجل، والاستعانة بالصبر والصلاة، واللين والرفق بحق المخطئ، والرحمة بالمخطئ والشفقة عليه، وتربية النفس على الرضا والصبر،



وحسن الظن بالآخرين والثقة بهم، وتجنّب السرعة في الحكم على الآخرين، وسعة الصدر، والسمو بالنفس وعدم جدال الجاهلين، وقطع الطريق على المسيء من البداية بتجنّبه، وحفظ المعروف والخير السابق للمسيء، والتقليل من الكلام حال الغضب. تذكر وصية الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بعدم الغضب. ودعائه صلى عليه وسلم "اللهم إني أعوذ بك من الشقاق، والنفاق، وسوء الأخلاق". بل وطلبه صلوات الله وسلامه عليه للغاضب تغيير الحالة التي يكون عليها المرء كأن يجلس إذا كان واقفًا (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع)، واللجوء إلى الوضوء لإطفاء نار الشيطان (قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: أن الْغَضَبَ مِنَ الشّيْطَانِ، وَإِنّ الشّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النّارِ، وَإِنّمَا تُطْفَأُ النّارُ بالمَاءِ، فإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُم فَلْيَتَوَضّأْ) أو ترك مكان النزاع والذهاب لمكان هادئ أن استطاع. كما أن من وسائل ضبط النفس تعلم العلم النافع، وضبط اللسان، ومعرفة عواقب الأمور. ويتمكن منها من يتصف برجاحة العقل، ويجلب نفسه على الصبر والتقوى، ويربيها التربية على حسن الخلق، والإعراض عن الجاهلين. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" وكان عليه الصلاة والسلام ينهى عن الغضب وطلب الانتقام والحمق. فالغضب يجمع الشر كله.

ومن محاسن الإسلام أن شَرع فيه أن يُعاقِب بمثل ما عُوقِب به، لكنه لم يقف عند ذلك –كما في الشريعة اليهودية- انما أرشد المؤمنين لما هو أفضل، وهو كظم



الغيظ وجعل ثوابه كبير وأعده من شعب الإيمان (الشعبة 66- أول الصبر وتحمل الأذى). فأوصى عباد الله الصالحين أن تترقرق الرحمة في قلوبهم، وأن يتعاملون مع الكون وكأنه حي مدرك، ويتعاملون معه برفق، كعبد من عباد الرحمن؛ يمشي على الأرض هونًا، ويعتذر لخلق الله، ويقدر حالهم من الجهل والجهالة «وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا» يسلمون من الناس، ويسلم الناس منهم بصبرهم وحلمهم؛ فلا يعتدون عليهم بمثل ما يُعتدى عليهم بل إنهم يصبرون لله وبالله. وثوابا لهم أعد الله لهم نعيما مقيما جنات عرضها السماوات والأرض يتمتعون فيها كيف يشاءون كما جاء بآيات الذكر الحكيم. كما يرفعهم الله عز وجل إلى مقام المحسنين ويشرفهم. "والله يحب المحسنين". ويخصص لهم أفضل الثواب بالجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيِّرَه من أي الحور شاء". وقال "من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات، فليعف عمن ظلمه، ويعط من حرمه، ويصل من قطعه". ويدخلهم الجنة بغير حساب. قال تعالى "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"، وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان أجره على الله فليدخل الجنة. فيقال من ذا الذي أجره على الله. فيقوم العافون عن الناس يدخلون الجنة بغير حساب". وكذلك يخصهم الله بالملء إيمانا وأمنا. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من كظم غيظًا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله جوفه أمنًا وإيمانًا". وقال صلى الله عنه وسلم (من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن خزن لسانه ستر الله عورته ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره)، فالغضب عيب فمن منع غضبه أي منع عيبه عن الناس يكف الله تعالى عنه عذابه.



وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تغضب ولك الجنة". فالجزاء من جنس العمل، فكما كظم غيظه ولا أحد يعلم ما له يدعوه الله على رؤوس الخلائق يشاهدونه وهو يخير في الحور العين.

من ناحية أخرى فإن آثار كظم الغيظ متعددة بنيل مغفرة الله عزّ وجلّ ومحبّته والحصول على الأجر العظيم في الدنيا والآخرة. وقد ورد بالأثر يقول الله تعالى: يا ابن آدم اذكرني إذا غضبتَ، أذكرُكَ إذا غضبتُ فلا أُهلكَكَ فيمن أُهلِكُ. ويكفي انه يملء القلب رجاءً بيوم القيامة في الآخرة، ويكتب النجاة من التصرف الخاطئ المتسرع الذي يجلب الندامة في الدنيا. وفيه التغلب على الشيطان الرجيم والانتصار على وساوسه وإفقاده الأمل من الوقوع في المعاصي، والأهم تحقيق تقوى الله عزّ وجلّ. وفوائده جليلة أهمها تدريب النفس على التحمل والصبر، والتحلي بخلق كريم من مكارم الأخلاق، والشعور بالسعادة وراحة النفس، وكسب محبة الآخرين وتحويل الأعداء إلى أصدقاء ومحبّين، والفوز بدرجة كاظمي الغيظ، والتفكير بحكمة ورويّة وإيجاد الحلول الحقيقية للمشكلات.

كما أن لكظم الغيظ من الآثار الإيجابية التي تتبع خصلة العفو والصفح، ودلالتهما واحدة غير أن الفرق بينهما دقيق، فالعفو هو التجاوز عن المذنب وترك العقاب وأصله المحو والطمس أي التجافي عن الذنب. قال تعالى: فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ، (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى). وأما الصفح فهو أبلغ من حيث التجاوز وترك التأنيب، فقد يعفو ولا يصفح، وصفحت عنه أوليته مني صفحة جميلة معرضا عن ذنبه بالكلية



ولذلك قال تعالى: "فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ". ومن أعلى وسائل العفو والصفح وثمراته كظم الغيظ، لذلك وصف الله المتقين من المؤمنين، الذين وعدهم الله تعالى المغفرة منه والرحمة وجنات المقيم بالكاظمين للغيظ فهؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم. (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) يدخل في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحسانا إليهم، وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير. قال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

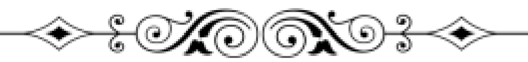
ومن المفيد هنا التفرقة أيضًا بين الحلم وكظم الغيظ فالحلم (سيد الأخلاق) أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفًا. ويظهر من خصلة كظم الغيظ كلفة واضحة يحتاج إلى الاكتساب والعمل والتدرب والاجتهاد، مما يجعل التحلي به صعبا،



لا سيما حين تتهيأ للإنسان أسباب إمضاء الغيظ ثم يكف عنه طلبا للأجر والثواب العظيم من الله تعالى، لذلك جاء الأجر بهذا الحجم.

ونفرق هنا أيضا بين الغضب والحزن. فكظم الغيظ يسبب غضب وليس حزن؛ لأن الحزن نقص، والغضب في محله كمال؛ فإذا اغتاظ الإنسان من شخص وهو قادر على أن يفتك به، ولكنه ترك ذلك ابتغاء وجه الله، وصبر على ما حصل له من أسباب الغيظ؛ فله ثواب كظم الغيظ. والغَيْظ: أصل الغَضَب، وكثيرا ما يتلازمان، لكن الغضب يتبعه إرادة الانتقام البتة، وليس الغيظ دائما كذلك. ولذلك فسَّر بعض النَّاس خطًأ الغَيْظ بالغَضَب، في حين أن الغَيْظ: فعل النَّفس، لا يظهر على الجوارح. والغَضَبُ: حالٌ لها معه ظهورٌ في الجوارح، وفعلٌ ما ولا بدَّ، ولهذا جاز إسناد الغَضَب إلى الله تعالى، إذ هو عبارة عن أفعاله في المغضوب عليهم، ولا يُسْند إليه تعالى غيظٌ". ويحرص الشيطان دائما عند المنازعات والخصومات على أن يثير غيظ بني آدم وغضبه؛ لأن ذلك يُسَهِّل سيطرته عليهم، ويدفعهم بذلك إلى شرورٍ غير متوقعة. ومن هنا كان من سُنَّة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يمنع كيد الشيطان بكظم الغيظ وعدم إنفاذه، والترغيب في ذلك بالمنزلة العالية يوم القيامة، بل وأن يربط صلوات الله وسلامه النصر على الأعداء بالصَّبر عند الغَضَب، والعفو عند الإساءة. حيث قال: "فإذا فعلوا عظَّمهم عدوُّهم، وخضع لهم".

وهنا لا بد أن نقف عند المحظور عنه في كظم الغيظ، وهو العفو عن الظالمين. فالانتقام له موضع يحسن فيه، والعفو له موضع كذلك، وإيضاحه أن من المظالم ما



يكون في الصبر عليه انتهاك حرمة الله، فالانتقام في مثل هذه الحالة واجب، وعليه يحمل الأمر (فَاعْتَدُواْ) الآية، أي كما بدأ الكفار بالقتال فقتالهم واجب، بخلاف من أساء إليه بعض إخوانه بكلام قبيح، ونحو ذلك؛ فعفوه أحسن وأفضل، وقد قال أبو الطيب المتنبي: إذا قيل حلم قل فللحلم موضع *** وحلم الفتى في غير موضعه جهل.

<u>كف الأذى عن الناس صدقة، وترك السخرية بالناس أفضل عبادة</u>

لو أن قابيل كف أذاه عن أخاه هابيل لما عرفت الانسانية أول جريمة في الخليقة. ولو اننا قابلنا الاساءة بالحسنة لما انتشر سوء الخلق. ولكن من منا قادر على ما فعله الأخ الصالح المؤمن حين قال: "لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين".

عبادة كف الأذى عن الناس هي افضل العبادات على الاطلاق، فقد سؤل رسول الله: أي الإسلام أفضل؟ فقال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده"، وفي الحديث: "وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ" قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ". وبهذا بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم قربة وعبادة يغفل عنها كثير من المسلمين، وهي عبادة كف الأذى عن الناس، فإننا كما نؤجر على فعل الفرائض والطاعات، فإننا كذلك نؤجر على كف الأذى وصرف الشر عن الناس، لأن الإسلام جاء لكي يرفع الأذى والضرر والشر عن خلق الله، لكي يعيشوا في راحة وطمأنينة وأمان. وقد عرَّف الرسول المسلم بأنه "منْ سَلم الناسُ من لسانه ويده"، وقد



خص اللسان واليد بالذِّكْر هنا؛ لأن أغلب الأذى يقع على الناس بهما، كالذي يسب ويشتم ويكفِّر ويبدّع المجتمع، وكالذي يرفع السلاح على الآمنين ويرْهب الناس شرقًا وغربًا، أو يستخدم قلمه في أذى الناس بكلمات السوء وأخبار الشر وأهله. وقال رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم-: «مَن كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلا يُؤذِ جَارَهُ، وَمَن كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيُكرِمِ ضَيْفَهُ، وَمَن كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَسْكُتْ». وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن العبد ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدميه". وقال عليه الصلاة والسلام: (لا يتناجى اثنان دون واحد، فإن ذلك يؤذي المؤمن، والله عز وجل يكره أذى المؤمن). فحتى أقل الضرر وهو أذى الاحساس نهانا الاسلام عنه، وما أبعد ذلك عن حالنا وحال الناس في عصرنا ممن استباحوا تبادل البذاءات والشتائم في حوارتهم، وصارت الكلمات سهام تخترق كل شيء، وأصبح من اسهل الاشياء أن تجد حوارا هابطا ساقطا على لسان اطفال صغار، وكأننا فقدنا حتى "شياكة" الكلام بعد أن كنا نتنافس في صياغة الكلمات الراقية والاعتزاز بلغتنا العربية المترفعة التي نسيناها كما نسينا من قبلها قيم النظافة والجمال والذوق الرفيع والفكر النافع وحسن الخلق والرحمة وغيرها من مفاتيح الخير.

ويعدل كف الشر والأذى في الإسلام الصدقة بالمال، فقد أوصى الرسول الكريم أصحابه فقال: "تكُفُّ شركَ عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك". وتوعد الله تعالي المؤذيين، قال عز من قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾، وقال: «إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا أن اللَّهَ لَا يُحِبُّ



كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ». وجعل الأذية سبب من أسباب الإفلاس يوم القيامة فقال رسول اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: «أتَدْرون ما المفلس»؟ قالوا: المفلس فينا من لا دِرْهم له ولا متاع، فقال: «إنَّ المفلس مِن أُمَّتِي يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مال هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإنْ فَنِيَت حسناتُه قبل أن يقضى ما عليه أُخِذ من خطاياهم، فطُرِحَت عليه، ثُمَّ طرح في النَّار». كما ذُكرت امام رسول الله إمرأة تكثر صلاتها وصيامها وصدقتها، غيرَ أنها تُؤذي جيرانها بلسانها. قال: "هي في النار"، فهذا وعيد شديد لمن اعتاد على إيذاء الناس، وإن كان من أهل الصلاة والصيام والصدقة. ولقد وضع الإسلام قانونًا واضحًا للأخلاق المحمودة وكذا المذمومة، والعاقل من يتمثّل ما حُمِد ومُدِح من الأخلاق، ويبتعد عمّا ذُمّ منها، فكان من أخطر منكرات الأخلاق التي بغّضت رسالة الإسلام الناس فيها: إيقاع الأذى بالآخرين ماديا ومعنويا، كبيرا كان أو صغيرًا. فمن أعظم قيم الإسلام الاجتماعية: رفع الأذَى عن الآخرين، بما يوثّق عُرَى المحبَّة بين أبناء المجتمع الواحد؛ ففي الحديث الشريف "طُوبَى لعبدٍ جعله الله مفتاحًا للخير، مغلاقًا للشر، وويلٌ لعبدٍ جعله الله مفتاحًا للشر، مغلاقًا للخير". وأمر عليه الصلاة والسلام بإفشاء السلام، وقلة الكلام إلا فيما يعنيهم. فالساعي بالخير بين الناس والذي يصرف أذاه عن الآخرين يعي جيدا أنه بذلك عابد لله تعالى، سائر على نهج الأنبياء والصحابة والمصلحين من بعدهم.



وكل صور الأذى محرمة شرعًا، ماديا وحسيًا كان أو معنويا، مرئيا كنشر الصور السيئة والعارية والفاضحة على الناس عبر الإعلانات والسوشيال ميديا مثلا، أو مسموعا كالسب والشتم والكلمات النابية والأصوات العالية للأغاني والموسيقى، أو مشموما كالروائح الكريهة التي يصر البعض على إشاعتها عبر الشرب أو الرشّ أو الشمّ، أو محسوسًا كإلقاء القمامة والقاذورات وتعريض المجتمع والشارع للأذى المحسوس من هذا النوع. وسواء كان الأذى بالاعتداء على الناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، أو الأذى باللسان كالاستهزاء واللمز بالألقاب والسخرية بالآخرين، والطعن في أنسابهم، والتنقيص من شأنهم، والتعيير بما فيهم من عيوب، ويشمل كذلك ما هو منتشر في مجالس الناس، وهو الغيبة، بذكر الغائب بما يكره. وفي كل هذا نهي صريح من المولى عز وجل. قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن أن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه واتقوا الله أن الله تواب رحيم" وقال: "يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون". وسؤل رسول الله صلى الله عليه وسلم "وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟" فَقَالَ: "وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ"، وقال عليه الصلاة والسلام: (يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإيمان قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ).



كما أن كف الأذى عن الناس في الطريق لا يقل أهمية عن باقي الأذى الممنوع شرعًا، لما ذكر الله تعالى من صفات عباد الرحمن بقوله "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا"، وقال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ). أي أن الأمر يحتاج لمراجعة من كل صاحب همة لوقف هذا التدهور والتغير في الحوار والسلوك الذي ينم عن أخلاق غير سوية وينتشر في الطرقات والشوارع.

وهنا لا بد أن نعرف أن من أفضل أعمال كف الأذى عن الناس هو حفظ اللسان وترك المرء الكلام فيما لا يعنيه لما فيه من ستر للعباد. قال تبارك وتعالى: "وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة"، فأما الظاهر فالإسلام والقرآن، وأما الباطنة فما يستر من العيوب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يصيب العبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن العبد ليقول الكلمة لا يقولها إلا ليضحك بها أهل المجلس، يهوي بها أبعد ما بين السماء والأرض، وإن الرجل يزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدمه". وفي قلة الكلام كل الستر للمرء على نفسه وعلى غيره. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نفس عن مؤمن كربة نفس الله تبارك وتعالى عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة". وقال أيضا: "لا يرى امرؤ من أخيه عورة، فيسترها عليه؛ إلا دخل الجنة".



وقال صلى الله عليه وسلم: "إنك أن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم". وقال: "سلوا الله أن يستر عوراتكم، ويؤمن روعاتكم".

والصبر على أذى الغير هو من علامات قوة الإيمان، وصفة من صفات الرجال، فقد قال تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ*وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ*إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ*وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ أن ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}، وقال تعالى: {وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}. وقال تعالى: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا}. وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ". ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عفا عن أهل مكة وقال لهم: أقول لكم كما قال أخي يوسف صلى الله عليه وسلم: {لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}.

إلا أن ثواب كف الأذى أكبر من الصبر عليه، فهو أولًا: سبب من أسباب دخول الجنة فقد قال رسول اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم: «مرَّ رجلٌ بغصن شجرةٍ على ظهر طريقٍ، فقال: والله لأُنَحِّيَنَّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم، فأُدخِلَ الجنَّة» وسؤل رسول الله على عملٍ يُدخِلُ الجنة، قال: «اعزِلِ الأذَى عن طريق المسلمين». الثاني: الأمان من عذاب الله تعالى ووعيده الشديد الذي جاء في قوله عزّ وجل: "مَن عَادَى لي وَلِيًّا فَقد آذَنتُه بِالحَرْب". وثالثًا: إثبات إسلام العبد وفقًا لما ورد من أن المسلم حقًّا من صرف أذى



لسانه ويده عن الناس، بل ويعدّ من كف أذاه عن الناس من خير المسلمين، كما ثبت في نفس الحديث؛ حين سُئل الرسول عن أي المسلمين خير؟ فقال: "من سلِم المسلمون من لسانه ويده". ورابعًا: عدم حبوط العمل أو الإفلاس يوم العرض على الله–كما نعلم من السنة المباركة-في حديث المفلس. وخامسًا: شيوع السلام الاجتماعي بين الناس فالمجتمع المتآلف لا تُفسده المتغيرات مادام كل فرد من أفراده يكف أذاه عن الآخرين؛ فالأذيَّة ثقب في سفينة المجتمع السائرة الآمنة، وأن تعدّد الأذى بين الناس إنما هو تعدد في ثقوب السفينة، ولا شك أنها ستغرق حتما ولا بدّ.



الصمت، الفضيلة الغائبة، عبادة المحبين

قال النبي صلى الله عليه وسلم ″أربع لا يعطيهن الله إلا من أحب الصمت وهو أول العبادة، والتوكل على الله، والتواضع والزهد في الدنيا".

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدَّته"، وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه". وكان النبي صلى الله عليه وسلم طويل الصمت، كثير الذكر. ويقول سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ندمت على الكلام مرات ولم اندم على الصمت ولو مرة. وهكذا لو كان الكلام بطاعة الله من فضة، فإن الصمت عن معصية الله من ذهب. وهذا يرجع إلى أن الكف عن المعاصي أفضل من عمل الطاعات.

فالصمت هو أقوى سبل التعبير عن الرأى ورفض الظلم والترفع عن الخطأ -حتى فيمن أخطأ في حقك- وهو ما أمرنا الرسول الكريم "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت". وذلك لأن لـ"فعل"الصمت" قوة وعظمة كأسلوب مقاومة يملكه حتى العاجز الضعيف. الصمت في ساعات كثيرة يكون أكثر معنى، فأحيانًا صعوبة الشرح تجبرنا على الصمت. فالصمت يمنحك طاقه قويه للتفكير بعمق في كل ما يحصل حولك والتركيز بعقلانية على اجابتك، ويولد في المواقف الصعبة



الاحترام، بعكس الصراع والجدل الذي يولد التنافر والحقد، كما يعلمنا الصمت حسن الاستماع الذي يفتقده الكثيرون، ويجرد الخصوم من القدرة على مواصلة الكلام، فهو يعد هجوما مستترا، فتكون الأقوى من دون كلام. فهو يدفع من تواجهه به –إذا ما كان عاقلا- بالتفكير في أسباب الصمت ويجعله يصل –بنفسه- إلى تصحيحها وتعويض وإصلاح الخطأ ورد المظالم وإرضاء الضمير ولوم الظالم وإنصاف المظلوم. وللصمت "هيبة" وعظمة تتجلى في اوضح صورها في صمت الموتى، فالجثة الهامدة –وهى في ذلك عاجزة صامته- تثير بسكونها كل المشاعر (خوف وفقدان ورهبة ورغبة... الخ) وتجذب كل العيون ويلتف حولها الجميع صمتى. والحداد بالصمت –ولو دقائق- هو لغة عالمية للإحترام الكامل للموت والحياة معًا. يقول الرومي مع الزمن يتحول الألم إلى حزن، ويتحول الحزن إلى صمت، ويتحول الصمت إلى وحدة ضخمة وشاسعة كالمحيطات المظلمة تغرق فيها النفوس الحزينة. فالصمت–وهو اول المحبسين-مؤلم لأنه نوع من أنواع الموت.. خاصة حينما تصمت والحزن القاسي يعتصر قلبك، وتصمت عن حقك فيمتلأ قلبك بالقهر وروحك بالكراهية.

وهنا يجدر التذكير أن الصمت عن اللغو فيما هو غير نافع عبادة فهو صوم عن الكلام، ويأتي الصوم في اللغة محتويا على معنى الامتناع عن الكلام؛ والصوم هو "الإمساك عن أي فعل أو قول كان". وقد يجيء "الصوم" بمعنى "الصمت" بشكل مباشر كما قال ابن عباس رضي الله عنهما بشأن التوجيه الإلهي لسيدنا زكريا عليه السلام إلى الصوم عن الكلام مع البشر {قَالَ رَبِّ اجْعَل لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ إلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ



سَوِيًّا}، وكذلك للسيدة مريم إلى الصوم عن الكلام في التعبير القرآني: "إني نذرت للرحمن صوما، فلن اكلم اليوم إنسيًا". ويرفع الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) من قيمة هذا الصوم في ترجيحه لدرجات الصوم بقوله: "صوم القلب خير من صيام اللسان، وصوم اللسان خير من صيام البطن". ولفوائد وآثار "الصوم عن الكلام" حضور واسع في الحضارات والفلسفات والأديان، وتاريخ طويل؛ فبالعودة إلى الفراعنة نجد أن "الإنسان الصامت" في مصر القديمة هو الأكثر حكمة، وهو الذي يحظى بحب وعطف ومساندة الآخرين، وينجو من المهالك والمصائب. ويأتي على النقيض تماما الإنسان "الثرثار"؛ فهو تافه وأحمق، وبالتالي هو من الهالكين المطرودين خلف قافلة الرحمة الملكية! أما العرب فإنهم رفعوا أيضا من قيمة "الصوم عن الكلام" أو "الصمت النبيل"؛ فتقول الأمثال العربية: "إذا كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب"، ويقول آخر: "خير الكلام ما قل ودل"، ويقول الشاعر: "الصمت زين والسكوت سلامة". كذلك فقد استخدمت الحضارات الآسيوية "الصوم عن الكلام" و"الاسترخاء" في أساليب العلاج وخاصة في إطار اليوجا. كما التفت الدراسات العلمية الشرقية والغربية إلى فؤائد الصمت النفسية فأكدت الدراسات الحديثة أنه أفضل وسيلة لعلاج التشتت الذهني، والتفكير المتسارع المتشابك المتوتر، والقلق المتواصل حتى أثناء النوم وهو بذلك يطهر النفس ويريح العقل، حتى أنه ظهرت بعض الجماعات في الولايات المتحدة التي "عبدت" الصمت.



ولا يقتصر دور الصمت وفعاليته على مجالات التعامل في الدين والأسرة والعمل والمجتمع بل يلقى إزدهار ودورًا كبيرًا في مجال السياسة والاعلام في عالمنا المعاصر، وهو دور مناقض لما كنا نعرفه من التعبير عن الرفض السياسي بمسيرات الاحتجاجات والهتافات أو حتى الشغب وتدمير الممتلكات. والصمت هنا يمارس كفن من فنون التعبير وتظهير المواقف الاعتراضية والانتقادية، من خلال اتقان عملية "دبلوماسية الصمت" -كما يصفها جورج كلاوس- وحرفية الصمت الموظف. فيكون الصمت الاعتراضي، معارضة هادئة وذا سلوكيات رصينة تتوافق ومبادىء اللياقة وادبيات التصرف الراقي والمسئول، في بيئة مؤهلة للتعامل مع فن الصمت والحكم له أو الحكم عليه.

إن تقنية توظيف الصمت أو الصوم الامتناعي عن الكلام كفن تعبيري ذي دلالات، تستلزم معرفة عميقة باتقان فنون ممارسته بما يخدم الخطاب الاعلامي والموقف السياسي الظرفي، حيث على المرء أن يعرف، "متى يتكلم"؟ و"متى يصمت؟" وبالتالي عليه أن يحسن فن التوقيت الانسب للصمت والصوم، مع ما يتطلبه ذلك من تمييز بين "معنى الصمت" كحق ديموقراطي في الانظمة الليبرالية الحرة و"ممارسة الصمت" كحالة خضوع قمعي، وإذعان طوعي في الانظمة الشمولية والديكتاتورية. فالصمت عن اي كلام هو موقف عام، له تفسيراته وتبريراته، اما الصمت عن الكلام ظرفيا، فهو موقف سياسي استثنائي، له استثماراته، وتوقيته، واستراتيجيات استخداماته كأسلوب تعبيري، يمكن فهم دلالاته في سياق التمييز بين "الغياب عن



الكلام" و"التغييب عن الكلام". وديموقراطية الصوم عن الكلام في المجتمعات السياسية الديموقراطية، تقنية ناجحة لرسم استراتيجية الأداء السياسي ومعالجة القضايا الحرجة والأمور الخلافية في زمن النزاعات الذي يكثر فيه تنوع التوجهات واختلاف المبادىء، فالصمت أو الامتناع الطوعي عن الكلام، بما يحمل ذلك من مواقف واضحة تستحق التفسير والتأويل والقراءة التحليلية، يشكل السلوك الاعلامي الأكثر شيوعًا واستخداما في الخلافات السياسية الداخلية والنمط التعبيري الأكثر حرفية في اعلام الازمات. أن مفاصل الصعوبة في تحليل رموز الكلام ومضامين الخطاب السياسي، هي في محاولة فهم "المسكوت عنه" أو "اللامقال" "في النص والكلام. وهكذا أصبح السائد حاليا في الدول الديمقراطية مسيرات الصمت، وهي أشد رهبة، وأروع منظرًا وأعمق أثرًا من غيرها من المسيرات الصاخبة، وبها نرى أروع صورة للتضامن البشرى والتمثيل الانساني والديمقراطية الحقة، حيث يتساوى في هذه المسيرات الفقير والغنى، الخطيب المفوه والفرد العادي، المناضل والمواطن، القوى والضعيف، فالمحك هنا التواجد والمشاركة لأن المتحدث هنا ليس اللسان ولكن العقل! العقل الذى ميز به الله الإنسان عن غيره من المخلوقات فأساء الإنسان استخدامه مرارًا، ونساه كثيرًا، وتجاهله وأعمل القوة الغاشمة غالبًا، وترك الحوار دائمًا فحق عليه الآن أن يصمت "صمت الحملان" لكي يستعيد سلامته مع نفسه أولًا ثم مع غيره.

إن الصمت هو بداية العمل ولا يجب أن نستهين به، وهو انذار لغضب شديد وصبر عميق له آخر، فكما علمتنا الطبيعة أن الهدوء دائمًا يسبق العاصفة الشديدة



أما الزوابع بأصواتها المرعبة فضارة وإن كان بعضها غير مؤثر. وكل هذا يجعل الصمت كفعل في منزلة أعلى من تلك التي للأقوال. وكما يقولون فوائد الصمت سبعة، الأولى: عبادة من غير عناء،الثانيه: زينة من غير حلي، الثالثة: هيبة من غير سلطان، الرابعة: حصن من غير حائط، الخامسة: الاستغناء عن الاعتذار لاحد، السادسة: راحة للكرام الكاتبين، السابعة: ستر لعيوب الجاهلية. أما عن عيوب الكلام فكثيرة ومن أفضل من ذكرها ملك الهند القديم حين قال"عجبت ممن يتكلم بالكلمة. أن كانت له لم تنفعه، وان كانت عليه، أوهنته! ورب سكوت أبلغ من أى كلام.



عابر سبيل

من حكمة الله في خلقه أنه كتب عليهم الرحيل والترحال، وجعل السير في الأرض هو منطق السعي في الحياة {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ أن اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(العنكبوت20)، والأمر الرباني بالسعي في الأرض ارتبط بطلب التعرف على ما حولنا من مكونات سواء كانوا خلقًا أو مخلوقات وجعلها آيات لنا تثبت قدرته ورحمته بنا. وهكذا أصبحت رحلة حياتنا تنقلًا وترحالًا - حتى لو لم نغادر أماكننا- لنكون سوّاحين ذوي مواصفات خاصة،فرحلتنا قائمة حتى لو كانت في المكان نفسه وقاعدتها الأكيدة هي التغير «فسبحان الذي يغير ولا يتغير» وقانونها هو السعي المستمر.

عابر السبيل إنسان قادته الفطرة لمعرفة متعة العبودية الربانية «فمن ذاق عَرَف ومن عَرَف اغترف»،واتبع حكمة الله في خلقه{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إلا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات56)،وعرف أنه لن يناله إلا ما كتب الله له من خير أو من شر، وأنه لو اجتمع أهل الأرض جميعًا كما قال رسولنا«على أن يضروك بشيء فلن يضروك إلا بما كتب الله عليكَ، رُفِعَتْ الْأقلام وجَفَّتْ الصُّحُفُ». وبهذا امتلك عابر السبيل قوة لم تُعطَ لأحد، فهو واثق بأن ربه لن يضيعه أبدًا «وواثق الخطوة يمشي ملكًا»، وغير طامع في فائدة ترجي من مخلوق {وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ*إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ*وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ} (الليل19-21).. ولهذا فهو يجول ويصول ويمر على أحداث هذه



الدنيا بمنطق الراحل عنها المتجول بين جنباتها -منطق غير المقيم- وهو منطق عظيم الفائدة به منتهى الحكمة والسيطرة على متغيرات الأمور. ومع هذا التوجه الأخروي فإن عابر السبيل-على عكس ما قد يتوقعه الكثيرون-يستمتع بأقصى درجة بدنياه، فكأن الله كتب له خير الدنيا والآخرة واستجاب لدعاء فريقه"رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَة وَفِي الْآخِرَة حَسَنَة وَقِنَا عَذَابَ النَّار "(البقرة: 201).. فعابر السبيل ليس بعاكف أو متصوف ترك الدنيا وهو فيها وتخلى عن مُتعها،بل على العكس من ذلك يعبد ربه بالاستمتاع بما خلقه له من نِعَم فيجعل تمتعه بها حمدًا لخالقه عليها، ولهذا نجده يستخدم نِعَم الله كما قدرها لنا-في استخدامها الصحيح-من دون إسراف أو تبذير ومن دون تقتير أو شح منبوذ.

وأخيرًا، فإن عابر السبيل هو دائمًا ساعٍ على باب الله، حالم وآمل بالمثالية، لكنه في الوقت نفسه يصل إلى أعلى درجات الواقعية،فهو يرى بشفافية وبفطرة أمورًا يعجز عن رؤيتها كثيرون،ويدرك ببراءته وبتلقائيته حقائق يعجز عن إدراكها العباقرة والمحنكون. ولهذا فهو عند ربه من المكرمين المبشرين من المؤمنين ممن ذكرهم الله حين قال {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} (التوبة: 112).. فليتنا نكون من هؤلاء «السائحين» في ملكوت الخالق.. التائبين،فهكذا نَفِرُّ من الذنوب ونسير في الدنيا.. عابري سبيل.. على باب الله.



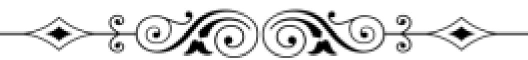
سنظل نصلي ونغني حتى نعود إلى الحياة!

يقولون: "وبضدها تتميز الأشياء"، والموت حولنا في كل مكان. فأين الحياة!

لم يعد يمر يوم في حياتنا حتى نجد الموت يطاردنا في كل مكان، مرة وباء، وأخرى قضاء. تارة انفجار، وغيرها اهمال.

أيامنا أصبحت بلا أغانٍ! والاغاني هي صلوات الشعوب. الصلاة دعاء الفرد لربه، والغناء نداء الجماعات، ولهذا عندما نفقد الأمل أو تشغلها الأحزان، تتوقف الصلوات، ونتوقف عن الغناء.

نعم بإرادتنا وحدنا وخبرات الشعوب سنعود لنصلي فرادى، ونغني في جماعات. والإرادة ليست بالكلمات فيراها المثل الفرنسي: «الإرادة هي القدرة»، في حين يراها المثل الإنجليزي في العمل «الإرادة هي الفعل»وهي في تعاليمنا «العزيمة»: «إذا عزمت فتوكل على الله» وفي قوله (عليه الصلاة والسلام): «اعقلها وتوكل». وسواء كانت الإرادة هي القدرة أو الفعل أو العزيمة المُلازم لها التدبير والنية الخالصة لله فإنها نقطة البداية في كل الحالات؛فكل أحداث حياتنا يمكن النظر إليها كفرصة أو تهديد، والأذكياء فقط هم القادرون على تحويل الحدث من ظاهره كتهديد إلى فرصة، بل وفرص متعددة. وكم من حدث ظاهره العذاب وباطنه الرحمة.



نعم امتلأ عالمنا بكل آثار التخلف الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والسياسي، والأخلاقي، والفساد بكل أنواعه هو أعلى درجات التخلف الديني والأخلاقي لأنه يعني إضاعة حقوق الناس والتعدي على مستحقاتهم وفقدانهم آمالهم في مستقبل أفضل عن طريق عملهم وعلمهم. أما المعاملات الفاسدة فهي منتهى الظلم الذي لا يرضاه أيّ دين. وعلينا أن نساعد أنفسنا لتغيير ذلك وهو ليس بالأمر المستحيل. فالتقدم لا لون له ولا دين، ولكنه عمل وعزيمة الشعوب.

ويؤكد التاريخ أن تضافر الجهود الفردية هو سبيل رُقي الشعوب، فالفرد مهما بلغ من نية خالصة وعمل متواصل وتفكير منطقي لا يمكنه أن يحقق تقدم شعب مستكين لا يبالي بما هو فيه، فكم من زعماء مخلصين لديهم العزم والبصيرة مضوا دون أن يحققوا التقدم المطلوب، وعلى العكس كم من زعماء تمكنوا من تخريب دولهم والمساهمة في زيادة عجزها وشَللها في فترة قصيرة. وبالتالي فدور المبادرات الفردية أساسي -لكنه غير كافٍ- وهذا الدور يلقي بعبء كبير على العلماء والمثقفين، ويقرر دور حيوي لنخبة الشعوب في إثارة المياه الراكدة بطرح الأفكار الجديدة أو تسليط الضوء على النافع من القديم منها وفقًا لخبرات وتجارب البلاد.

والمراجعات ضرورية لكل مناسك حياتنا، ولكن يلزمها لتجني ثمارها إنهاء حالة اللامبالاة بالمصير وبالمستقبل التي تسود شعوبنا. وخلق اهتمام بما يجري على ساحة يراها البعض بعيدة عنا وهذا خطأ«من لم يهتم بأمر أمته فليس منهم». ولمعالجة ما نالنا من سلبية؛ يجب أن نستشعر «وحدة» المصير و«وحدة» المعاناة حتى يحدث



التغيير، وأن نتخلى عن منطق «الراكب المجاني» الذي ينال كل المنافع دون أن يغرم شيئًا.

وعندئذ فقط ستعود الصلوات والأغاني صادحة، ونعود للحياة!

ينسون أو يتذكرون.. الله لا ينسانا

مما لا شك فيه أن لكل مسألة وجه من النقمة وآخر من النعمة، فالنسيان مثلًا ونقيضه التذكر لكل منهما فوائده وأيضا عواقبه، فما أعظم خسارة من ينسى ذكر الله، وفي المقابل لا يوجد وصف لفضل وثواب من يداوم على ذكره سبحانه وتعالى،ومن يرطب لسانه بتسبيحه جل شأنه.

نواجه في حياتنا أُناس قد تناسوا–عن عمد-فضائل وافضال الاخرين، حيث أصبح الانكار والتنكر سمة الأمور جلها وصغارها. ولا نجد سوى الطريق الذي ارشدنا اليه ربنا سبحانه وتعالي في كتابه الكريم حين أمر نبيه المصطفى سيدنا محمد (صل): "واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلًا"(المزمل،10)، ونلتزم بدعاء"وأفوض امري إلى الله أن الله بصير بالعباد". ومهمات العباد محصورة في أمرين: في كيفية معاملتهم مع الله، وفى كيفية معاملتهم مع الخلق، فالإنسان إما أن يكون مخالطا للناس،أو مجانبا لهم . فإن كان مخالطا لهم فعليه أن يصبر على إيذائهم. وإما أن يكون مجانبا لهم، فعليه أن يهجرهم هجرا جميلا. وللّه أمر نبيه بالهجر الجميل، والصفح

الجميل، والصبر الجميل،فالهجر الجميل: هجر بلا أذى، والصفح الجميل: صفح بلا عتاب، والصبر الجميل: صبر بلا شكوى قال يعقوب عليه الصلاة والسلام: {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إلى اللَّهِ} [يوسف: 86] مع قوله: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف: 18]،فالشكوى إلى الله لا تنافي الصبر الجميل، ويروي عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه كان يقول "اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث وعليك التكلان". ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم "اللّهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، اللّهم إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ أن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة،أن ينزل بي سخطك،أو يحل علي غضبك،لك العتبى حتى ترضى". وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ في صلاة الفجر: {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إلى اللَّهِ} [يوسف: 86] ويبكي حتى يسمع نشيجه من آخر الصفوف. فإذا دار عليك الزمن وأصبحت رهين المحبسين عند الناس: الصمت والنسيان لأعمالك. فلا تهتم بأمر المخلوق من البشر: ينسون ام يتذكرون! فلا نقول إلا كل جميل، فالله نعم الوكيل، وأفضل طاعاتنا هنا هي الهجر الجميل. هجرًا لم يقطع خيوط المودة ولم يهدم جسور التواصل. هجر العتاب الذي يزيد المحبة ويحرص على بقائها، ومن هنا كان وصف الهجر بـ"الجميل" لأن الهاجر لا يقطع الصلة بينه وبين الشخص المهجور بالكلية، بأن يغلق الباب كاملًا؛ بل يجعله مواربًا حتى يتسنى له الرجوع. إنه هجر للصناعة لا للإضاعة. هجر يورّث العمل. هجر في ذات الله.



الصبر: أعظم الطاعات وأفضل العبادات وأكبر النعم وواجب إنساني!

أمام كافة الأمور جلها وصغارها يكون الصبر من اعظم الطاعات، بل وأعلى درجات الإيمان على النحو الذي أرشدنا إليه ربنا سبحانه وتعالي في كتابه الكريم حين أمر نبيه المصطفى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم): "واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلًا". وحيث تم تفسيرها: اجعل يا محمد اعتمادك وتوكلك علي وحدى، واصبر على ما يقوله أعداؤك في حقك من أكاذيب وخرافات. واعتزلهم وابتعد عنهم، وقاطعهم مقاطعة حسنة، بحيث لا تقابل السيئة بمثلها، ولا تزد على هجرهم: بأن تسبهم،أو ترميهم بالقبيح من القول. وكل ذلك لتُثاب على عبادتك فمعنى صبرك أنك لمَا اتخذتنى وكيلا، وأطاعتنى بالصبر على ما يقولون، وفوضت أمرهم إلي، فإنى لما كنت وكيلا لك أقوم بإصلاح أمرك،أحسن من قيامك بإصلاح نفسك،وامورك. فمهمات العباد محصورة في أمرين: في كيفية معاملتهم مع الله،وفى كيفية معاملتهم مع الخلق،وقد جمع–جل جلاله-كل ما يحتاج إليه العبد التقي في تلك الأخيرة، فالانسان إما أن يكون مخالطا للناس فعليه أن يصبر على إيذائهم. وإما أن يكون مجانبا لهم، فعليه أن يهجرهم هجرا جميلا. بأن يجانبهم بقلبه وهواه، ويخالفهم في أفعالهم. فلا نقول إلا كل جميل، فالله نعم الوكيل، وأفضل طاعاتنا هنا هي الصبر الجميل؛ وهو قمة الإيمان لأنه صبر المتيقن من حسن تدابير الله، المتوكل المفوض الراضي للخالق العليم،هو صبر من دون قلق.



إن الصبر، هذه الفضيلة، تم ذكرها في القرآن الكريم أكثر من 90 مرة، وهي سمة أساسية في الأنبياء، فالصبر لا يمكن أن يكون ذا بعد واحد. فهو في اللغة العربية، يعني الحصر والاحتواء. فالصبر هو احتواء الروح للقلق، وحصر اللسان من الشكاوى، أي يتطلب الصمود والمثابرة مصحوبا باليقين في وعد الله والرضا بقضائه. فالصبر في جوهره هو قدرة الإنسان على تحمل ظلم الدنيا والناس. والنفسية الداخلية التي تتحلى بالصبر تساعد في مواجهة الإنسان للمصائب، والاستمرار في فعل الخير ومعارضة الشر على الرغم من الصعاب. هذا هو السبب في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ومن يصبر يصبره الله وما أُعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر»، ولهذا أيضا قال رسولنا: (وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ)،أي نور لصاحبه في حياته يستبين به السبيلَ ويتحمل به المشاق وتهون عليه الصعاب وتنبسط له الحياة ويُسَرُّ فيها غاية السرور، إضافة إلى كريم العطاء وعظيم النوال الذي يناله الصابرون عند الله يوم القيامة. فلم يكتب سبحانه وتعالي ثواب أعظم من ثواب الصبر يرفع المنازل.

والصبر الحقيقي يأتي مع سمة الكرامة وخشوع العبادة، فأن يكون المريض صابرا هو أن يكون من أولئك الذين هم في معيةالله وحبه. يقول الله تعالى: {إن الله مع الصابرين}؛ويقول: {والله يحب الصابرين}.

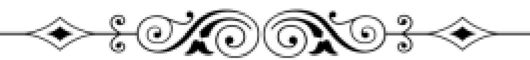
ولهذا فإن من مقامات الدين العظيمة ومنازله العالية ورُتبِه الرفيعة الصبرَ بأنواعه، بل هو ساق الدِّين الذي عليه يقوم،كما قال علي رضي الله عنه«الصبر من



الإيمان بمنزلة الجسد من الرأس، ولا إيمان لمن لا صبر له". وفي هذا قال العلماء: الصبر ثلاثة أنواع، صبرٌ على طاعة الله،وصبرٌ عن معصية الله،وصبرٌ على أقدار الله المؤلمة.

الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوات، فإن ثبت حتى قهر الشهوة التحق بالصابرين، وإن ضعف حتى غلبت الشهوة ولم يصبر على دفعها، التحق بأتباع الشياطين. والصبر على ضربين: أحدهما: بدني، كتحمل المشاق بالبدن، وكتعاطي الأعمال الشاقة من العبادات أو من غيرها. والآخر: نفسي على مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى.

وأكثر أخلاق الإيمان داخلة في الصبر، وإن اختلفت الأسماء باختلاف المتعلقات. ولا يستغني العبد عن الصبر في كل حال من الأحوال، وذلك أن جميع ما يلقى العبد في الدنيا لا يخلو من نوعين: الأول: ما يوافق هواه من الصحة،والسلامة والمال،والجاه،وكثرة العشيرة، والأتباع، وجميع ملاذ الدنيا، فالعبد محتاج إلى الصبر في جميع هذه الأمور، فلا يركن إليها،ولا ينهمك في التلذذ بها،ويراعى حق الله تعالى في ماله بالإنفاق،وفى بدنه بالمعونة للحق. فالمؤمن من يصبر على العافية،وهذا الصبر متصل بالشكر، فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر،وإنما كان الصبر على السراء شديدًا،لأنه مقرون بالقدرة،والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه عند حضور الطعام اللذيذ. النوع الثاني: المخالف للهوى وينبغى للإنسان أن يعود نفسه المجاهدة، فإن من عَّود نفسه مخالفة الهوى، غلبها متى أراد. وأشد أنواع الصبر والمجاهدة، كف الباطن



من حديث النفس، ويشتد ذلك على من تفرغ واعتزل، فان الوساوس لا تزال تجاذبه، ولا علاج لهذا إلا قطع العلائق،وجعل الهم همًا واحدًا، وصرف الفكر إلى ملكوت السموات والأرض وعجائب صنع اللّه تعالى، وجميع أبواب معرفة الله تعالى، حتى إذا استولى ذلك على القلب، دفع اشتغاله مجاذبة الشيطان ووسواسة بالاكتساب والجهد.

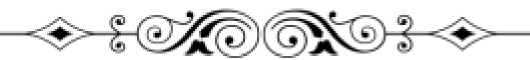
ومن آداب الصبر استعماله في أول صدمة، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى". فالصبر دواء. وهو وإن كان شاقًا فتحصيله ممكن. والصابر هو الذي يكف جوارحه عما لا ينبغي، ويكف لسانه عما لا ينبغي، ويعمر قلبه بالطمأنينة والاحتساب وعدم الجزع، والإيمان بأن الله سبحانه هو الحكيم العليم، وأنه جل وعلا يقدر المصائب لحكمة بالغة، ولهذا في الحديث الصحيح يقول النبيﷺ: عجبًا لأمر المؤمن أن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، أن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له هذا شأن المؤمن.

والصبر واجب متعين، ويعلم المؤمن أن ذلك من عند الله فيحتسب ذلك. وإن رضي بهذا واطمأن إليه ورضي بما قدر الله له كان أعظم وأكبر وأفضل؛ لقوله ﷺ: أن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فالصبر واجب والرضا سنة مؤكدة، والجزع محرم، والصبر واجب، والرضا هو الكمال. أما أعلى مراتب الصبر هو: اعتبار المصيبة نعمة، يشكر الله عليها فيكون شاكرًا صابرًا راضيًا شاكرًا، لما يترتب



علها من تكفير السيئات، وحط الخطايا، وعظم الأجور، وبما يجعلك تُحقق أهدافك وكل ما ترجوه قال على بن أبي طالب كرّم الله وجّهه ورضى عنه: " إلا بالصبر تَبلُغ ما تريد، وبالتقوى يلين لك الحديد".

ويقول العارفون أن الصابرون ينالون كرامات سبعة هي: المحبة؛ قال تعالى: "والله يحب الصابرين"، والمعية؛ قال تعالى: "إن الله مع الصابرين"، وغُرفات الجنة؛ قال تعالى: "يجزون الغرفة بما صبروا"،وهم أهل الإمامة في الدين، قال تعالى"وجعلنا مِنهُم أَئمَّةً يَهْدُون بأَمْرنا لَمَّا صَبَرُوا"، والأجر العظيم؛ قال تعالى: "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"،والبشارة ؛ قال تعالى: "وبشر الصابرين"،والصلاة والرحمة والهداية؛ قال تعالى"أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمه، وأولئك هم المهتدون ". وقد أوحى الله إلى سيدنا داوود عليه السلام (يا داوود: تخلقوا أخلاقي، وإن من أخلاقي أننى أنا الصبور). اللهم أرزقنا الصبر على ماكان وعلى ما سيكون.



يا حليم ارزقنا بعضا من حلمك نتقوت بها على هذا الزمان

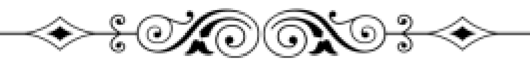
قالت العرب "الحلم سيد الأخلاق" لأنه يصعب على الأخلاق الاجتماع في سيد واحد، ولأن الحلم الأكثر جمعًا لأكرم الاخلاق وأفعلها -لكونه يتطلب ضبطًا للنفس وكبتًا للغضب ورد السيئة بالحسنة ـ وكل هذا من شخص قادر على الانتقام أو أخذ حقه منهم بسهولة... وقليل من الخلق من يتصفُ به.. فالذي يتصف بهذا الخُلق يصير بمنزله مميزة ويصبح من النادر القليل، وهو خُلق يكتسبه الإنسان بالتعود وبالرغبة فيما عند الله بالثواب الجزيل فإذا تحلَّم العبد وتكلفه شيئًا فشيئًا يعتاده كما قال رسولنا الكريم «إنما الحلمُ بالتحلُّم». وذلك إذا كان دائمًا أبدًا ينظر إلى ما عند الله ولا يلتفتُ إلى الناس.. فسيكون ذلك دافعٌ له للتخلُّق بهذا الخُلُق العظيم. ولم يعد الحلم أمرا سهلا أو مباحا أو ممكنا في عصر السرعة ولا يجود زماننا بمن يتسع حلمه كما كان في السابقين. ولذلك فإن البحث عن هذا الخُلق الكريم وسماته أصبح كالبحث عن موروثات انقرضت ولم يتبق منها إلا الأثر القليل الذي نتسمع اخباره!

الحلم له عدّة معانٍ، منها: الأناة والعقل، ومن شواهده قوله تعالى: "أم تأمرهم أحلامهم بهذا"، بمعنى: عقولهم، وليس الحلم في الحقيقة العقل، لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل. فجاءت من هنا حَلُمَ: أي ضبط نفسه وسيطر عليها.. وهذا هو المعنى اللغوي "ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب، لأنّه تأنٍّ وسكون عند الغضب أو المكروه مع وجود القدرة والقوّة"، ويُقال أيضًا: هو ترك العجلة والطيش. وكلّ هذه المعاني تدور حول التأنّي والاحتمال، فكان نوعًا من الصبر إلا أن في الحلم



الصفح وأمن المؤاخذة بزيادة. والحِلْمُ بهذا المعنى نقيض السَفَه، لأن السفه خفة وعجلة، وفي الحلم أناة وإمهال. والسفه في الأصل: قلة المعرفة بوضع الأمور مواضعها، وهذا يوجب أنه ضد الحلم، لأن الحلم يقتضي بعض الحكمة. والحليم من الحِلم. وجمعه أحلام وحُلُوم. وأحلام القوم: أي حُلماءهم. أما الحُلمْ والحُلُمْ: فهو الرؤيا، والجمع أحلام، يُقال: حلم يحْلُم إذا رأى في المنام.

ومن صفات المولى سبحانه تعالى الحلم، ومن أسمائه الحسنى الحليم، فهو لا يعجل بالعقوبة، بل يمهل لخلقه من غير إهمال، ولن تفوته عقوبتهم لو أراد، كما هو الحال في البشر، لأن العجلة من شأن من يخاف فوات الفرصة، ورب السماوات والأرض لا يفوته شيء أراده. والحليم –من صيغ المبالغة- فسبحانه لا يسارع بالعقوبة بل يتجاوز الزلات ويعفو عن السيئات، فيرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه وهو يحلم، فيؤخر وينذر ويؤجل ولا يعجل، ويستر آخرين ويغفر. وقد ورد اسم (الحليم) في كتاب الله إحدى عشرة مرّة، تارةً مقرونة بالمغفرة كقوله تعالى: "لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم"، وتارةً مقرونة بالغنى "قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم". ومرّةً بصفة الشكور "إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم". وأحيانًا بصفة العلم، "ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم". وفي السنّة جاء في قول النبي – صلى الله عليه وسلم-: (إن الله عز وجل حليم حيي ستّير، يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر)، وقال: "من حلم ساد". وقال: «التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، والعَجَلَةُ



مِنَ الشيطانِ، وما أحدٌ أكثرُ مَعَاذِيرَ مِنَ اللهِ، وما من شيءٍ أحبَّ إلى اللهِ مِنَ الحَمْدِ». يقول: «ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديدُ الذي يملك نفسه عند الغضب» (رواه البخاري). وأوصانا بأن لا نغضب ثلاثًا وقال: «طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته». وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم: «السمتُ الحسن والتُؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة».

واسم الله الحليم يدلّ على أنه ذو الصفح والأناة، فلا يستفزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص. وحلم الله سبحانه وتعالى، نلاحظه من خلال تأمّل أحوال العاصين كيف يُمدّون بالنعم ويُرزقون بالأرزاق والأقوات على الرغم من جحودهم وزللهم، فليس الأمر مقتصرًا على تأخير العقوبة أو الصفح عن الذنب، قال تعالى: (كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا). كما أن حلمه -جل وعلا- ليس محفوفًا بالقدرة فقط، بل بالقدرة وبالعلم وبالحكمة البالغة، فقد يحلم فيمهل طويلًا في موطن ما، ويعجل العقوبة في موطن آخر، بل قد يقضي بتأخر العقوبة الكاملة إلى الآخرة دون الدنيا على الكثيرين؛ ولهذا قال سبحانه: "لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ".

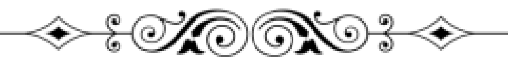
ومن فضل اسم الله الحليم أنه له ثمار للإيمان بهذا الاسم الجليل أهمها أولًا: الإيمان بكمال الله سبحانه وتعالى، لأن إمهاله لعباده مقرونٌ بكمال قدرته وكمال علمه وكمال غناه عن خلقه، ولم يكن عن ضعف وعجز،: {وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا}، ولم يكن عن جهلٍ بأعمال عباده: {والله



يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما}، وليس عن حاجةٍ لعباده مقتضيةٍ لإرجاء المؤاخذة بالذنب: {والله غني حليم}. وثانيًا: تبيَّنُ مدى النعمة التي أنعم الله بها على عباده العصاة، حيث لم يعاجلهم بالعقوبة رغم استحقاقهم لها، مهما بلغت ذنوبهم من الفظاعة والشناعة والإجرام في حقّ خالقهم، ولكن يؤخّرهم المرّة تلو الأخرى، وفي هذا تأمل لحلم الله تعالى وصبره على عباده. وثالثًا: الرجاء، فحلم الله تعالى يعطي فرصة ثمينة للتوبة، فطوبي للتوابين المتطهرين، فعند إرادة المعصية لا تكتب في صحيفة العبد إلا بعد تحققها، فعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول الله: "إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثلها إلى سبعمائة ضعف". بل أن الله تعالى لا يعاجل العاصي لا بالعقوبة ولا بكتابة السيئة حتى بعد ارتكابه للذنب مباشرة، فقد قال الرسول –عليه اذكى الصلاة والسلام-: "إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتبت واحدة". فسبحان ربي ما أحلمه، وما أرحمه. ورابعًا: إلا يغتر العبد بحلم الله عليه، فلعله يكون استدراجا، فهذا الحلم المصحوب بالرحمة والرأفة والكرم، يبعث الحياء من الله في القلوب الحية، كما يبعث على الخوف والحذر؛ لأن الله تعالى حذّر من قدرته على صرف القلوب بالكلية، لو شاء أن يصرفها لما قال: "قُلْ أَرَأَيْتُمْ أن أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ". وخامسًا: ظهور صبره سبحانه وتعالى على عباده، وتبيّن مدى العلاقة بين



صفتي الحلم والصبر، حيث قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ليس أحد أصبر على أذىً سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولدا، وإنه ليعافيهم ويرزقهم). وفي الحديث القدسي: (يقول الله عز وجل: يشتمني ابن آدم، وما ينبغي له أن يشتمني ويكذبني، وما ينبغي له أن يكذبني، أما شتمه إياي قوله: أن لي ولدا، وأما تكذيبه إياي، قوله: لن يعيدني كما بدأني). وسادسًا: الإجابة عند دعاء الله تعالى باسمه الحليم، فكان النبي يدعو عند الكرب يقول "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربِّ السموات والأرض وربِّ العرش العظيم". وسابعًا: التحلي بخلق الحلم: وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأشجّ ابن القيس"إنك فيك لخصلتان يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة". فهذا الخُلُق دليل على كمال العقل وسعة الصدر وامتلاك النفس، لأن الأصل في الإنسان أن يتشفّى لنفسه ويعاجل بالعقوبة لمن آذاه لكن الحليم لا يلتفت إلى سفاسف الأمور وانما يطلع إلى معاليها، فيبتعد المؤمن بحلمه عن الغضب والطيش والسب. ومن مآثر الحلمُ أنه يعمل على تآلف القلوب وينشُر المحبة بين الناس ويُزيل البغض ويمنعُ الحسد ويُميل القلوب ويستحق صاحبها لدرجات العلا والجزاء الأوفر. ولذلك فهو خُلق عظيم نحتاج لأن نفقه عنه الكثير من الأمور حتى نستطيع أن نتخلَّق بهذا الخُلق فأولًا نعرفه في حق ربنا فنزداد محبةٌ له سُبحانه.



كيف نتحلم؟

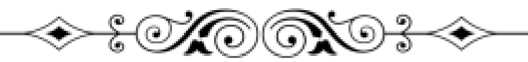
حقًّا، إن الحلم سيد الأخلاق، فالحِلمُ شرفه أنه سبب لمحبة الله سبحانه وتعالى وكفى بها من منقبة لهذا الخُلقُ العظيم فهو صفة تُكسِبُ المرء محبة الله ورضوانه. فالذي يتخلَّق بهذا الخُلق سيكون في منزلةٍ عُليا في تهذيبه وتربيته لنفسه.. لذلك إذا أردت أن ترى أحدًا أين وصل مع نفسه في حدود التربية انظر إلى حلمه.. أي ضبط النفس.. فالحليم لا يُبالي ويتجاهل الاساءة، فنفسه ليست أسيرة به ولا يهمه مثل هذه الجهالات ولا يلتفت إليها.. وهذا دليل على الوصول إلى منزلة عليا من الإيمان ومن تهذيبه لنفسه.. والله سبحانه وتعالى يؤيد الحليم وكذلك يُلقي قدْره في قلوب العباد. وقالوا الأسباب الدافعة للحلم كثيرة، خصٍّها الماوردي في أدب الدُنيا والدين بعشرةِ أمور، فقال: "الحلمُ من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد. والأسباب الباعثة عليه عشرة: 1- الرحمة للجُهَّال: فينظُر إليهم بعين الرحمة لعدم علمه وعدم فهمه في رحمه ويتجاوزعنه ويحلُم عليه.. وذلك من خيرٍ يُوافقُ رقه وقد قيل في مأثور الحكم من: "أوكد أسباب الحلم رحمة الجُهَّال". 2- القدرة على الانتصار: وذلك من سعة الصدر وحُسن الثقة فيبعثُه على حلمه معرفته التامة بأنه يستطيع أن ينتصر.. ولكن يتسع صدره بحُسن ثقته في ربه وما عنده من جزيل الثواب.. وأن الله سينتصرُ للمظلوم ولو بعد حين وأن الله سيكُف عنه ذلك ويدفع عنه وذلك شيء يعرفه المؤمن من نفسه وحاله مع ربه... فيتركه ويقول

لو أراد الله أن يُردُ عنى ذلك الظلم سيكون.. فذاك قدر هو لا راد له! فيمنعه ذلك من أن يتشفَّى لنفسه ويقول: يا رب كُف عني أذى المؤذين في القدرة على الانتصار. 3- أنه من الأصل مُهذَّبٌ مؤدب فيترفَّع عن السباب: فيستشعر من نفسه ومن لسانه العفة على أن ينطق بمثل السباب الموجه إليه! ويكون كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم: «لم يكن فاحشًا ولامُتَفَحِّشًا ولا صَخَّابًا في الأسواقِ، ولا يَجْزِي بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يَعْفُو ويَصْفَحُ»، فيترُكه ويترفَّع عن سبابه وذلك من شرف النفس وعُلو الهمة ومن الجميل هنا أنهم قالوا الله سُبحانه وتعالى سمَّى يحيى عليه السلام بسيدًا وذلك لحِلمه، فلأنه كان حليمًا فصار سيدًا. 4- الاستهانة بالمُسيء: وذلك فيه نظر لأنه قد يؤدي إلى نوع من الكِبر! لكن الضابط هنا العِزَّة فإن كان عزيزًا فإنه يحلُم على الجُهَّال.. فعزة النفس ليس كِبرًا.. فالكبر بطرُ الحق وغمط الناس أما عندما يعزُّ بنفسه على أمر ربه فهو كِبر! إنما الاستهانة بالمُسيء قريبة من معنى القدرة على الانتصار. فإذا كُنت هينًا لينًا مع الناس مُتقبلًا لأمر ربك فقد نفيت عن نفسك الكبر.. ثم كُنت صعب في التعامل مع أعداء الله حتى لا يُستباح عِرضك مع ترك العقاب لله! 5- الاستحياء من جزاء الجواب: والباعثُ عليه صيانة النفس وكمال المروءة ولذلك قيل: ما أفحش حليم ولا أوحش كريم. أي: لا يُعقل أن يقع الحليم في مثل هذا الفُحش في الكلام.. فيجب أن يصون لسانه ويترفع أن يرُد عنه وكذلك يستحي من جزاء الجواب وهو أن يزيد الفاحش فيكُف عن نفسه بسكوته هذا الأذى! 6- الكرم والتفضُّل وحُب التآلف: مثل أن تصل من قطعك، وتعطي من حرَمك، وتعفو عمن ظلمك.. وقديما قال الأدباء: من غرس شجرة الحلم اجتنى شجرة السلم. وعندما سؤل الأحنف بن قيس والذي ضرب به المثل



في الحلم والصفح، فقيل له: كيف وصلت إلى هذه المنزلة؟ فقال: ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث: أن كان فوقي عرفت له فضله وأوقره امتثالًا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه: «ليس منّا من لم يوقر كبيرنا»، وإن كان مثلي تفضّلت عليه فأتميز عليه بالكرم فأكون ذو الشأن، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه اقتداءً بقول المصطفى "ليس منّا من لم يرحم صغيرنا". 7- الحزم: فيقولون أن الحليم يستنكِفُ السباب وفي نفس الوقت يُريد أن يقطع أسباب مثُل ذلك فيبعثُه الحزم على التحلُّم. قال الشاعر: وفي الحِلمُ ردعٌ للسفيه عن الأذى*وفي الخُرق إغراءٌ فلا تكُ أخرقًا! دع القافلةُ تسير والكلاب تنبح! 8- الخوف من العقوبة على الجواب: بمعنى الخوف من عقوبة الله سبحانه وتعالى إذا وقع في السفه فقد قالوا: الحلمُ حجاب الآفات. 9- الوفاءُ وحسن العهد: إذا كان من وقع في حقك تعرف له مكرُمة عليك فترعى له هذه اليد السالفة وتكون له عليك حُرمة لازمة.. أي تفتكر له الخير وتتغاضى له عن خطأه في لحظة الغضب. 10- بعض الناس يحلمون ويكون الباعثُ عليه المكر والدهاء -وذلك مذموم وليس من مكارم الأخلاق- فقال بعضُ العقلاء: غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله. فتحلُم عليه حتى يُثني على صنيعك الناس وتظهر أنت المظلوم أمامهم! فيكون الباعثُ على ذلك الدهاء وليس طلبِ رضا الله.

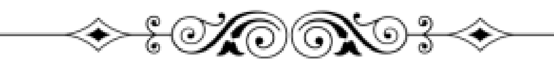
ومن فضائل الحلم أن ينسب له افضل الشهور فيقال رمضان شهر مكارم الأخلاق ومدرستها، فهو شهر الصبر، وشهر الصدق، وشهر البر، وشهر الكرم، وشهر الصلة، وشهر الرحمة، وشهر الصفح، وشهر الحلم.

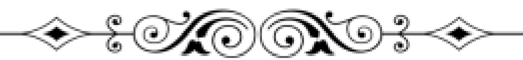


وهنا لا بد أن نتدبر أمرًا مهمًا وهو أن الحِلمُ لا يُستخدم ولا يكون بشكل مطلق.. فقد نحتاج لأن نخرج عنه أحيانًا لردع السفيه.. فالأصل في التعامل عند تربية النفس أن تحلُم.. لكن هذا لا يعنى التخاذل في المواقف التي تحتاج الردع وتحتاج القوة في التعامل مع السفيه لا سيما إذا استشرى، فتُركه مفسدته أعظم وقد يُساء فهم الحليم في هذا الموقف. ومن الأمور المتعلقة بالحلم أيضًا أنه لا يكون إلا مع القدرة على إنزال العقوبة وإلا سُمِّي ذلك خَوَر وضعف وذُل.. فالحليم من يقدر على الرد ولكنه يترك السفيه لجهله وذلك شرط على الحليم.

وهنا نجد الفرقُ بين الحِلمُ وكظم الغيظ، والحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظمُ الغيظ عبارة عن التحلُّم ولا يحتاج في الحلم إلى مثل ذلك، ففي كظم الغيظ تكلُّف أما في الحلم فهو طبيعة. والحلم والغضب ضدان يغلب أحدهما الآخر فالحلم من شعب الإيمان والغضب من الشيطان، يقول نبينا عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ الغَضَبَ مِنَ الشَّيْطانِ، وَإِنَّ الشَّيْطانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وإنَّمَا تُطْفأُ النَّارُ بالمَاءِ، فإذَا غَضِبَ أحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ". فالحليم هو من لا يستفزُّه غضبٌ، ولا يعتريه غيظ ولا انتقام مع الاقتدار".. وقيل لقيس بن عاصم: ما الحلم؟ قال: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرَمك، وتعفو عمن ظلمك.

وأفضل الدعاء عند الكرب ما قاله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ينادي فيه ربنا الحليم: "لَا إِلَهَ إلا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إلا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إلا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ". يا حليم أسألك الحلم والأناة.





أولياء الله

<u>التعريف</u>: الولاية في اللغة هي النصرة والقيام بالحق والدفاع. أولياء الله هم أهل الله، أهل البر والتقوى والإيمان، وأهل الصلاح والاستقامة على دين الله وعلى ما جاء به رسوله عليه الصلاة والسلام، كما قال الله سبحانه: ألا إن أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، ثم فسرهم وقال: الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، ثم يضيف "لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ، ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ". وأكد على وصف التقوى لهم بقوله: "وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ أن أَوْلِيَاؤُهُ إلا الْمُتَّقُونَ"، ووصفهم بالبر وبيَن فعالهم فقال تعالي: " وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ". وقوله تعالى في الحديث القدسي "وما تقرّب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه"

فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته، وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته. الولاية هي المنزلة العظيمة، هي <u>رتبة ربانية تبدأ بالقلب محبة وتعظيما لله عز وجل</u>، وتترجم إلى واقع عملي، فيكسب صاحبها حب الله تعالى وولايته وحفظه لهم. فمن أهانهم أو أخافهم فقد بارز الله بالمحاربة، وبدأه بالمحاربة، وجميع المعاصي محاربة لله تعالى وبالتالي يعرض نفسه لسخط الرب وانتقامه، والله يسرع إلى نصرة أوليائه، الله



أسرع شيء إلى نصرة أوليائه، أفيظن الذي يحارب الله أن يقوم له ويقاومه؟ أو يظن الذي يحارب أولياء الله أن يعجز الله تعالى؟ أو يظن الذي يبارز الله أن يسبقه ويفوته؟ كيف والله يثأر لهم في الدنيا والآخرة، ولذلك لا يكل الله نصرة أوليائه إلى غيره، بل هو الذي ينصرهم.

الولاية في الشَّرعِ هي المرتبةُ التي يبلُغُها المُتَمسِّك بدينه سرًّا وعلانية، وهي مرتبةٌ عظيمةٌ لا يحوزُها إلا الأصفياء، ولها جانبان؛ الأول: فيما يتعلق بالعبد، حيث يؤدّي دورَه من الالتزام بأوامر الله، واجتناب نواهيه مع الحرص على النَّوافل من الطَّاعات بتقوى وبر الله تعالى "اهل التقوى" أي التقوى حق له ومستحق على العبيد تجاهه، والجانب الآخر يتعلق بالله سبحانه؛ إذ يجازي العبد على الطَّاعة؛ فيغفر ويعفو عن عبده الولي، قال تعالى "وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة"، فالمغفرة من خصائصه سبحانه وحق عليه لسعة رحمته وكرمه واحسانه، كما يخص اولياءه بحبِّه ونصرتِه وتثْبيته، وقد تكرَّرتْ لفظةُ الوليِّ كثيرًا في القرآنِ الكريم، فأتتْ تارةً لتعبّرَ عمَّن دخل في حزب الله، وأخرى تدلّ على من والى غير الله ممّن دخل في حزب أعداء الله من الشَّياطين وأوليائهم، وقد ذُكر لفظ أولياء الله أربعة وخمسين مرة، وأولياء الكفَّار والشياطين ست وثلاثون مرّة، وللولاية في القرآن عدّة معاني، وهي: ولاية الله لعباده، وتعرف بالولاية العظمى، وتعني تولّي شؤون الخلق وتسهيل ما لا يقدرون عليه من أمور الدُّنيا والدِّين، كما في قوله تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ). ولاية النَّبيِّ للمؤمنين، وذلك في قوله تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ

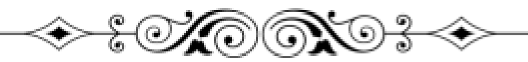


أَنفُسِهِمْ)، ولاية الظالمين، وهي صوَر مُتعددة منها ولاية المؤمن للكافر وهي ولاية محرّمة، فلا يجوز أن يتخذَ المؤمنُ الكافرَ وليًّا له ولو كان أباه أو أخاه أو عشيرته، قال تعالى: (لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)، ومنها ولاية الظالمين بعضهم لبعض، وكذلك ولاية الشَّيطان للكافرين إذ يقول تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ).

السمات: يشترطُ في العبد حتَّى تنْطبقَ عليه صفةُ الولايةِ أن يكون مؤمنًا مطيعًا لله تعالى ورسوله، بارًا، يؤمن بالغيب، ويتَّبِعُ أوامرَ الله، فيؤدِّي الواجبات ويلتزم بالطاعات ويجتنِبُ المُحرَّمات، ويكون بعيدًا عن أحوال أولياء الشياطين، ومواليًا لأهل الله المصلحين. أي هناك صفات يُعرف بها أولياء الله مثل: الإيمان والتقوى، البر، تلاوة القرآن، الحب في الله والبغض في الله، الإكثار من الطاعات ووصْلها ببعضها، حسْنُ الخُلُق، الانقياد لأوامر الله، وحسن الاستجابة لها، واتِّباع شرعه، القيام بحقِّ الله؛ وذلك بالإيمان بالله واليومِ الآخر والملائكة والكُتُب والأنبياء، واليوم الآخر والقَدَر، ومن ثمَّ أداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصَّبر في حالتَي البأسِ والضرِّ، الصَّلاحُ باطنًا والاستقامةُ ظاهرًا، وفعل المعروف والعفو عن الناس.. الخ. فمن كانت هذه صفتُه فهو وليٌّ لله تعالى، فلا ينْحصرُ الوليُّ في فئةٍ معينةٍ أو جماعةٍ من النّاس، ولا تخلو الأرض منهم لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي ظاهِرِينَ علَى الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ، حتَّى يَأْتِيَ أمْرُ اللهِ).



ونتوقف هنا كثيرا في صفات الاولياء عند حب الله، ومنه الحب في الله. فالدافع للعمل إذا صار من محبة أقوى منه إذا صار من الخوف، ولذلك المحبة هي الرأس والخوف والرجاء الجناحان، وإذا قطع الرأس لا يطير الطائر أصلًا ولا يمشي ولا يتحرك، ولذلك من الناس من يعبد الله خوفًا منه، ومن الناس من يعبد الله رجاء فيه، ومن الناس من يعبد الله محبة له، والمؤمن ينبغي أن تجتمع فيه الأشياء الثلاثة بدون أن ينتفي منها، لو انتفى شيء منها معنى ذلك أنه قد وقع في خطر عظيم، فإذا صار الدافع للعمل محبة الله فلا تخف، فيستمر العمل، إذا كان الدافع هو الخوف، يمكن أن يخاف البعض إذا عرض عارض رجاء في الفكر أو السماع، أو قراءة شيء مما فيه سعة الرحمة والتوبة، ويحصل للخوف نقص، فيفتر العمل. ومن أحب الله لم يكن عنده شيء آثر من هواه، ومن أحب الدنيا لم يكن عنده شيء آثر من هوى نفسه، والمحب لله تعالى أمير مؤمر على الأمراء، زمرته أول الزمر يوم القيامة، ومجلسه أقرب المجالس فيما هنالك، والمحبة منتهى القربة والاجتهاد، ولم يسأم المحبون من طول اجتهادهم لله يحبونه ويحبون ذكره ويحببونه إلى خلقه هذه صفة مهمة جدًا؛ التحبيب إلى الخلق، ليست المسألة فقط أن الإنسان يحب الله، وإنما أيضًا إتقان الصنعة وإتقان العبادة وإتقان الولاية أن يحبب الخلق إلى الله، قد يسهل على الإنسان أن يحب الله، إذا تأمل في نعمه مثلًا، إذا تأمل في نعم الله أحب الله، لكن أن يحبب الخلق إلى الله، هذه مسألة لا يقوم بها إلا الدعاة إلى الله من اوليائه. وكذلك التحبيب إلى الخلق بالمشي بالنصائح بين العباد، ويخافون عليهم من أعمالهم يوم تبدو الفضائح، أولئك أولياء الله وأحباؤه وأهل صفوته، أولئك الذين لا راحة لهم دون لقائه، لا يرتاحون إلا



إذا لقوا الله تعالى، وقبل ذلك فهم في تعب ونصب في مرضاة الله، (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ).

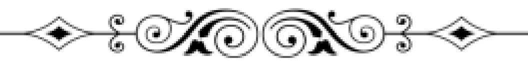
هذا ولا تُعَدُّ حصول الكرامات وخوارق العادات التي يُجريها الله على يد بعض عباده الصَّالحين شرطًا من شروط الولاية، إذ الكرامات من الله يؤتيها من يشاء، ولا يعني انعدامها في أحد الصالحين أنه ليس من أولياء الله. فالولاية ليست حكرا على أحد، وليست علامة مميزة لطبقة معينة من الناس، ولا تنال بالوراثة ولا بالأوسمة.

الدرجات: كل مؤمن له نصيب من ولاية الله ومحبته وقربه، ولكن هذا النصيب يتفاوت بحسب الأعمال الصالحة البدنية والقلبية التي يتقرب بها إلى الله، وعليه يمكن تقسيم درجات الولاية إلى ثلاث درجات: درجة الظالم لنفسه، وهو المؤمن العاصي، فهذا له من الولاية بقدر إيمانه وأعماله الصالحة ويحاسب فيها بأعماله. ثم درجتين من أهل الولاية يدخلا فيهما الجنة يوم القيامة بلا حساب ولا عذاب هما درجةُ المقتصدين ودرجةُ المقربين السابق بالخيرات، وقد جاء تِبيان الدرجتين في حديث قدسي عظيم يقول فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إلى عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إلى مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلى بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ". فالدرجةُ الأولى: المقتصد: هو من فعل الواجب وترك المحرم. والدرجة الثانية -وهي أعلى وأرفع-: درجة المقربين والسابقين؛ بمعنى



السابق بالخيرات؛ ينافسُ في فعل النوافل والرغائب والمستحبات، ويبلغ بالعبادات القلبية لله عز وجل مبالغ عالية حتى يفوز برفيع الدرجات وعالي الرُّتب، ودعوته مستجابة، ولا يردها ربُّ العالمين. ثم لا شك أن النبوة هي أعلى وأرقى درجات الولاية لله عز وجل.

أولياء الله لهم البشرى في الحياة الدنيا بعدة أشياء، منها: 1-نصر الله وتأييده، كما قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ"، وقال تعالى"إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَاد". 2-النعيم والرضوان في الآخرة، قال تعالى"وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أن لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَار". 3- رعاية الله لوليه بتوفيقه وحفظ جوارحه عن المعاصي كما جاء في الحديث: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به،... الحديث. 4-تبشير الملائكة له عند النزع الأخير وخروج الروح، قال تعالى: أن الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ إلا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ". 5-من البشارات للولي في الدنيا ما يراه المؤمن في النوم، أو يرى له من الخير، فقد قال الرسول ﷺ: لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة وقال ﷺ في تفسير البشرى: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له. 6-مما أعد الله للولي في الدنيا استجابة الدعوة، وهذا الذي تضمنه الحديث القدسي: ولئن سألني لأعطينه. 7-ما يجريه الله على يدي الولي من العجائب مما هو فوق قدرة البشر، كما وقع لمريم -عليها السلام، وأصحاب الكهف، والغلام مع الساحر، والصبي الذي خاطب أمه في أصحاب الأخدود



في قصة الأخدود إلى غير ذلك، وهذا الأخير لا يشترط للولي، بمعنى إذا لم يقع لا يكون وليًا، فقد يقع وقد لا يقع.

أهل الله: أهل البر والتقوى- أهل العفو والمغفرة- أهل القرآن- أهل الثناء والشكر

معنى "أهل" هو حقيق وجدير، كما تقول: فلان أهل للإكرام، أي: مستحقّه. ولمّا كان الشّيء الّذي يستحقّه المتّصف به ملازما له أُطلِقت كلمة "أهل" بعد ذلك على خاصّة المرء، وقرابته، وزوجِه.

وما أسعد أهل الله، الذين عرفهم النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاس. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: همْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ، و"أهلين" جمع أهل. "أهل القرآن": حفظته القارئون له العاملون بما فيه. "أهل الله" أي: أولياؤه المختصون به اختصاص أهل الإنسان به.

ولا شك أن أعظم ما يتقرب به من يريد الوصول إلى مرتبة الولاية إلى الله تعالى كثرة تلاوة كلامه، وسماعه بتفكر وتدبر وتفهم، فيقول العارفون: "أنك لن تتقرب إلى الله بشيء هو أحب إليه من كلامه، إلا ترى أن الرجل إذا وصله خطاب ممن يحبه حبًا جمًا قرأه مرات كثيرة، واحتفظ به، ولا يزال يخرجه بين آونة وأخرى يقرأ فيه؛ لأنه كلام الحبيب، ولذلك فهو إليه باشتياق مستمر، فكيف بكلام الرب إذا كان الإنسان محبًا له؟ فإنه لا يزال يقرأ كلام الرب، ويتصفحه، ويطالع فيه، ويسمعه ويعرف معناه"،



وهكذا يبقى القرآن كلام الله تعالى يبقى القرآن هو لذة قلوب العارفين، وهو محرك ألسنتهم بالتلاوة. وهذا معنى قول الله تعال: "فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ واشكروا لي ولا تكفرون". ويليه الشكر.

ويجمع اهل الله كل من ولاه أي حبه فهم "أولياء الله" بصفاتهم مثل: الشكر لله، الإيمان والتقوى، البر، تلاوة القرآن، الحب في الله والبغض في الله، الإكثار من الطاعات ووصْلها ببعضها، حسْنُ الخُلُق، الانقياد لأوامر الله، وحسن الاستجابة لها، واتِّباع شرعه، القيام بحقِّ الله؛ وذلك بالإيمان بالله واليومِ الآخر والملائكة والكُتُب والأنبياء، واليوم الآخر والقَدَر، ومن ثمَّ أداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصَّبر في حالتَي البأسِ والضرِّ، الصَّلاحُ باطنًا والاستقامةُ ظاهرًا، فعل المعروف، العفو عن الناس... الخ فمن كانت هذه صفتُه فهو وليٌّ لله تعالى، فلا ينْحصرُ الوليُّ في فئةٍ معينةٍ أو جماعةٍ من النّاس، ولا تخلو الأرض منهم لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي ظاهِرِينَ علَى الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ، حتَّى يَأْتِيَ أمْرُ اللهِ). وكل عمل من هذه الاعمال من يفعله يحق أن يكون أهلًا له (كأهل الصلاة وأهل الصلاح، واهل الزكاة، واهل العهد، واهل القرآن، واهل البر، واهل التقوى، واهل المعروف، واهل العفو والمغفرة، واهل الشكر... الخ).

وقد خص الله وصف أوليائه بأنهم أهل البر والتقوى "وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ أن أَوْلِيَاؤُهُ إلا الْمُتَّقُونَ"، وقال تعالي: "وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ



وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ". وربط الأهلين ببعضهما من أفعال الايمان، فالبر يرتبط بعلاقة الإنسان بغيره، والتقوى ترتبط بعلاقة الإنسان بربه وجماع افعالهم هو لب الايمان. التقوى لباس الروح والقلب، والبر حسن فعال البشر وهو ما يُظهر الروح والقلب التقي النقي. ومن ذلك قوله جلَّ ذكره: "وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى"، فكان البِرُّ: فعل ما أُمِرْت به، والتَّقوى: ترك ما زُجرت عنه. ويقال: البِرُّ: إيثار حقِّه سبحانه، والتَّقوى: ترك حظِّك. ويقال: البِرُّ: موافقة الشَّرع، والتَّقوى: مخالفة النَّفس. ويقال: المعاونة على البِرِّ بحسن النَّصيحة، وجميل الإشارة للمؤمنين. والمعاونة على التَّقوى بالقبض على أيدي الخطَّائين بما يقتضيه الحال من جميل الوعظ، وبليغ الزَّجر، وتمام المنع على ما يقتضيه شرط العلم. والمعاونة على البِرِّ والتَّقوى، أي الاتصاف بجميل الخصال على الوجه الذي يُقتدى بك فيه.

البر يعد من أحد أهم تلك الأركان الإيمانية الأساسية والتي يكتمل بها مفهوم الإيمان لدى المؤمن وبه ينال ويفوز برضا ربه عز وجل ويحصل على سعادة الدارين الدنيا والأخرة. كما أن البر هو من أهم أسباب تماسك المجتمع الإسلامي والحفاظ عليه من التفكك، حيث أنه بفعله تختفي الأحقاد والفروق الطبقية بين الناس ويحل مكانها الحب والإخاء . أما التقوى فهي سفينة النجاة يوم القيامة وهي التزام طاعة الله وطاعة رسوله، وهي سلوك طريق النبي محمد وتكون بالتزام ما فرض الله واجتناب ما حرم الله سبحانه وتعالى، أن التقوى هي أداء الواجبات والفرائض واجتناب المحرمات.



البرّ في اللغة اسم، ويعني التوسُّع في فعل الخير، والفعل المرضِي، الذي هو في تزكية النَّفس... يقال: بَرَّ العبدُ ربَّه. أي: توسَّع في طاعته... وبِرُّ الوالدين: التَّوسع في الإحسان إليهما وطاعتهما، وتحرِّي محابِّهما، وتوقِّي مكارهِما، والرِّفقُ بهما، وضدُّه: العقوق. ويستعمل البِرُّ في الصِّدق؛ لكونه بعض الخير المتوسَّع فيه وهو مصدر بَرَّ، وهو يُطلَق على كلّ خيرٍ وإحسان وفضْل؛ فالصدق والصلة والعطاء والصلاح والتقوى كلّها أفعال برّ، فالبرّ كلمة جامعةٌ لكلِّ صفات الخير والفضل والطاعة، ونقول: فعل مبرور، أي: لا شبهة كذب ولا خيانة فيه، ومنه الحجّ المبرور، أي: الذي لم يخالطه مأثم، وبرّ المرء يمينه، أي: صدق وعده ووفى به، وبرّ فلان، أي: ظهر صلاحه، والبَرُّ: الصَّادق أو التقي وهو خلاف الفاجر. وجمع البَارِّ البَرَرَة.

الصلة بين البرّ والإيمان صلة متلازمة، حيث أن مقتضياتهما مشتركة، وقد عدّ القران الكريم الإيمان برًّا؛ فقال الله تبارك وتعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيّينَ)، وقد عرّف النبي-صلى الله عليه وسلم-البرّ بأنّه حسن الخلق، ففي الحديث أن رسول اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لما سؤل "عن البِرِّ والإثمِ؟" قال: (البِرُّ حُسنُ الخُلُقِ، والإثمُ ما حاك في صدرِك، وكرهتَ أن يطَّلِعَ عليه الناسُ)، وبهذا يُفهم أن البرّ اسم يجتمع في ظلاله أنواع الخير جميعها، وهو صفة لازمة لكلّ خلق حسن، ومن هنا فإنّ الإيمان برّ، كما أن العبادات بأبعادها الأخلاقية برٌّ، والمعاملات التي تقوم على أساس من النّهج الرّباني برّ.

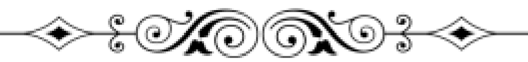
جاء تعريف البر في الدين الإسلامي على أنه هو تلك الأعمال التي بها ينال الإنسان السعادة في دنياه وأخرته، حيث أن مفهوم البر هو ذلك المفهوم الجامع و الشامل للعديد من العبادات والأعمال الصالحة المراد بها وجه الخالق عز وجل، والحصول من خلالها على رضاه ورحمته، حيث أن البر كمفهوم كما جاء في آيات المولى سبحانه وتعالى لا يقتصر على الصلاة أو الصيام أو الحج وإنما هو مفهوم شامل يمتد إلى صدق الإيمان والقيام بالواجبات والطاعات مثل طاعة الوالدين والإحسان إليهما والتقرب منهما وأيضًا إيتاء الزكاة وتقديم المساعدة لذوي القربى أي الأقارب وصلة الأرحام والاهتمام باليتامى والمساكين بكل صوره سواء المادية عن طريق تقديم الدعم المادي لهم أو المعنوية مثل متابعة أمورهم والسؤال عنهم والتبسم في وجههم، حيث يشمل مفهوم البر كل تلك المعاني والأعمال الجميلة والصالحة كالتحري في فعل الخيرات والعمل على اجتناب المنكرات والذنوب والمعاصي والصدق مع الناس والعطف على المحتاج منهم والوقوف إلى جانب المريض أي الإحسان إليهم بكل صوره وأشكاله وليس بالمال فقط مثل التبسم في وجه الناس وحسن الحديث معهم وتحمل الأذى عنهم وتقديم النصح والإرشاد لهم والوفاء بالعهود والمواثيق أي أن مفهوم البر في الإسلام هو ذلك المفهوم الذي يشتمل على كل مكارم ومحاسن الأخلاق وكل تلك المعاني الإنسانية النبيلة، حيث أن البر هو أحد أسماء الله عز وجل وذلك ليبين الله للبشر اتساع فضله وإحسانه ولطفه وكرمه على عباده حيث أن الله تعالى هو الرحيم والرؤوف بعباده من دعاه منهم أجابة وهو الرزاق الذي رزقهم ولم يبخل عليهم في عطائه، حيث يكون بر الله عز وجل بعباده في الدنيا وفي الأخرة. أما في الدنيا فذلك



يكون عن طريق مضاعفة الأخر لهم وإعطاءهم الكرامات وحفظهم من كل أذي وشر وفي الأخرة بتحقيق ما وعدهم به من النعيم في جنته والفوز بأعلى الدرجات للعباد الصالحين.

وللبر فوائد متعددة التي تعود على المومن في دنياه وفي أخرته ومنها-أولا: هو مفتاح التقوى وزيادة الإيمان واستجابة الدعاء . ثانيًا: زيادة الرزق وحلول البركة فيه . ثالثًا: زيادة البركة في الخلف الصالح وفي النسل. رابعًا: أحد أسباب الحصول على السعادة والراحة والأمن في الدنيا. خامسًا: أحد الطرق المؤدية إلى الفوز بالجنة ونيل الرضوان من الله تعالى حيث أن جزاء الأبرار عظيم عند ربهم. سادسًا: البر من أحد أسباب حب الخلق للإنسان.

للبر العديد من الأنواع ومنها-أولًا: بر العطاء حيث أن الإنسان حينما يقدم المساعدة المالية للفقير أو المحتاج فهو يكون من الأبرار المنعمين وذلك طبقًا لقول المولى عز وجل "إن الأبرار لفي نعيم" حيث أن الإنسان كلما تقدم في درجات الإيمان تكون سعادته في العطاء للغير وليس في الأخذ وكلما ضعفت درجات إيمانه توهم أن سعادته تكون في الأخذ، وللعطاء أشكال متعددة، حيث لا تقتصر على العطاء المادي فقط فمنها عطاء العلم وعطاء الخبرة وعطاء الجاه وعطاء النصح والإرشاد والكثير من أنواع العطاء المختلفة . ثانيًا: بر القول من خلال عدم قول كلاما به قسوة للناس والرفق بهم وعدم التفوه بما يجرحهم أو يؤلمهم من كلمات وإلقاء السلام عليهم والبعد عن اغتيابهم بالكلام عنهم وعدم السخرية منهم. ثالثًا: بر السلوك وهو القائم على



التواضع لمن هو أدنى مرتبة أو اصغر سنًا أو اقل مالًا وإعانة الضعيف ونصرة المظلوم على الظالم والوقوف إلى جوار المريض وتقديم التهنئة إلى من إصابة خير أو فرح وتعزية من إصابته مصيبة أو بلاء.

أما التقوى لغةً: هي اسمٌ مشتقٌّ من الفعل وقى، ومصدر ذلك الفعل هو الاتقاء، وتعني الحفظ، تُعرّف التّقوى في اللُّغة: بمعنى الوقاية، والصّيانة، والحفظ، ويأتي أيضًا بمعنى الحذر. فهي تدلّ بمعناها على ما يمكّن الإنسان من أن يحفظ نفسه ويحميها. التقوى اصطلاحًا: هي أن يقوم المسلم بطاعة وعبادة الله تعالى على أكمل وجهٍ، وذلك باتّباع أوامره، ابتغاء الأجر والثواب العظيم، واتقاء لعذاب الله -تعالى- وغضبه، وأن يترك الإنسان ما يُغضب الله تعالى، من المعاصي والذنوب، وذلك باجتناب ما نهى عنه عباده، وأمرهم باجتنابه.

التقوى في اللغة الوقاية، وفي الاصطلاح الالتزام بأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، وبهذا يقي المسلم نفسه من غضب الله تعالى ويفوز برضوانه. أن الله -سبحانه وتعالى- قد جعل التّقوى أمرًا لازمًا للفلاح والنّجاح، وقد أوصى بها جميع السّابقين، واللّاحقين فقال -عز وجل-: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أن اتَّقُواْ الله). فالتقوى هي لباس المؤمن وقد ذُكر ذلك في قوله -تعالى-: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ)، وطعامه وزاده لقوله -تعالى-: (وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ). وسبب دخول الجنة

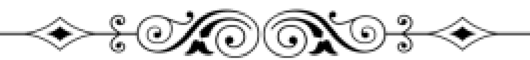


ومعيار المفاضلة بين الخلق قال الله -تعالى-: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)، ويضاف إلى ذلك الوعد بالكثير من الأجر والخير في الدنيا والأخرة من الله تعالى لِمن يلتزم بالتّقوى.

التقوى عند العارفين ابتغاء وجه الله، وفي هذا يقول العارفين: من ابتغى وجه الله سلم ومن وقف مع الحق سلم، وهذا هو المخرج الوحيد!

للتقوى آثارٌ إيجابيةٌ متعددة على حياة الإنسان، منها ما يعود أثرها على الإنسان نفسه، بأن يفوز المسلم بحبّ الله -تعالى- له ويشعر بوجود الله -تعالى- معه في كلّ الأحوال. وبالاستفادة من قراءة القرآن الكريم، ومن هديه. وببُعد الشيطان عنه، وحفظ نفس الإنسان منه. شعور المسلم بالسعادة والسرور، وذهاب الغم والحزن والهم عنه. تيسير الله -تعالى- للمسلم المتقي أموره، وتفريج كربه وحزنه. التقوى سببٌ في بلوغ جنات النعيم، والدرجات العالية فيها، وعدم دخول النار.

كما أن من آثار وثمار التقوى على المجتمع الإنساني: شعور أفراد المجتمع بالأمان، والاطمئنان، والاستقرار. سعادة أفراد المجتمع. يعيش الأفراد في المجتمع عيشةً هنيةً طيبةً. قوة أفراد المجتمع وهيبتهم، أمام من يقف في وجههم من الأعداء. انتشار فضيلة العفو بينهم فمن صفات المتقين أنهم يعفون ويصفحون، قال تعالى: "وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى"



كيف نبلغ منزلة التقوى؟

أهم الوسائل المُعينة على تقوى الله كي يصل الإنسان إلى مرتبة التقوى، هو أن يسعى المسلم لكسب محبّة الله تعالى، وتلك المحبّة تتحقّق من خلال القراءة الشافية الوافية للقرآن الكريم، والتقرب إلى الله تعالى؛ بالإكثار من النوافل، وشكر الله -تعالى- على نعمه على عباده، والمداومة على ذكر الله -تعالى- في كلّ الأحوال والأوقات، واستشعار ذلك، وأن يحرص المسلم على صحبة الصادقين من الناس، ومن فيهم خصال الخير، ومحاولة المسلم الابتعاد عن كلّ ما يمكنه أن يؤدّي إلى بُعده عن خالقه. أن يعلم المسلم أن الله -تعالى- عالمٌ به، وبكلّ ما يفعله، ومطّلعٌ عليه، فيحرص على استحضار مراقبة الله -تعالى- له في كلّ مكانٍ وزمانٍ، ممّا يؤدي إلى حرصه على الابتعاد عن الذنوب والمعاصي، والإكثار من الأعمال الصالحة، التي تُرضي الله تعالى عنه. أن يكون الإنسان على علمٍ بأنّ الذنوب والمعاصي، واتباع الشهوات، لا نتيجةً لها، إلا فساد القلب وقسوته، والشعور بالكدر، والهم، والتعب في الحياة. أن يجاهد المسلم نفسه للابتعاد عن الذنوب والمعاصي. أن يستعيذ المسلم من الشيطان الرجيم، ويحرص على معرفة الطرق التي يدخل بها الشيطان إلى الإنسان، ليوسوس له، ويكون على حذرٍ دائمٍ منه، وممّا يُعينه على ذلك: المداومة على قراءة المعوذات، وخواتيم سورة البقرة، والإكثار من ذكر الله تعالى، وأن يحرص المسلم على المداومة على الصلاة. أن يسعى المسلم لنيل العلم دائمًا، والحرص عليه.



ومن اهم ما يميز خاصية التقوى الإيمان بأركان الإسلام والإيمان والصدق مع الله تعالى، ومع من حوله من الناس. أن يحبّ لأخيه ما يحبّه لنفسه. أن يدفع الضرر والأذى، عمّن بحاجةٍ لذلك أن يكون عادلًا. أن يتحلّى بالحِلم والأناة، عند التعامل مع من حوله. أن يحرص على الابتعاد عن الذنوب والمعاصي، ويستغفر الله تعالى، ويتوب إليه، في حال ارتكابه لذنبٍ أو معصيةٍ. أن يصبر في محطات الحياة جميعها، وعند الابتلاءات التي تحلّ به. أن يسعى لأمر الناس بالخير، الذي يرضاه الله تعالى، وينهاهم عمّا نهى الله -تعالى- عنه. أن يتجنب الشيطان، ووساوسه. وكلما اتسم المؤمن بسمة ترقى في مراتب التقوى. المرتبة الأولى: أن يتّقي الإنسان الكفر بالله تعالى. المرتبة الثانية: أن يتقي الإنسان التعبّد بما لم يأمر الله تعالى به، وأن يتقي الأمور الجديدة المخالفة للإسلام، التي نهى الله -تعالى- عنها، ونهى عنها رسوله صلّى الله عليه وسلّم، وهي ما يسمّى بالبدع. المرتبة الثالثة: أن يتقي الإنسان ما كَبُر من الذنوب وعَظُم، وهي الكبائر. المرتبة الرابعة: أن يتقي الإنسان ما صَغُر من الذنوب، ودليل ذلك قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: (إياكُم ومحقَّراتِ الذُّنوبِ، فإنَّما مَثلُ محقَّراتِ الذُّنوبِ؛ كمَثلِ قَومٍ نزَلوا بطنَ وادٍ، فجاء ذا بِعودٍ، وجاء ذا بِعودٍ، حتَّى جَمعوا ما أنضَجوا بهِ خبزَهم، وإنَّ محقَّراتِ الذُّنوبِ متَى يُؤخَذْ بها صاحبُها تُهْلِكْهُ). المرتبة الخامسة: أن يتقي الإنسان ما هو مباحٌ من الأفعال(بالزهد)؛ لأنّ الإنسان إذا دخل بعمقٍ في المباحات، قد يُجرّ إلى ما نُهي عنه من الأفعال.



أما ثواب التقوى فلا يُعد ولا يحصى أبرزها الأمن يوم القيامة من الفزع، وأن التقوى سبب من أسباب تأييد الله تعالى لعباده وإنزال عونه عليهم، كما أن التقوى سبب من أسباب محبة الله تعالى للعبد، وكفى به سببًا لتحفيز المسلم على الالتزام بالتقوى. وفيها تفريج الكروب وسعة الرزق، قال تعالى: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ". وتبيان الفرقان بين الحق والباطل، وتكفير السيئات وغفران الذنوب، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ". وفيها العلم النافع، قال تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ". وفيها الأجر العظيم، قال تعالى: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا". وفيها الحفظ من كيد الكفار، قال تعالى: وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا. والمتقين في جنات النعيم، قال تعالى: أن الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ". هم الناجين من النار، قال تعالى: ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا". وغير ذلك كثير لا يتسع المقام لذكره، جعلنا الله وإياكم من المتقين.

جعلنا الله وإياكم من الذاكرين اهل القرآن، والشاكرين المتقين البارين، الصابرين، اهل العفو والمغفرة.



أهل الشكر المتعبدون حقا

اذا كانت التقوى هي الغاية من العبادات كما قال تعالي: "لعلكم تتقون" فإن الشكر هو الغاية من التقوى حيث يقول عز من قال: "واتقوا الله لعلكم تشكرون". فالشكر هو التحدي الأعظم بين الشيطان وبين ربنا العزيز سبحانه وتعالي بعدما رفض الشيطان الرجيم السجود لأبو البشرية آدم فغضب الله عليه فتوعد سلالته بالغواية وتحدى بأنهم سيتبعونه فجاء على لسانه في القرآن الكريم: "ولا تجد أكثرهم شاكرين"، لم يقل ابليس ساجدين ولم يقل خاشعين بل قال شاكرين. الشكر هو عبادة الصفوة من خلق الله، قال تعالي: "وقليل من عبادي الشكور". الشكر هو الغاية التي امتدح الله بها الانبياء "انه كان عبدا شكورا"، وقال صلى الله عليه وسلم "أفلا أكون عبدًا شكورا".

إن الشكر جُعل غاية للخلق فقال تعالى: (وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)، وأعظم الشكر توحيد الله وعبادته. وأخبر تعالى أنما يعبده من شكره، ومن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته فقال: (وَاشْكُرُواْ لِلّهِ أن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ).

وعبادة الشكر هي عبادة نادرة وورد "الشكر والشاكرين" ومشتقاتهما في القرآن الكريم اكثر من 25 مرة، اختص منها الله نفسه اكثر من مرة بهذه الصفة فمن اسمائه الحسنى الشاكر والشكور، فقال تعالى: "وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ"، وقال "وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا".



الشكر منزلة من منازل السائرين إلى الله عز وجل، وهو من أعلى المقامات، فوق منزلة الرضا، فالرضا مندرج في الشكر، إذ يستحيل وجود الشكر دون رضا. فالشكر أعلى منازل السالكين إلى الله، ولن يكون كذلك حتى يبنى على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره.

وكلمة الشكر لغةً تعني عرفان الإحسان ونشره، وحينما يكون من الله يكون المجازاة والثناء الجميل، الشكر والامتنان بمعنى واحد. وكلمة شكور هي الشكر الكثير وقد جاءت في الآية الكريمة: "إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورً"، وهو من عند الله عندما يكون لديه القليل من أفعال العباد فيجزيهم أضعاف ذلك، وشكر الله لعباده من خلال مغفرته لهم. والشكر اصطلاحًا يكون باعتراف العبد بنعمة الله عليه في أعماله أو على لسانه في الحديث واعترافه أن بالشكر تدوم النعم وقد ذكر ابن القيم في ذلك: (الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافا، وعلى قلبه شهودا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة). ولهذا فأركان الشكر ثلاثة: الاولى: الاعتراف بالنعمة وبأنها من الله وحده مسيرة بوسائل من خلقه، والثانية: التحدث بالنعمة والثناء على الله مانحها، علما بأنه من شُكر الله شُكر عباد الله الذين جعلهم الله سببًا في مساعدتك؛ فمن عَجِز عن شُكر النَّاس فهو عن شُكر الله أعجز. والثالثة هو تسخير النعمة وجعلها في طاعة المنعم بها بأداء واجباته فيها، فنعمة المال عليها زكاة المال ونعمة العلم عليها زكاتها بتعليم الآخرين. وهكذا. وباكتمال اركان الشكر يتضح الفرق بين الحمد والشكر. هناك بعض الناس لا



يستطيعون التمييز حيث إنهم قريبين من بعض في المعنى مع اختلاف أن الشكر هو شكر يتم بالجوارح، في حين أن الحمد يتم باللسان والقلب، أي لا يكتمل معه أركان الشكر الثلاثة.

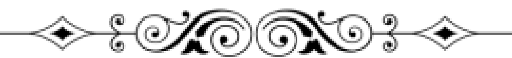
وأهل الشكر (الشاكرين) ينعمون بثمار الشكر العديدة فالشكر نصف الإيمان فهو من كماله، كما أنه من حسن الإسلام. والشكر اعتراف من المؤمن بالمنعم عليه وبالنعمة الممنوحة له وبالتالي يكون من أحد أسباب دوام النعمة، وكما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرَن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد". وكذلك زيادة النعمة في بعض الأحيان بما يؤدي به الشكر من أن يكسب العبد رضا الله سبحانه وتعالى من خلال الشكر. وهو يدل على ارتقاء النفس وسموها. والعبد الشكور يكون راضي عن حاله، يحب أن ينعم الله على الآخرين بالخير، ولا يشعر بالغيرة أو يحسد من كان لديه نعمة. كما أن النجاة من المآزق نعمة تستحق الشكر، الذي يتجلى في أعمال صالحة تعقب النجاة.

إن حصول النعمة سبب يدعو الإنسان إلى شكر الله تعالى، ومن شكر الله: القيام بسجدة الشكر عند حصول ما يُسر؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه أمرٌ يسره، أو بُشر به خرّ ساجدًا لله شكرًا. ومن الشكر ما أوصانا به رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر. فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك



حين يمسي فقد أدى شكر ليلته). ومن ذلك أيضا أن نوفي الله حقه عند كل عمل بذكر اسمه عليه. ويوصينا الشيخ الشعراوي فيقول استثمر وأثر اسم الله شكرا له فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، وبسم الله على كل عمل لم أبدأه باسم الله وبسم الله عن كل عامل نسي عن عمله باسم الله. وان نوفي الله حقه في شكر نعمه فنقول: الحمد لله والحمد لله على كل نعمة نسيت فيها الحمد لله، والحمد لله عن كل مُنعم عليه نسي أن يقول الحمد لله.

وإذا كان الشكر بهذه المكانة فحري بنا أن ندعوا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم "اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك». ومناجاته "رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شكارا، لك ذكارا، لك رهابا، لك مطواعا، لك مخبتا، إليك أواها منيبا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري".



أهل المعروف وأهل المغفرة هم أهل الثناء والحمد

المعروف هو بذل الإحسان الماديّ والمعنويّ، والسعي لتعميمه بين الناس. هذا وقد وردت أحاديث كثيرة عن فضل المعروف وأهله الذين يعبّرون عن حقيقة الخُلق الإنساني والإسلامي الرفيع، عندما يفيضون على الواقع الاجتماعي والسياسي والفكري والحياتي والأخلاقي كلّ خير يثبّته ويعزّزه ويقوّي أسسه وروابطه. وهو عند العارفين خير الأخلاق. قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى خَيْرِ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، تَصِلُ مَنْ قَطَعَك، وتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ".

ينطلق المعروف في الحياة ليؤكّد مدى الارتباط بالله تعالى، والسّعي العملي لبلوغ القرب منه، بالعمل الذي يمنح الحياة قيمةً، ويغنيها بصنوف الإحسان، أن كان هذا المعروف خالصًا لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته. والمعروف عند الله له أجر عظيم وفضل كبير، قال تعالي: "وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرًا". وقَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ، والصَّدَقَةُ الْخَفِيَّةُ تُطْفِئُ غَضَبَ اللَّهِ، وصِلَةُ الرَّحِمِ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ، وأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ" . وفي حديث آخر قال: "من سره أن تنفس كربته، وأن تستجاب دعوته، فلييسر على معسر، أو فليدع له، فإن الله يحب إغاثة الملهوف". وجاء عن عليّ بن ابي طالب رضى الله عنه: «ابذل معروفك للنّاس كافّة، فإنّ فضيلة المعروف لا يعدلها عند الله سبحانه شيء».



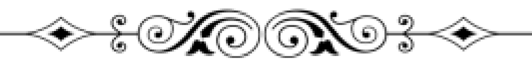
صنائع المعروف هي معنى الإنسانية هي معنى الرحمة هي دليل التقوى. والمعروف له تبعاته الطيّبة على صاحبه، فهو من المحفّزات التي تهذّب النفس وتربيها على فعل الخير وحبّ الناس والمنفعة لهم، ويبتعد به عن كلّ انغلاق وضيق أفق وصدر، كما ويربي المشاعر على الصّفاء والطهارة وحسّ الشعور بالآخرين. ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اصطنع الخير إلى أهله وإلى من ليس أهله، فإن لم تصب من هو أهله، فأنت أهله". قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: ترى المؤمنين في تراحمهم، وتوادِّهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضوًا، تداعى له سائر الجسده بالسَّهر والحمَّى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الرَّاحمون يرحمهم الرَّحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السَّماء. زعباد الله: اطلبوا المعروف واصنعوه ولا تحقروا منه شيئا مهما كان صغيرا فلا تدورن أي أعمالكم قبل .. واستكثروا من صنائع المعروف. وقال صلى الله عليه وسلم: لا تحقرنّ من المعروف شيئًا ولو أن تفرغ من دلوك في إناء أخيك، ولو أن تكلّم أخاك ووجهك إليه منبسط.

وهكذا يعطي المعروف سعة أفق للإنسان، عندما يخرج من دائرة التّفكير الذاتيّة والخاصّة المحدودة، لينطلق إلى الدّائرة الاجتماعيّة الأوسع، فيشارك بكلّ همّة وإخلاص في أعمال الإحسان والمعروف والبرّ للآخرين، ويسدي لهم كلّ معونة مادية ومعنوية، عبر الكلم الطيّب النافع الذي يهدّئ النّفوس، ويقلع منها الأحقاد والعصبيّات، ويزرع المحبّة والرحمة في ربوع الحياة.



إن الله برحمته حين خلق المعروف خلق له أهلًا، فحبَّبه إليهم، وحبَّب إليهم إسداءه، وجَّههم إليه كما وجَّه الماء إلى الأرض الميتة فتحيا به ويحيا به أهلها، وإن الله إذا أراد بعبده خيرًا جعل قضاء حوائج الناس على يديه، ومن كثرت نعم الله عليه كثر تعلُّق الناس به، فإن قام بما يجب عليه لله فيها فقد شكرها وحافظ عليها، وإن قصَّر وملَّ وتبرَّم فقد عرَّضها للزوال ثم انصرفت وجوه الناس عنه. وقد ورد في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن لله أقوامًا اختصهم بالنعم لمنافع عباده يقرُّها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم وحولها إلى غيرهم «ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: المعروف أيمن زرع، وأفضل كنز، ولا يتم إلا بثلاث خصال: تعجيله، وتصغيره، وستره؛ فإذا عُجل؛ فقد هني، وإن صُغّر؛ فقد عظم، وإن ستر فقد تُمم.

وكل معروف صدقة، والصدقة تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، والمال أن لم تصنع به معروفًا أو تقضي به حاجة وتدخر لك به أجرًا فما هو إلا لوارث أو لحادث. وصنائع البر والإحسان تُستعبد بها القلوب. يقول الباري عزّ وجلّ في كتابه العزيز: (هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إلا الْإِحْسانُ)، فعبّر عن المعروف بالإحسان، بأن يحسن المرء إلى الغير بما يبرز طهارته وصفاءه. وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «أهل المعروف في الدُّنيا أهل المعروف في الآخرة، قيل: يا رسول الله، وكيف ذلك؟ قال: يغفر لهم بالتطوّل منه عليهم، ويدفعون حسناتهم إلى النّاس فيدخلون بها الجنّة، فيكونون أهل المعروف في الدّنيا والآخرة». ولهذا قال العارفون: أن الله يقول للفقراء يوم القيامة: انظروا وتصفّحوا وجوه الناس، فمن أتى إليكم معروفًا،



فخذوا بيده وأدخلوه الجنّة. كما يقول العارفون: "إِنَّ لِلْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الْمَعْرُوفُ لَا يَدْخُلُهُ إلا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ، وأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ". ولقد قال بعض الحكماء: «أعظم المصائب أن تقدر على المعروف ثم لا تصنعه«.

وهكذا فإن معروفك وعطاؤك وعفوك عن الاساءة وعملك الصالح وكل خير تعمله لن يضيع سدى وسيرد لك وإن لم يكن في الدنيا فهو عند الله خيرا وأعظم أجرًا.

اللهم اجعلنا من أهل المعروف، اللهم اجعلنا باذلين للخير صانعين له، اللهم اجعل قضاء حوائج الناس على أيدينا، اللهم من آتيته منا مالًا أو جاهًا أو منصبًا فاجعله في سبيلك، وعونًا على طاعتك، وطريقًا لبذل المعروف لعبادك وقضاء حوائجهم، وتفريج كرباتهم يا حي يا قيوم.

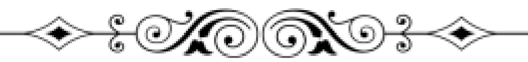


أفضل المعروف إغاثة الملهوف

"مَن استعاذكم بالله عند ضرورة حلت به أو ظلم لحقه فأعيذوه، فإن إغاثة الملهوف فرض واجب".

كثيرة هي الطاعات والأعمال الصالحة التي يستطيع الإنسان أن يتقرب بها إلى الله سبحانه و تعالى، فالصدقة و تفريج الكربات هي من الطاعات، وإنّ كل عمل يبتغي فيه وجه الله تعالى هو من الطاعات والعمل الصالح حتى اللقمة يضعها في فيّ امرأته يثاب عليها، وكما قال نبينا عليه الصلاة والسلام: "في كل كبد رطبة أجر".

تُعتبر إغاثة الملهوف عملًا من أعمال الخير التي يتنافس فيها المتنافسون، وقد عُرف النبي عليه الصلاة والسلام قبل بعثته بمكارم الأخلاق، ومن بينها إغاثة الملهوف، وتقديم العون والمساعدة لمن يحتاج إليها، وقد شهدت السيدة خديجة رضي الله عنها بذلك الخلق الرفيع للنبي، واستدلّت بحفظ الله لنبيه؛بسبب عمله للخير وإغاثته للملهوف، وجزاء الله لا يكون إلا من جنس العمل، وقد أكّد النبي الكريم على معاني إغاثة الملهوف حينما بيّن حقّ الطريق على من جلس فيه، ومن بين حقه أن يُغاث الملهوف، ويُهدى الضّال، فقد قال يومًا لقوم مرّ بهم وهم جلوس في الطريق: (إن كنتم لا بد فاعلين فاهدوا السبيل، وردوا السلام، وأغيثوا المظلوم)، وإغاثة الملهوف تكون بصور مختلفة، فقد يكون الملهوف عاجزًا، أومظلومًا، أو مكروبًا، وواجب المسلم تجاه



الملهوف وذي الحاجة أن يقوم بفكّ كربته، ورفع مظلمته، ونجدته، وإغاثته؛لأنّ ذلك يعتبر شكرًا لله على نعمته، فصاحب النعمة تكثر حاجة الناس إليه، ويحتاج إلى أن يديمَ تلك النعمة بشكر الله عليه، وإلا تعرّضت للزّوال.

إنّ فضل إغاثة الملهوف لكبير في الإسلام، فهي من أعظم القربات إلى الله تعالى، كما أنّها صدقة من الصدقات، ومن فرّج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربةً من كربات يوم القيامة، ومن يسّر على مُعسر يسّر الله عليه، ومن ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة، وفي الحديث في فضل إغاثة الملهوف: (على كلِّ نفسٍ في كلِّ يومٍ طلعتْ عليه الشمسُ صدقةٌ مِنهُ على نفسِهِ، من أبوابِ الصدقةِ: التَّكبيرُ، وسبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلا اللهُ، وأستغفرُ اللهَ، ويأمُرُ بالمعروفِ، وينْهى عنِ المنكَرِ، ويَعزِلُ الشَّوكَ عن طريقِ الناسِ، والعظْمَ والحجَرَ، وتَهدِي الأعْمَى، وتُسمِعُ الأصَمَّ والأبْكمَ حتى يَفقَهَ، وتُدِلُّ المستدِلَّ على حاجةٍ لهُ قدْ علِمتَ مكانَها، وتَسعَى بِشدَّةِ ساقَيْكَ إلى اللَّهْفَانِ المستغيثِ، وترفعُ بشِدَّةِ ذِراعيْكَ مع الضعيفِ، كلُّ ذلكَ من أبوابِ الصدَقةِ مِنْكَ على نفسِكَ.

وهذا رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أشجع الناس؛ يسبق الناس إلى الخطر ليتبين الحدث ويرجع فيطمئن الناس فعَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه – قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ-صلى الله عليه وسلم-أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ-صلى الله عليه وسلم-وَقَدِ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ وَهْوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي

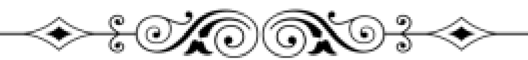


طَلْحَةَ عُرْيٍ وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهْوَ يَقُولُ لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا ثُمَّ قَالَ وَجَدْنَاهُ بَحْرًا، أو قَالَ إِنَّهُ لَبَحْرٌ".

ولكي يحفز النبي-صلى الله عليه وسلم-على الالتزام بهذا الخلق وغرسه في نفوس المسلمين جعله صدقة من الصدقات ففي الحديث وإغاثة الملهوف صدقة من العبد له أجرها وبرها.. فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "على كل مسلم صدقة. قالوا: يا نبي الله! فمن لم يجد؟قال: يعمل بيده ويتصدق. قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف".

بل قد يكون الأجر أعظم وأفضل من الاعتكاف في مسجد النبي-صلى الله عليه وسلم-أولئك هم الذين أسعدهم الله تعالى بقضاء حاجات العباد.. وإغاثة ملهوفهم.. والإحسان إلى ضعيفهم.. فما أغلاها من فرصة.. وما أعلاها من درجة.. وما أسعدهم ببشارة نبيهم صلى الله عليه وسلم: «أحب الأعمال إلى الله عز وجل؛ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعًا، أو تقضي عنه دينًا». كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سرَّه أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ فلييسر على معسر، أو ليضع عنه».

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام».



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه، لعل الله يتجاوز عنا، فلقي الله؛ فتجاوز عنه» وفي رواية للبخاري: «فأدخله الله الجنة!». بل المسلم مطلوب منه أن يرفع الأذى عن الحيوان الأعجم إذا قدر عليه، سواء كان هذا الأذى ناشئا عن ظلم إنسان له، أو أسباب طبيعية أخرى، كأن يصيبه العطش أوغيره من ألوان الأذى.

وما أروع الحسن البصري رحمه الله، يوم أن قال: (لأن أقضى حاجة لأخي أحب إلى من عبادة سنة!): ولم أر كالمعروف أما مذاقه*فحلو وأما وجهه فجميل. وقال جعفر الصادق رحمه الله: (إن الله خلق خلقًا من رحمته برحمته لرحمته؛وهم الذين يقضون حوائج الناس، فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن).

لقد كان الصالحون من هذه الأمة؛إذا وجدوا فرصة لنفع الخلق، وإغاثة ملهوفهم؛فرحوا بذلك فرحًا شديدًا.. وعدوا ذلك من أفضل أيامهم، فكان سفيان الثوري رحمه الله، ينشرح إذا رأى سائلًا على بابه!ويقول: (مرحبًا بمن جاء يغسل ذنوبي!).

وإغاثة الملهوف من شيم ذوي المروءة والشهامة، قيل: جلس الاسكندر يومًا مجلسًا عامًا، فلم يُسأل حاجة، فقال لجلسائه: والله ما أعد هذا اليوم من أيام عمري في ملكي. قيل: ولم أيها الملك، دامت لك السعادة؟قال: لأن الملك لا يوجد التلذذ به إلا



بالجود للسائل، وإلا بإغاثة الملهوف، وإلا بمكافأة المحسن، وإلا بإنالة الطالب وإسعاف الراغب.

أن أصحاب النجدة والمروءة لا تسمح لهم نفوسهم بالتأخر أو التردد عند رؤية ذوي الحاجات؛فيتطوعون بإنجاز وقضاء حوائجهم طلبًا للأجر والثواب من الله تعالى. وانظر إلى الشهم الكريم نبي الله موسى عليه السلام، حين فرَّ هاربًا من بطش فرعون، وقد أصابه الإعياء والتعب، فلما ورد ماء مدين ووجد الناس يسقون، وجد امرأتين قد تنحيتا جانبًا تنتظران أن يفرغ الرجال حتى تسقيا، فلما عرف حاجتهما لم ينتظر منهما طلبًا، بل تقدم بنفسه وسقى لهما). وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ*فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إلى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إلى مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ"(القصص: 23، 24). وهكذا أصحاب النجدة والمروءة يندفعون دفعا نحو المكرمات ومنها إغاثة الملهوفين وذوي الحاجات.



الله حي وفرجه جاي.. نصر الله قريب

نستهون كثيران بكلمات بسيطة هي جوهر العبادة ولب اليقين، هي في واقعها دعاء، والدعاءمخ العبادة. فالايمان الحق هو اليقين بأن الله مدبر كل شيء. والإيمان لغة هو الإعتقاد في القول والعمل، والإيمان الشرعي يقصد به التصديق من القلب بالإضافة للعمل. وهو يصدق معنى الإيمان في الاديان السماوية الاخرى والذي هو "الثقة بما يرجى، والإيقان بأمور لا ترى". وفي كل دقيقة في هذه الدنيا يخضع ايماننا لاختبار حقيقي، واداءنا في هذا الاختبار يعتمد على مدى ثقتنا بالله، وانه رب الخير الذي لا يأتي إلا بالخير. ولا يسعنا إلا أن نستعين بالله أن يقوي ايماننا لنتحمل اختبارات الدنيا فأجمل الدعاء: "اللهم إني أسالك إيمانا دائما،وقلبا خاشعا،وعلما نافعا، ويقينا صادقا، ودينا قيما، وأسألك العافية من كل بلية.. ونبتهل لله: يافتاح ياعليم يارزاق ياكريم،افتح لنا أبواب رحمتك وافتح لنا أبواب فضلك واجعلنا من عبادك الصالحين. يا فارج الهم، وياكاشف الغم؛ فرج همي، ويسر أمري، وإرحم ضعفي، وقلة حيلتي، وأرزقني من حيث لا أحتسب يا رب العالمين.

وقد اكد الله في كتابه عز وجل معاني اليقين بفرج الله وقدرته في كل آياته ومن بعض الامثلة: "فإن تولوا فقل حسبي الله لا اله إلا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم"،وقوله: "ليقضي الله أمرا كان مفعولا والي الله ترجع الأمور"،"واصبر وما صبرك



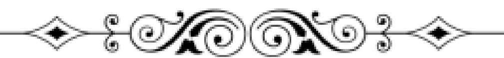
إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون، أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون".

إن الله صادق الوعد قال وقوله الحق: "إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب"، "ولينصرن الله من ينصره، أن الله لقوي عزيز"،"إن الله يدافع عن الذين امنوا، أن الله لا يحب كل خوان كفور"،"وان يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله، هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين"،"يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون"،"وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين"،"وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير"،"ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون".

الفرج جاي، والنصر قريب: "وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم، وما النصر إلا من عند الله، إن الله عزيز حكيم"،"بل الله مولاكم وهو خير الناصرين"،"إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده، وعلى الله فليتوكل المؤمنون"،"يستبشرون بنعمة من الله وفضل وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين"، "فانقلبوا بنعمة من الله وفضل، لم يمسسهم سوء، واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم".

هو اليقين بأن الله حي: "وان تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور"،"يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون"،"إنا فتحنا لك فتحا

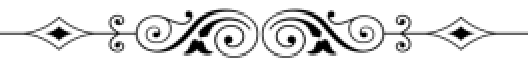
مبينا"،"وينصرك الله نصرا عزيزا"،"ولله جنود السماوات والأرض، وكان الله عليما حكيما"، "لله الامر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون"،"فاصبر، أن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون"،"وكفى بربك هاديا ونصيرا"،"وكان ربك قديرا". و"أنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين"، و" الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، إلا بذكر الله تطمئن القلوب. الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مأب"، " وما ذلك على الله بعزيز". " فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله، إن الله عزيز ذو انتقام"، "فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين. واعبد ربك حتى يأتيك اليقين"، "إنما قولنا لشيء إذا أردنا أن نقول له كن فيكون". "والذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون"، "اذا قضى أمرا إنما يقول له كن فيكون"، "فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى". "وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين". "وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين". "فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم". "وايوب إذ نادي ربه اني مسنى الضر وانت ارحم الراحمين. " "فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين. " "فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين". ونختمها بقول خير القائلين: "قل ربي احكم بالحق وربنا المستعان على ما تصفون".



طلب النصرة من الله عزة

النصر من المفاهيم المركزيّة التي ترتبط بوجود الإنسان وحياته، فمع تعقد الظروف التي نعيش فيها أضحى نجاة الفرد كل صباح من المكائد والاساءة التي تُدبر ضده هو فوز ونصر من عند الله مبين، فلقد خلى عصرنا المادي المستوحش من اخلاقيات التعامل التي اوجبها الله عز وجل في اديانه السماوية جميعها، واكدها بشكل خاص رسولنا الكريم عندما اكد أن بعثه هو لإعلائها، فقال الصادق الأمين: (إنَّما بُعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق). وللأسف انحصر تناول النصر كمفهوم محوريّ في الفكر الإسلاميّ وارتبط في تحليلاته بمفهوم الجهاد رغم أن النصر اوسع بكثير. تماما كما نسي الكثيرون أن جهاد الحفاظ على النفس السليمة الخلوقه المعافاة هو اعلى درجات الجهاد. ومع هذا الغلط فقدنا شكر ربنا الخالق على نصره المتجدد لنا في حياتنا اليومية عندما ينجينا ويلطف بنا من مكر الماكرين وحسد الحاسدين وتدبير الاعداء والحقودين ومصائب الدهر وبلاء السنين. <u>فالنصر نعمة إلهيّة محكومة ومشروطة بالمبادرة وبالنهوض بأعباء المسؤوليّة</u>.

ومعاني النصر في القرآن الكريم تشمل انواعا كثيرة منه تضم: الحماية والدفاع، الانتقام، العون والمساعدة،الغلبة والظفر، العزة والتمكين في الأرض، الهلاك للمكذبين وللكفار والنجاة للمؤمنين. قال تعالى: "وما النصر إلا من عند الله الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"، وقال تعالى على لسان سيدنا نوح ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِر﴾.



وقال النبي صلى الله وسلم في حديث صلح الحديبية: "أنا رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري... "وكان يقول عليه الصلاة والسلام اذا غزا: "اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ". وهكذا كان النصير (والنَّصير: فَعيل من ناصر، وصيغة مبالغة من نصر بمعنى كثير التأييد والعون بدعم وقوة) من أسماء الله تعالى. وورد بلفظه في القران الكريم في 6 مواضع منها ايتين اثنتين مقرونا باسم المولى في قوله تعالى: (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أن اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)، وقوله عز وجل (وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِير). كما ورد النصر بمعناه في مواضع كثيرة بصيغ متعدّدة من اسم الفاعل إلى الفعل بصيغتي المعلوم والمجهول، فهو عز وجل "خير الناصرين كما جاء بقوله جل ثناؤه: (بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ). وقال تعالى: (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ).

ويقول علماء اللغة: "نصر" هي أصل صحيح يدلّ على إتيان خير. ونصر الله المسلمين: آتاهم الظفر. والنصر العطاء. والنصير الذي لا يخذل وليه. والنصر عند آخرين: إعانة المظلوم, والأنصار أنصار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم غلبت عليهم الصفة فجرى مجرى الأسماء.

ونلاحظ أن النصر بمعنى العون والمساعدة هو الغالب في القرآن الكريم. وتوقّف بعض علماء اللغة عند قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إلى السَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾،



ويجعلها أحد الشواهد على الاستخدام في هذا المعنى. بل نجد أن القسم الأكبر بالقرآن الكريم هو استخدامها في هذا المعنى، قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ﴾، ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾، ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾، ﴿جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّه﴾. ويشير البعض أن مشتقات"النصر" استُخدمت ما يقرب من مئة وخمسين مرّة في القرآن الكريم ربّما كان أكثر من نصفها دالًّا على العون والمساعدة لتحقيق هدفٍ والوصول إلى غايةٍ ولو في حالة المغالبة والخصام. ومع ذلك يفرق البعض بين النصرة والإعانة، بأن النصرة لا تكون إلا على المنازع المغالب والخصم المناوئ المشاغب، والإعانة تكون على ذلك وعلى غيره كالفقر وشيل الاحمال. ولا يقال نصره على ذلك فالإعانة عامة والنصرة خاصة. فكل نصر معونة ولكن ليس العكس.

وما اردت بالتذكير بآيات النصر ومعنى وأهمية الدعاء بطلب النصر ونعمته، إلا أن أُذكر نفسي معكم بما ييسره الله من تدبرٍ لآيات النصر في كتاب الله سبحانه لتعلو الهمم، وتنقشع سحب الهزيمة، وننظر لواقعنا نظرة المتفائل الذي يعلم ليعمل، ويعمل ليترقى في سبل المعالي والعزة، ولا يقعد به اليأس ليندب حظه، ويمقت عمره ويُحبط نفسه، فالكون سائر بمن فيه فمن تقدم معه وإلا خلفه وراءه مع الخالفين.

ولنتدبر أن النصر في الحياة له قواعده وشروطه. وأول قواعد النصر: أن النصر من عند الله، وحينما يتوهم البعض أن النصر من عند احد من خلق الله أو عبيده فقد وقعوا في وهمٍ كبير! ولهذا وجب أن نتوقف عن قوله تعالى في سورة البقرة:



﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ إلا أن نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ(214)﴾. فهكذا كل من قام بالحق فإنه يمتحن. فكلما اشتدت عليه وصعبت، إذا صابر وثابر على ما هو عليه انقلبت المحنة في حقه منحة، والمشقات راحات، وأعقبه ذلك، الانتصار وشفاء ما في قلبه من الداء، وهذه الآية نظير قوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}. وهكذا فثاني شروط ومسببات النصر: الصبر والثبات. ومن الحكم المشهورة: "من صبر ظفر فاصبر تظفر"،و"إنما النصر صبر ساعة". ويقول تعالى في سورة الروم: "لله الامر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون"، ويعد الصابرين بالنصر"فاصبر، أن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون".

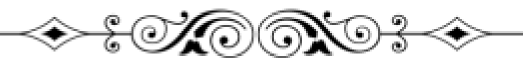
أما ثالث ورابع قواعد النصر هي اكتمال الإيمان بوحدوية وعظمة وقدرة وقدر الخالق. فالإيمان العامل المؤثر الاساسي في النصر. قال تعالى: "وكفى بربك هاديا ونصيرا". والتوكّل الكامل على الله تعالى يجعل الإنسان في غنًى عن سواه. وبكلمة عامّةٍ التوكّل على الله يرفع منسوب الثقة ويشدّ العزيمة فمن يرَ الله ظهيرًا له ومعتمدًا، يكنْ أقدر على اتّخاذ المواقف الحاسمة في الأوقات الصعبة. ومن المعلوم أن كثيرًا من اسباب الفشل في الحياة سببها الضعف في اتّخاذ القرار في الوقت المناسب، وكثيرًا من الانتصارات سببها ارتفاع منسوب الثقة بالمستند والمعتمد.



وخامسا العمل الصالح. فالنصر لا يجوز طلبه في الخيانة أو الفجور والإيذاء والمعاصي. يقول ربنا النصير سبحانه وتعالى: "إن الله يدافع عن الذين امنوا، أن الله لا يحب كل خوان كفور"، ويؤكد: "ولينصرن الله من ينصره، أن الله لقوي عزيز".

سادس شروط النصر: السكينة وطلب العزة بها. والسكينة من صفات النفس الإنسانيّة التي وردت الإشارة إليها مرّاتٍ عدّة في القرآن الكريم، بطريقةٍ مباشرة، وغير مباشرة. وهي عندما تغمر القلوب تولد النصر، وتجعله ثوابًا قريبًا لأهل السكينة والاطمئنان. فالسكينة هي من المدد الالهي ومن مسببات النصر الروحية الاساسية. وفي طلبها آمان النفوس: "ربي اني مغلوب فانتصر"،"ربي انصرني بما كذبون". "وينصرك الله نصرا عزيزا"، "وما ذلك على الله بعزيز". وكل ذلك يؤكد أن طلب النصرة من الله هو طلب مرغوب بالعزة!

وما احوجنا في هذه الايام إلى المدد الإلهيّ والعون إذا كان من الله تعالى، بشكلٍ غيبيّ أو بواسطة ماديّة طبيعيّة، فإنّه سوف يحقّق أهدافه عادةً إذا لم يضيّع الإنسان هذا العون ويفرّط فيه. فلنطلب النصر لكي تمتلأ النفس بالثقة، وحُسْنَ الظنّ بالله وفي نصره وعزته. اللهم نصرك الذي وعدت.



الاستقامة أكبر كرامة

يتمنى أحدنا أحيانا أن تحصل له كرامة خارقة للعادة... خاصة المُبتلى ممن يُحيط به شياطين الانس والجن، من يمكرون به (مكر الليل والنهار) مكرا (لتزول منه الجبال) ومع ذلك تجد أن الإيمان متمكن من قلبك وانك ثابت على دينك مستقيم على امر الله، فكأن ايمانك ارسخ وأثقل من الجبال، عندئذ يشعر المرء بأن الله معه. هذه هي الاستقامة، وما أدراك ما الاستقامة، إنها أس الديانة، وسبيل السلامة، إذ هي أكبر كرامة في الدنيا، المفضية إلى الكرامة الأبدية في الاخرة، وهي طريق الجنة: "فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ". ولتصدق مقولة العارفين أن الاستقامة أعظم كرامة.

وفي القرآن الكريم تسع وأربعون آية عن الاستقامة، وفي الأحاديث الصحيحة ما يزيد على عشرين حديثًا في الاستقامة، وفي الآثار عدد كبير لا حصر له في فضلها.

قال تعالى: ﴿إن الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، وفي الحديث عن سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ؟ (أو بَعْدَك) قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِم". وقال عليه الصلاة والسلام: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه" أي أن أعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان. الاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات، فالاستقامة فيها، وقوعها لله، وبالله،



وعلى أمر الله. وقد قال البعض: كن صاحب استقامة لا طالب كرامة، فإن نفس الإنسان تتحرك في طلب الكرامة، والله عز وجل يطالبها بالاستقامة. والاستقامة من الكلمات الجامعة المانعة، كالبر، والخير، والعبادة، فلها تعلق بالقول، والفعل، والاعتقاد. فهي آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء. واذا كان يمكن أن يضغط الإسلام كله بكلمة واحدة، فهي الاستقامة، فمع الاستقامة يبقى الدين ثقافةً، معلومات، تراثًا، فكرًا، خلفيةً، أرضيةً، مشاعر، اهتمامات، منهج وطريقة.

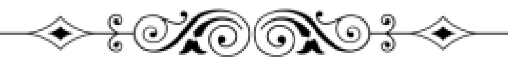
ومن التعريفات الجامعة للاستقامة إنها سلوك الصراط المستقيم، وهي الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك. والاستقامة عند أهل الحقيقة هي الوفاء بالعهود كلها، وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور، من الطعام والشراب واللباس، وفي كل أمر ديني ودنيوي، فذلك هو الصراط المستقيم، كالصراط في الآخرة، وأن يجمع بين أداء الطاعة واجتناب المعاصي. وقيل: الاستقامة: إلا تختار على الله شيئا. أن تقول ربنا الله دون أن تستقيم لا معنى لذلك . باختصار فأن الاستقامة تكون بعدم الطغيان. ولهذا قال العلماء"أعظم الكرامة لزوم الاستقامة".

والاستقامة ليست أمرًا سهلًا هينًا؛ فهناك معوقات تمنعها مثل الاستهانة بالمعصية، والانشغال بالدنيا وأطماعها عن الآخرة، والكبر والطغيان والظلم، والتشبه بالمثل السيئ في الوظيفة أو الأسرة أو المجتمع. ولذا فطريقنا إلى الاستقامة شاق على



مقدمته الإخلاص الصحيح لله رب العالمين، والالتزام بالسنة الشريفة وفعل الطاعات، والاجتهاد فيها، ومجاهدة النفس عليه، والدعاء المتصل، والارتباط بالقرآن تلاوة وحفظا، وتدبرا، وعملا وهُجران المعاصي وأداء الواجبات ففي الحديث القدسي: "ما تقرب إلى عبدي بشيء أحبُّ إلى مما افترضته عليه"، وفعل الواجبات أفضل من ترك المحرمات. والانتهاء عن المحرمات والمكروهات والإكثار من النوافل والتطوعات والمداومة على أعمال الخير(ففي الحديث الشريف "أحب العمل إلى الله أدومه").. مع التوسط والاعتدال، فخير الأمور الوسط، وعمل قليل في سبيل وسنة خير من كثير في بدعة، والاعتدال لا يعني التسيب والانفلات، فبين التشدد، والالتزام، والتفلت فروق دقيقات. وأصعب ما في طريق الاستقامة هو حفظ الجوارح وسجن اللسان، والسعي الدائم لتزكية النفس (قال تعالى: "قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا".

ووالله لا أعظم كرامةٍ من أن يكرمك الله بأن تعرفه، وأن تستقيم على أمره، فالاستقامة عين الكرامة.



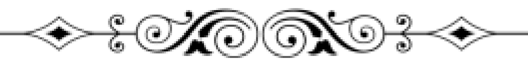
العدل اسم الله والقيمة المحورية في الإسلام

وأساس التقدم

اتفقت الأمة على إطلاق هذا الاسم على الله تعالى، فالعدل اسم من أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين وصفة من صفاته سبحانه، وهو مصدر عَدَلَ يَعْدِل عدلًا فهو عادل، فمن أسمائه جل جلاله؛ الحَكَمُ العَدْلُ. والعدل هو الإنصاف، وإعطاء المرء ما له، وأخذ ما عليه. وقد اتت آيات كثيرة في القرآن الكريم تأمر بالعدل، وتحث عليه، وتدعو إلى التمسك به، يقول تعالى(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ). ويقول تعالى(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إلى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ أن اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ أن اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا).

العدل متعلق بخَلق الله، ومتعلق بأمر الله، ومتعلق بفعل الله، والعدْلُ من أوصافهِ في فعلهِ ومقالِهِ والحكم في الميزانِ. والعدل لغة هو التسوية بين الناس.

أما أن يكون الله عادلًا في خلقه فكل شيء خلقه الله عز وجل أخذ الوضع الأكمل، والشيء العدل هو الكامل، فالعين ترى بها من أنت بحاجة إليه، أما الذي لست بحاجة إليه لا تراه، الأذن لها عتبة لا تزيد و لا تنقص، و لو زادت لسمعت كل



صوت. وبهذا تجد أن كل شيء كان عدلًا في خلقه، أي في أكمل وضع خلقه الله عز وجل. وليس في الإمكان أبدع مما كان. وفي هذا يقول جل وعلى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾

والله عادل في أمره، في وضع فروضه من صلوات وصيام وزكاة وغيره بعدل. ثم يوجد رخص، و هذه من العدل(فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ).

الله عز وجل عدل في خلقه، وعدل في أمره، وعدل في فعله، وهذا أخطر اسم ينبغي أن تتعامل معه، فاللَّه سبحانه وتعالى، خالق الخلق أجمعين، لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى، وفي ذلك العدل كلُّه، والرحمة كلُّها، والمساواة بالمعنى الحقيقي والعميق. ومن العدل الإلهي، تنبثق حقوق الإنسان في الإسلام، لأنها حقوق اللَّه، تنفع الإنسان وتصلح أحواله ويمكث أثرها في الأرض. العدل الذى هو أساس الحكم وتطبيق القانون، وهي المساواة بين البشر في اتاحة فرصة بالعلم بأخبار امتهم وحاضرهم، والمشاركة (بالرأي والعلم والعمل) من أجل تحقيق مستقبلهم. والعدل والقانون والمساواة ليس منةً أو إحسان (من أغلبية أو أقلية) ولكنه حق إنساني. أن السلوك الإنساني (الفرد والجماعة) يقوم على المبادئ الدينية المعروفة (التسامح كقيمة أساسية بالمسيحية، والعدل كقيمة محورية للإسلام، والحسم كقيمة عليا في اليهودية)، والمبادئ الأخلاقية المعروفة (الحرية كقيمة عليا لليبرالية، والمساواة والعدالة الاجتماعية كقيم أساسية للاشتراكية، والديمقراطية والحكم الجيد كنظام دولي يجعل المحاسبية ومكافحة الفساد هدف إنساني موحد) في ناموس عادل يقاوم كل مظاهر الظلم ظلمات يوم



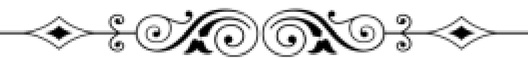
القيامة. عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يَأْتِيَنَّ عَلَى الْقَاضِي الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةٌ يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطُّ"، ويقول سيدنا عمر بن الخطاب: "واللهِ لو تعثرت بغلة في العراق لحاسبني الله عنها، لِمَ لَمْ تصلح لها الطريق يا عمر؟".

الحقيقة أن علاقة الإنسان بعدل الله علاقة واضحة ومتينة ومصيرية، فالذي يعرف عدل الله لا يمكن أن يتجاوز حده، ولا أن يعتدي على أحد، والذي يعرف عدل الله لا يظلم. فنحن في أمسّ الحاجة إلى معرفة عدل الله وننشد صفاته العليا تلك في كل اعمالنا (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى).

العدل أمان للإنسان في الدنيا والآخرة، يوفر الأمان للضعيف والفقير، ويُشْعره بالعزة والفخر. العدل يشيع الحب بين الناس، وبين الحاكم والمحكوم. العدل يمنع الظالم عن ظلمه، والطماع عن جشعه، ويحمي الحقوق والأملاك والأعراض. سُبحانَكَ يا عادِلُ، تَعالَيتَ يا فاصِلُ، أجِرنا مِنَ النّارِ يا مُجيرُ.

العليم: سميع بصير

العلم قبسة من نور الله. والإسلام هو أول دين حض على العلم، والعلم عدو الاستبداد الأول، فبالعلم يعرف الناس حقيقة أن الحرية أفضل من الحياة، وان



يعرفوا الشرف وعظمته والحقوق وكيف تُحفظ والظلم وكيف يُرفع، والإنسانية وما هي وظائفها، والرحمة ما هي لذاتها.

ويرى عبد الرحمن الكواكبي أنه بين الاستبداد والعلم حربًا دائمة وطرادًا مستمرًا: يسعى العلماء في تنوير العقول ويجتهد المستبد في اطفاء نورها، والطرفان يتجاذبان العامة من الناس، ممن إذا جهلوا خافوا، واذا خافوا استسلموا، وفي المقابل هم الذين متى علموا قالوا ومتى قالوا فعلوا. فإذا ارتفع الجهل وتنور العقل زال الخوف، واصبح الناس لا ينقادون لغير منافعهم، وعند ذلك لا بد للمستبد من الاعتزال أو الاعتدال. ونور العلم قادر على الارتقاء بالأخلاق فمنه ترقى الأمم وتنشأ حركة قوية في الأفكار، حركة معرفة الخير والغير على اتباعه، وحركة معرفة الشر والأنفة من الصبر عليه، حركة السير إلى الأمام رغم كل معارض. ومن المهم إعادة العلاقة الصحيحة بين العلم والقيم وذلك من خلال تحديد القيم وجعلها قيمًا مطلقة لا تخضع لمصالح شخصية أو قومية أو حزبية أو فردية.

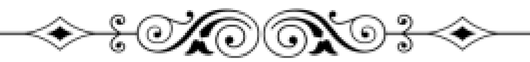
والعليم من اسماء الله الحسنى ويخدمه العديد من أسماء الله الحسنى مثل السميع والبصير حيث نجد أنها الحواس الوحيدة التي من أسماء الله الحسنى من حواس الإنسان الخمسة. وكان اختيارها لحكمة جليلة فالسمع والبصر من الحواس التي خلقها الله تعالى للإنسان ليتجاوَب بها مع الوسط الذي يعيش فيه، ويتفاعل معه بصورة تدعو إلى الانسجام والراحة والاطمئنان، والذي لا يكون إلا عن طريق الإحساس بهذا الوسط وما يحتويه من كائنات عديدة تحيط به من كل جانب، وهذا



الإحساس والتجاوب يكونُ عن طريق أعضاء صغيرةٍ خلقها الله تعالى في الكائن الحي؛ لكي تربط بينه وبين الوسط الذي يعيش فيه برباط وثيق، وهي "أعضاء الحس"، فهذه الأعضاء تنقل للإنسان صورةً واضحة لِما يدورُ حولَه مِن الأحداث أو التفاعلاتِ الطبيعية أو البشرية، وهذه الحواسُّ الخمس المعروفة لدى الجميع؛ هي: السمع، والإبصار، والذوق، والشم، واللمس، ومِن المعروف أن هذه الحواسَّ ليست كلُّها على نفس الدرجة من الأهمية بالنسبة للإنسان، بل أن حاستَي السمع والإبصار لهما أهمية عظيمة بين هذه الحواس جميعًا في حياة الإنسان.

وللحواس الخمس وظائف أخرى، ولها أهمية في الإسلام حيث أنها تعمل على خفض التوترات بالإضافة إلى أنها تُشعر بالراحة والسعادة النفسية فقال الله تعالى(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ). والله تعالى قد ميز حاستي السمع والبصر عن بقية الحواس الأخرى كاللمس والشم بالإضافة إلى حاسة التذوق، وقد ذكر الله تعالى نعمة البصر بحيث أنها مقترنة بنعمة السمع والفؤاد، وإن السمع والبصر هما حاستان يتعرف من خلالهما الإنسان على ما حوله بمساعدة الحواس الباقية.

أما الفؤاد فهم من النعم التي ذكرها الله تعالى كأعظم فوائد الحواس، ويقصد به الشعور الداخلي الروحي الرباني الذي يرتبط بالقلب، وهو الشعور الذي يظهر حقيقة الإنسان المدرك والمخاطب لهذا أن الله سبحانه وتعالى وهب الإنسان السمع حتى يسمع والبصر ليرى آيات الله الكبرى فبواستطها يستدل على وحدانية الله فقال



سبحانه وتعالى(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ)، والمقصود بأن الله أعطى الحواس حتى يستخدمها الإنسان للعلم ولأن السمع والبصر هي أهم الحواس التي تساعد على النمو العقلي، حيث أن من خلالهما يتعلم الإنسان، وقد تم إثبات أن الإنسان يتعلم بواسطة حاسة السمع أضعاف ما يتعلمه بواسطة حاسة البصر فإن حاسة السمع قد تقدمت على حاسة البصر ولكن يشير إلى الأولوية ولا يشير إلى التفضيل، على الرغم من أن حاسة البصر تعتبر هي مدخل العلم وهي أعلى درجة من السمع (عَيْنُ اليقين)، قال تعالى: (لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى)،(فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَار)، فاليقين درجات، أَوَّلُها السمع، أما ثانيها البصَر، ويتجلى أعلاها هو الإدراك والرُّؤية المباشرة.

ولا جدال أن حاسة البصر هي التي تتصدر الأهمية في الحواس الخمس حيث إن الدماغ لديه تركيز كبير في الرؤية. وهي تحتل منطقة الدماغ الأساسية لمعالجة المحفزات البصرية والقشرة البصرية وهي أكبر مساحة من أي حاسة أخرى. كما أن حاسة البصر تعد أكثر إحساس لدينا حدة لأنواع مختلفة من التمييز. وبواسطة الرؤية نستطيع القراءة والكتابة بالإضافة إلى ممارسة الفن.

من ناحية أخرى قال بعض العلماء: السمع أخطر لحياة الإنسان من البصر، لأن الإنسان بالسمع، يتلقَّى الأصوات من الجهات الست؛ عن يمينه، وعن شماله، ومن أمامه، ومن ورائه، ومن فوقه، ومن تحته، في الظلام والنور، في الليل والنهار، على الرغم



من الحواجز الكتيمة يصل السمع إلى أذنه، فكأن السمع يغطي الإنسان كله، أما العين لا ترى إلا باتجاه واحد (الأمام)، ولهذا السمع أخطر للإنسان من البصر.

للسمع وظائف، وللبصر وظائف، بالسمع؛ تسمع الحق، وتعقل الحقائق، وبالبصر؛ تشاهد الجماليات، تشاهد الأشياء، تشاهد أشكالها، ألوانها، حجومها، صفاتها، لكنك بالسمع تدرك حقائقها .

اكتشف العلماء أن الجنين في بطن أمه في اليوم الثاني والعشرين، من تلقيح البويضة، تتوضَّح أماكن السمع والبصر، ولكن الطفل لا يرى إلا بعد الشهر الثالث منذ الولادة، وإلى الشهر الثالث لا يتأثر إلا بالضوء فقط، ولكن لا يرى الشيء فيسعى إليه إلا بعد الشهر الثالث، ولا يرى الأشياء ملونةً إلا بعد الشهر الرابع من ولادته، ولكنه في الأسبوع السادس والعشرين من الحياة الجنينية. أي في الشهر السادس والنصف، وهو في الرحم، يستمع إلى الأصوات، وهو في بطن أمه، وهو في الرحم، يسمع دقات قلب الأم، ويسمع حفيف المشيمة، ويسمع قرقرة الأمعاء.

الله قدم السمع على البصر في سبعة عشر آيةً في كتاب الله تقديم أهميةٍ، وتقديم سبقٍ في الخلق، إلا في آية واحدة، قال الله سبحانه وتعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا). وفي هذا تأكيد متصل أن هذا القرآن من عند الله، وأن هناك تطابقًا عجيبًا، وأبديًا، بين ما جاء في القرآن، وبين ما جاء في معطيات العلم، فمن آيات الله الدالة على عظمته، ومن تطابق القرآن مع خلق

الإنسان، قوله سبحانه وتعالى (إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) فقدَّم السمع على البصر، كما قال تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ أن أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ). هناك حكمتان، قال عنهما العلماء: لأن سرعة انتقال الصورة، تزيد عن سرعة انتقال الصوت، فالصورة تنتقل بسرعة ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية، أما الصوت، لا ينتقل إلا بسرعة ثلاثمائة وثلاثين مترًا في الثانية . كما انه ما دام الفعل هو الإنشاء، أنشأ لكم السمع والأبصار، فالسمع أولهما، أما ما دام الفعل إبصارًا، فالصور تراها العين قبل الصوت، وأصدق شاهدٍ على ذلك، هزيم الرعد، ترى البرق، وبعد حينٍ تستمع إلى الرعد. إلا في آيةٍ واحدة، قال تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ). أي أن إدراك البصر أكمل؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس المخبر كالمعاين". ولكن السمع، يحصل به من العلم لنا، أكثر ممَّا يحصل بالبصر. فالبصر أقوى وأكمل، والسمع أعم وأشمل.. فهذا له صفة العموم والشمول، وذاك له صفة التمام والكمال. وإذا تقابلت المرتبتان، كان كل واحد منهما مفضلا، ومفضلا عليه. وبذلك يترجَّح أحدهما على الآخر بما اختصَّ به من صفات. ولهذا قيل: لما كان إدراك القلب والسمع من جميع الجوانب، جُعِل المانع فيهما الختم، الذي يمنع من جميع الجهات، ولما كان إدراك البصر من الجهة المقابلة فقط، خُصَّ المانع فيه بالغشاء، المتوسط بين الرائي، والمرئي؛ كما في قوله تعالى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}، وقوله تعالى: {وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً}.



وصدق تبارك وتعالى عندما ندعوه ونسميه بهذه الأسماء; لأنّه جل علاه... لا تخفى عليه خافية، ولا شيء مما أدركته الأسماع والأبصار. فالسمع والبصر يقضيان بالعلم. وحقيقة كونه تعالى سميعًا، أي أنّه عالم بالمسموعات. وحقيقة كونه تعالى بصيرًا، أي أنّه عالم بالمبصرات.

وقد وردت كلمة السّميع في القرآن الكريم 45 مرّة، وتكرار الكلمة بهذا العدد له سرٌّ يُنقّب للوُصول إليه العُلماء، والسّميع قد تحمل معنيين في القرآن، أحدهما بمعنى أن الله -تعالى- يسمع الأمور الظّاهرة والباطنة، والخفيّة والجليلة، فهو الذي لا تُدركه الأبصار، وهو يُدرك الأبصار، وهو اللّطيف الخبير، وقد يكون بمعنى استجابة الدّعاء، فهو الذي يقبل دعوة الداعي إذا دعاه، ويكشف السّوء، ويُوفّق المرء إلى ما هو خير له وإلى ما فيه صلاح دُنياه وآخرته، ودون الرُّجُوع إلى الله، وخشيته في السرّ والعلن يعيش الإنسان في عيشةٍ ضنكًا، فالحياة دون القُرب من الله ليست حياةً.

كما وردت كلمة البصير في القرآن الكريم 51 مرّةً، ورد بلفظ بصيرًا 11 مرة، والبصير هم الذي لا يغيب عن إدراكه شيء مهما دقّ هذا الشّيء، ومهما خفي عن النّاس، فهو يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصّدور. ومعرفة هذا المعنى تحقق في النفس الخوف من الله تعالى ومراقبته في السر والعلن وفي الخلوة والجلوة، فيراقبه العبد في جميع أموره، ويستحي أن يراه في معصيته.



والله سبحانه وتعالى له اسماؤه الحسنى التي هي صفاته، وقد جمع الصفتين (سميع بصير) بصيغها الثلاث وكررها 11 مرة على الاقل في القرآن الكريم. ومن دعا الله بالسميع البصير كان فيهما ذكر محمود ولهما فضل أن تنير البصائر و يجعل الذاكر مسموع القول مطاع الأمر ويكون طاهر السريرة مجاب الدعوة. اللهم يا سميع يا بصير يا عليم انك على كل شيء قدير.

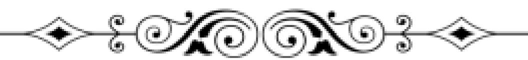


المحسنين: أهل العفو والفضل

ذكر الله تعالى في رد الإساءة ثلاث مراتب: المرتبة الأولى: العدل. والمرتبة الثانية: الفضل. والمرتبة الثالثة: الظلم. فالعدل (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا)، والفضل (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)، والظلم (إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ). وقد أمر الله تعالى بأخذ العفو. ولم يقف عند حدوده ولكنه امر بالفضل، وهذا هو لب الإحسان.

وروي عن رسول الله -صلى الله عليه وآله- في تفسير قوله جلّ جلاله "فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى الله"، قال: "إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ: من كان له على الله أجرٌ فليقم، فيقوم عند ذلك أهل العفو، فيدخلون الجنة بغير حساب".

وقال الرسول الكريم: "ثلاثة ينزلون الجنة حيث يشاؤون... قال: ورجل عفا عن مظلمة". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله، وقال: النبي صلى الله عليه وسلم: ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم. وروي عن النبي المصطفى – صلى الله عليه وآله- قال: ينادي مناد يوم القيامة من بطنان العرش: إلا فليقم من كان أجره عليّ، فلا يقوم إلا من عفا عن أخيه".. وقال معاوية رضي الله عنه: عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال. وعن أيوب قال: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عنهم. وعن أمير



المؤمنين علي –عليه السلام- قال: "عاتب أخاك بالإحسان إليه واردد شره بالإنعام عليه".

وهذا هو سر عظمة خلق (العفو) ففيه يعفو الإنسان مع أن الله عزّ وجل جعل له الخيار في أن يعاقب أيضًا. ولذلك صار من يعفو من أهل الفضل.

كما أن من ايسر واسهل اعمال الفضل البدْء بالسلام فهو فضيلة جليلة، لا يَعرفها الكثيرون، ومن عرف هذا الفضل سعى له سعيًا كبيرًا، وحرص عليه أشدَّ الحرص، وسارع إليه؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ أولى الناسِ باللهِ من بدأهم بالسلامِ)). أن رجلًا سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم: أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قال: ((تُطعِمُ الطعامَ، وتَقرأُ السلامَ على من عَرَفتَ وعلى من لم تَعرِفْ)). ويقول العارفون: "إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي منادٍ: أين أهل الفضل؟ فيقوم عنف من الناس [أي جماعة] فتلقاهم الملائكة فيقولون: وما كان فضلكم فيقولون: كنا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا، فيقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنة".

والرابط بين جميع اعمال الخير هو الإحسان، الإحسان في أجمل صوره، وأسمى معانيه، ومنها: الإحسان إلى الناس بالقول والعمل، قال تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)، وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)، وقال تعالى: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ). فالإنفاق فِي السَّرَّاءِ كرمٌ وجودٌ، لكنه فِي الضَّرَّاءِ غايةُ الإحسانِ، ومنتهى الفضلِ، فالمنفق هنا يحتاج إلى من يواسيه، ويفرج كربه، ومع ذلك يواسي غيره،



كالذي يضمد جراح مجروح وجرحه ينزف، ويسقي غيره وهو يكاد أن يقتله الظمأ، إنه غاية الإحسان.

فمن مقامات الدين العظيمة، ومن منازله الرفيعة منزلة الإحسان، ويختلف معنى الإحسان اصطلاحًا باختلاف السياق الذي يرد فيه، فإذا اقترن بالإيمان والإسلام كان المراد به الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة، وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك عندما سأله جبريل: ما الإحسان؟ فقال: الإِحْسَانُ أن تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ. أما إذا ورد الإحسان مطلقًا، فإن المراد به فعل ما هو حسن.

وعن الإحسان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله كتب الإحسان على كل شيءٍ... الخ)، وكتب يعنى اوجب. فهذا الحديث نص في وجوب الإحسان.

ومن رحمة الله وفضله أن جعل الجزاء من جنس العمل، ومن ذلك أنه جعل ثواب الإحسان إحسانًا كما قال: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إلا الْإِحْسَانُ)، إذ الإحسان جامع لجميع أبواب الحقائق، فمن أحسن عمله أحسن الله جزاءه، وقد أوضح الله سبحانه في كتابه العزيز جزاء المحسنين، وأنه أعظم جزاء وأكمله، فقال تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)، قوله: (وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)، وقوله: (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ).

وقد أمر الله تعالى به فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)، وقال تعالى: (وَأَحْسِنُوا أن اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)



الإحسان مصدر أحسن يُحسِن، إذا أجاد وأتقن وأتى بالشيء على أحسن الوجوه وأكملها، والمراد طلب تحسين الأعمال المشروعة على كل شيءٍ؛ أي: إلى كل شيء، أو في كل شيء. فالإحْسَانُ في اللغة ضد الإساءة، وهو مصدر أحسن إذا أتى بما هو حسن. وفي الاصطلاح: الإتيان بالمطلوب شرعًا على وجه حسن.

والفضل والإحسان من صفات الله سبحانه وتعالي، فالله ذو الفضل العظيم، وذو الطول والإحسان، أن اللهَ تعالى موصوفٌ بالطَّوْلِ (النعم) والفَضْلِ والإِحسانِ إلى عبادِهِ، والقُدرةِ على ذلك، لا يمنعُه مانعٌ من إيصالِ فضلِهِ ونعمتِهِ إلى مَنْ يشاءُ (وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)، وقال: (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، وقال: (قُلْ أن الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (وبشر المحسنين).

طرق الإحسان متعددة، فمن إحسان المرء إلى نفسه حسن عبادته وأن يتجاوز الفرض إلى السنن والفضائل وفعل الخيرات وترك المنكرات، ومن احسانه إلى غيره بأن يعامله بمثل ما يحب أن يعامل به، وذلك بأداء الحقوق كاملة وبزيادة، قال تعالى: (وبالوالدين إحسانا)، ولذلك حتى في أصعب المواقف وأبغض الحلال كالطلاقِ أَمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ الزوجَ بالإحسان في الطلاق، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أو تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾. ومن طرق الإحسان تلك المتعلقة بالنفع البدني (يبذل ما يستطيعه المرء من القوة البدنية في تحصيل المصالح ودفع المفاسد، فيمنع الظالم من الظلم، ويميط



الأذى عن الطريق مثلا)، ومن الإحسان بالمال لمن وسّع الله عليه الرزق، وآتاه المال؛ فيقضي الحاجة، ويواسي المنكوب، ويطعم الجائع تحقيقًا لقوله سبحانه: (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)، والإحسان بالجاه بأن يكون عونا في قضاء حاجة أخيه وإيصال النفع إليه، وذلك بالسعي معه لدى من يستطيع ذلك، ومن الاحسان الشفاعة الطيبة فقال رسول الله المصطفى: «اشْفعُوا تُأجرُوا». وأنقع طرق الاحسان هو الإحسان بالعلم وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن علم ومعرفة صحيحة، وهما من أعظم الطرق وأتمها نفعًا؛ لأنَّ هذا الإحسان يؤدي إلى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة، لما فيهما من تعليمِ الجاهل وإرشاد الحيران، وإفتاء السائل، وغير ذلك من المنافع التي تتعدَّى إلى الغير. ومن الاحسان غفران السيئة والعفو عن المسئ.

وأعلى درجات الغفران هي العفو، والعفو من أسماء الله الحسنى، لذا نجد في القرآن أن العفو سبق المغفرة والرحمة في قوله تعالى: "وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ". و(العفو عن الناس) وهو من أزكى الأخلاق يحبها الله عزّ وجل وارتضاها لعباده المؤمنين، فالعفو زكاة النفس، وقيل: لذة العفو أطيب من لذة التشفي؛ لأنَّ لذة العفو يلحقها حمد العاقبة، ولذة التشفي يلحقها ذم الندم. أن العفو عند العارفين خير من الانصاف. فمن بركات هذا الخلق النبيل هو أنه مفتاح لإصلاح المعفو عنه من جهة ولفوز من يعفو بعظيم الأجر الإلهي من جهة اخرى. فبالنسبة للأولى: في العفو رحمة بالمسيء، وتقدير لجانب ضعفه البشري، وامتثال لأمر الله، وطلب لعفوه وغفرانه . وفيه توثيق للروابط الاجتماعية التي تتعرض إلى الوهن



والانفصام بسبب إساءة بعضهم إلى بعض، وجناية بعضهم على بعض. فالعفو وسيلة لإثارة مكامن الخير في المسيئين وإصلاحهم، وبالتالي دفع شرورهم. اما الثانية: فالعفو والصفح عن الآخرين سبب لنيل مرضات الله سبحانه وتعالى، فهو من أسباب التقوى، ومن صفات المتقين، وله اثر نفسي جيد بالشعور بالراحة النفسية.

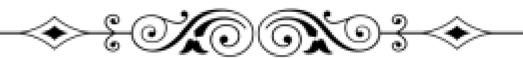
ووردت آيات كثيرة في ذكر العفو والصفح والترغيب فيهما، ومن هذه الآيات قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}، وقوله جل شأنه: "وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا إلا تُحِبُّونَ أن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ "، وقال تعالى: "وَسَارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ "، وقال سبحانه: "وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ "، وقال تعالى: "وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُم" ويقول العارفون يعامل الله عز وجل الأمة المحمدية على درجات ثلاث: أهل العفو وأهل المغفرة وأهل الرحمة أهل العفو هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب وإمامهم الصديق أبو بكر _رضي الله عنه- وأما أهل المغفرة فهم الذين كانت لهم هفوات وماتوا من غير توبة يستلمون الكتاب بأيمانهم ويفتحونه فإذا النور فتبيض وجوههم فيطالعون الكتاب فيجدون بعض الهفوات فيظنون الهلاك فيخاطبهم الحق في سرهم:



سترتها عليكم في الدنيا واليوم أغفرها لكم ولا أبالي. أما أهل الرحمة فهم الذين لهم ذنوب كثيرة فيرحمهم الله بسبب أفعال صالحة عملوا بها في الدنيا.

وأهل الفضل هم السابقون. فالسابقون بالخيرات هم أعلى الناس منزلة، ويدخلون الجنة بغير حساب، كما جاء في تفسير قوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، قال: {فمنهم ظالم لنفسه} يعني الظالم يؤخذ منه في مقامه ذلك، فذلك الهمّ، والحزن. {ومنهم مقتصد} قال: يحاسب حسابًا يسيرًا. {ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله} قال: الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

السابقون بلا ريب، هم من الأعلى منزلة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. ففي يوم القيامة من ثقلت حسناته عن سيئاته بحسنة واحدة دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته عن حسناته بسيئة واحدة دخل النار ومن تساوت حسناته وسيئاته فأمره إلى الله فيؤتى برجل ليس له إلا حسنة واحدة فيجد رجلا آخر يبحث عن حسنة واحدة ليتم حسناته ليدخل الجنة فيعطيها له ويقول له: خذها فإني هالك هالك. فيقول الله له: خذ بيد أخيك فادخلا الجنة. أحسنوا يُحسن اليكم!



لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

الخوف شعور انساني نستقبل به ما هو قادم، من مستقبل مجهول، من فقدان أو فوات شيء من الملذات والنعم، أو توقع مُصاب ينغص العيش.

الخوف يؤثر علينا بشكل مختلف، ونشاهده بصور مختلفة، ولا نشعر به بنفس الطريقة. فالخوف هو مجموعة من الأحاسيس والتصورات التي تخبرنا أن هناك شيئا ما يهددنا، قد يكون مباشرا أو غير مباشر، والخطر الحقيقي الكامن وراء الخوف هو قدرته على استثارة مشاعرنا وتحدي تصوراتنا. الخوف هو شيء نواجهه بشكل متكرر، نحن نختبره بطرق مختلفة كل يوم، ونطور استراتيجيات مختلفة للتعامل مع هذا الإحساس الصعب، فالخوف والقلق والشك والتخوف والذعر وعدم الارتياح والقلق – كلها مترابطة، ومع ذلك يمكن تمييز الخوف بأنه شعورٌ قويّ بالرهبة تجاه أمرٍ ما، وقد يكون هذا الشعور واقعًا وحقيقيًّا، وقد يكون عبارةً عن تهيّؤاتٍ أو خيال. ويعيق الخوف تقدّم الإنسان سواء في حياته الشخصيّة أو في علاقاته الاجتماعيّة أو حتّى على الصعيد العمليّ، وقد يكون الخوف مرضيًّا ويتطلّب العلاج، أو أمرًا عاديًّا محفّزًا بحادثة معيّنة فالبعض قد ينجح في تخطّي الخوف ولكن قد يبقى الخوف عائقًا وحاجزًا في حياة الكثير من الناس.



أما الحزن فهو رد فعل انفعالي إزاء فقدان كبير أو إلمام مصيبة بالإنسان، أو فوات مصلحة أو شيء عزيز. وهو حالة تتمثل بالشعور بالضيق النفسي، والرغبة بالبكاء، والنكد، والهم، وما يرافقه من طاقة سلبية كبيرة، تتمثل بعدم الرغبة في عمل أي شيءٍ من مظاهر الفرح، وترافقه أيضًا بعض الأعراض السيئة، كفقدان الشهية، وقلة النوم بسبب الأرق، والشعور بالاكتئاب والإحباط، والإحساس بعدة آلام عضوية في مناطق متفرقة من الجسم. الحزن لغة: ضد الفرح، وخلاف السرور. الحزن بالضم، هو الغم الحاصل لوقوع مكروه، أو فوات مرغوب في الماضي. فالحزن ألم نفسي يوصف بالشعور بالبؤس والعجز. وهو شبيه بالهم واليأس والأسى والكآبة. وكلها مشاعر سلبية يصاب بها الإنسان، فيصبح الشخص هامدًا وقليل النشاط.

ويعتبر الخوف والحزن من المشاعر الستة الأساسية للإنسان وهم: السعادة، الحزن، الغضب، الخوف، الاشمئزاز، الدهشة.

واذا عاش الإنسان لا يكدره خوف ولا حزن فإنه يكون في نعيم لا يكدر عليه طيب عيشه، وصفو حياته شيء. وهذا هو وصف جنة النعيم، فلا خوف من مستقبل مجهول لأن المستقبل في الجنة معلوم، وهو خلد في النعيم، ولا حزن على فوات شيء لأن من ادخل الجنة فاز ولم يفته شيء ولا على مصيبة تقع لأن الجنة ليس فيها مصائب. وكل المنغصات على الناس في الحياة الدنيا لا تخرج عن حزن على شيء فات أو خوف مما هو آت، ولكن ليس في الاخرة من ذلك شيء. قال تعالى (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون)، فمن حقق الإيمان في الدنيا واتبعه بالأعمال الصالحات أمن



في الآخرة من كل خوف ومن كل حزن (لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون)، وفي آية أخرى (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هو يحزنون) ويقال لهم: (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون).

ولما كان للحزن والخوف آثار سلبية عميقة على الإنسان فقد نهى الرحمن الرحيم عز وجل عباده عنهما، ونهى عن الحزن للمرأة بصفة خاصة، وغلظ من عقوبة من يروع الناس ويخوفهم، كما عد الحزن ذنب عظيم لمن يسببه. والإنسان قد يقع له شيء من الأقدار المؤلمة، والمصائب الموجعة، التي تكرهها نفسه، فربما جزع، أو أصابه الحزن، وظن أن ذلك المقدور هو الضربة القاضية، والفاجعة المهلكة، لآماله وحياته، فإذا بذلك المقدور منحة في ثوب محنة، وعطية في رداء بلية، وفوائد لأقوام ظنوها مصائب، وكم أتى نفع الإنسان من حيث لا يحتسب.

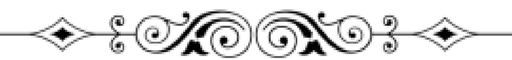
وقد أرشدنا المولى عز وجل إلى طريق الخروج من هذه المشاعر السلبية وأخبرنا عن عباده المؤمنين ممن فازوا بزوال الخوف والحزن عنهم وسمى أعمالهم في القرآن الكريم ب11 عمل جعلهم من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون:

-(فمن اتبع هُداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون).

-(من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون).

-(من أسلم وجهه لله وهو مُحسنٌ فله أجره عند ربه ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون).

-(الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يُتبعون ما أنفقوا مَنًّا ولا أذى لهم أجرهم



عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون).

-(الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سِرًا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون).

-(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

-(ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم إلا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

-(فمن آمن وأصلح فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون).

-(فمن اتقى وأصلح فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون).

-(ألا أن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون).

-(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون)

فيا كل خائف حزين تذكر أن الحزن يرحل بسجدة.. والخوف يذهب بذكر الله... والبهجة تأتي بدعوةً.

"اللهم إني أعوذ بك من الهم، والحزن، وأعوذ بك من العجز، والكسل، وأعوذ بك من الجبن، والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال".

اللهم احتسبنا عندك من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.



وهم البحث عن الراحة ينتهي عند التسليم والابتسامة!

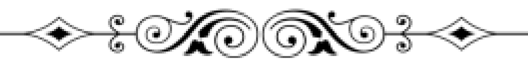
الراحة هي مراد جميع البشر! وهي أنواع وأصناف. لا نعرف بشريًا حصل على غايته الكاملة منها. احيانا أتساءل: كيف يتحمل الانسان، هذا المخلوق الضعيف، البقاء في هذه الدنيا التي لا راحة فيها؟ كيف يمكن له الاستمرار في هذا الحصار من الأزمات التي لا تنتهي، والمفاجات التي لا تتوقف؟ والفكر لا ينقطع، ومعه القلق والمخاوف، بل ومشاعر الندم والحنين والهزيمة وعبثية الحياة! وقد اعتبر البعض أن رحلة الحياة هدفها الأسمى البحث عن الراحة! ولكن: أليس هناك سبيل للراحة؟

في علم النفس يتحدثون عن منطقة الراحة Comfort Zone وهي منطقة وهمية، تستخدم مجازا للدلالة على حالة نفسية يعيشها الفرد، بحيث يشعر بالسعادة وبراحة كبيرة وطمأنينة غامرة ورضى كبير عن نفسه، معلوماته، مهاراته وحتى عن الأشخاص الذين يتعامل معهم والمكان الذي يتواجد فيه، حيث أن جميعها ثابتة لا يوجد فيها أي جديد أو متغير، وهذا من شأنه سلب التحدي من الحياة للفرد. ووفقا لعلم النفس فإن الفرد المكتفي بحياته في منطقة الراحة هو شخص غير سوي على أساس انه لا يواجه تحديات الحياة، ووحدها التحديات تحقق لنا النجاح والسعادة. وبما أن التغيير من سمات الحياة، فسبحان من يغير ولا يتغير، فلا راحة في الدنيا. فهذه الراحة، مع وجود المتغيرات اللحظية والتحديات المستمرة، لا وجود لها. وإن طبيعة النفس البشرية في صراعها الدائم في البحث عن ذاك الشيء المفقود، الشيء الضائع هو ما نبحث عنه، فنربط مفهوم راحتنا به. ذاك الشيء الذي يختلف



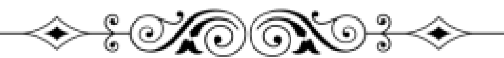
من شخص لآخر سواء كان مطلبا ماديا أو معنويا. إلخ.... وما أن يبلغ هذا الهدف الذي يعتقد أن راحته تكمن فيه، يشعر بلذة الوصول أولًا، ثم يشعر تجاهه بتبدد الشغف ويكتشف أنه لم يكن إلا مسكن يلهي نفسه به، وإن كل محاولاته في بحثه عن ضالته فاشلة... وإن كل الطرق تقود إلى نفس النتيجة وهي فقدان لذة الشيء بمجرد الوصول اليه وإن كل الطرق لها نفس النهاية. وحتما لن تدرك راحتك.. فهذه الحياة تخلو تمامًا من الراحة، وطالما أن الراحه مفقودة. لذا لاتحاول أن تبحث عنها... ولا تهدر طاقتك عبثًا. فكيف يفني المرء حياته في البحث عن شيء ليس له وجود؟

قال الحسن البصري - رحمه الله -: لا راحة للمؤمن إلا في لقاء الله. وعَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ -صلى الله عليه وسلم" :-مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللّهِ، أَحَبَّ اللّهُ لِقَاءَهُ؛ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللّهِ، كَرِهَ اللّهُ لِقَاءَهُ"، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللّهِ، أَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ! فَقَالَ: "لَيْسَ كَذَلِكَ؛ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللّهِ، فَأَحَبَّ اللّهُ لِقَاءَهُ؛ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللّهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللّهِ، وَكَرِهَ اللّهُ لِقَاءَهُ". لايشترط أن يكون اللقاء بعد الموت؛ فالصلاة لقاء، والمناجاة لقاء، والذكر لقاء، والتفكر لقاء، والصدقة لقاء، وقراءة القرآن لقاء، والتودد إلى الناس لقاء والعلم لقاء، والأدب مع العلماء لقاء، وقيام الليل لقاء، وبِر الوالدين لِقاء، وقراءة القرآن لِقاء، وصلة الأرحام لِقاء، وزيارةُ المريض لِقاء، والأدب مع الناس لِقاء، والتودّدُ إلى الناس لِقاء، وتفريج كُرُبات المُسلمين لِقاء. قال الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.



ومن حكمة الخالق في خلقه أن معاناة البحث عن الراحة هي في حد ذاتها "معنى، وهدف" كفيل باستمرار حياة الانسان. الإنسان وحده من دون الكائنات الأخرى لا يمكن أن يعيش بلا معنى ومُثُل ومبادئ وقيم عليا، وتتجلى هذه الحاجة للمعنى حين يجد نفسه غارقًا في المُعاناة، ولهذا يسعى الفرد لاكتشاف المعنى في كل أشكال الوجود، حتى في أقسى الظروف وأشدها مضضًا، وهذا هو السبب في أن الإنسان مُستعد للمعاناة، شريطة أن يكون لمعاناته "معنى". لكل ذلك نثق في مقولة أن "كل ما نحتاجه لتحقيق النجاح في الحياة هو الجهل والثقة". فالجهل بأمور معينة بالحياة هو سمة طبيعية من سمات الفطرة البشرية، والتي إذا امتلك الثقة الكافية بالخالق وبنفسه ستقوده في نهاية المطاف إلى النجاح وهو غاية كل إنسان طموح.

إن الراحة في التسليم لكل الأمور لله، معها يكون الاطمئنان بأن لن يأتيك إلا ما هو حتما لك، وما لم يأتك فتأكد أنه لا يناسبك. ففوق سبع سماوات رب حكيم كريم. ثق بالله دائما وقل الحمد لله دائما وأبدًا وعلى كل حال.



الإرادة.. إذن من الله

إرادة الفرد. إرادة التغيير

الإرادة لغة هي العزيمة أو المشيئة، وهي القدرة في التصميم للقيام بالأعمال والتصرفات، وفي الفلسفة يُقصَد بالإرادة أنّها قوة يقصد المرء فيها أمرًا دون آخر. وهي عندنا علو الهمة التي لا تتحقق إلا بإذن المولى وتوفيق ربنا سبحانه وتعالى. فعلو الهمة يستلزم الجد، ونشدان المعالي، والترفُّع عن الدنايا ومحقرات الأمور، والهمة العالية لا تزال بصاحبها تزجُره عن مواقف الذل، واكتساب الرذائل، وحرمان الفضائل، حتى ترفَعَه من أدنى دركات الحضيض إلى أعلى مقامات المجد والسُّؤدَد؛ وقديما قالوا: "فمن علَتْ همتُه، وخشعت نفسه، اتصف بكل خُلق جميل، ومن دنت همتُه، وطغت نفسُه، اتصف بكل خُلق رذيل". إذن الإرادة هي تصميم واعٍ على أداء فعل معين، ويستلزم هدفًا ووسائل لتحقيق هذا الهدف وعملا من اجل ذلك. ويحصرها البعض في قدرة الشخص بالسيطرة على تصرفاته واندفاعاته ويقرنها بالتحكم في الذات. وهي الطاقة التي تدفع نحو الإنجاز، وتعتبر الإرادة قوة من أعظم قوى الإنسان فهو من دونها لا يمكنه أن يُقبل على عمل ما أو يُحجم عنه، وهي الطاقة التي تجعل الفعل يخرج من حيّز المخيلة أو التصوّر إلى التحقيق الفعلي. ولهذا قال البعض أن البقاء واستمرار العيش هما وحدهما الإرادة. ومن أجمل ما قيل في الإرادة انه إذا كان الإنسان ارادة فالله محبة،



ومحبته فيها خلاص الانسانية. واذا كان الإنسان عقلا فالله حق، ونوره يهدي الانسانية.

وبشكل عام فإن إرادة الفرد وتطويرها لا يمكن تحقيقه بدون وجود إرادة الحياة بكافة صورها من إرادة العلم وإرادة النجاح وإرادة الشفاء وإرادة السعادة... الخ من صور الحياة القويمة التي نتعلمها من دروس الزمن. ولذلك تهتم الشعوب والأمم بتقوية إرادة ناسها. فنجد نماذج "التوعية" الناجحة لتنمية الوعي بالإرادة منتشرة وتنظمها جهات حكومية واخرى مدنية في شكل حملات تستخدم كافة العناصر الجاذبة (من كلمة منتقاة وصور رائعة تستخدم فيها كل امكانيات التكنولوجيا الجاذبة وحبكة فنية مؤثرة تجعلها ترقى للأفلام الخالدة)، حتى أن أسماء هذه الحملات بمفردها كافية للتحفيز والدفع لمتابعتها. ومن هذه الحملات الهادفة حملة "البعض يبحث عن السعادة والبعض يصنعها"، حملة "حيث توجد الارادة ... توجد الطريقة"، حملة "نعم للحياة"، حملة "هذه حياتي وهذا هو ديني" أو حملة "مدينتي: مدينة صديقة للأطفال"، وحملة "من لا يرحم، لا يُرحم"، وكلها حملات ساعدت في زرع "الإرادة الفردية الخيرة" ونشر سلوكيات مرغوبة وإعادة زرع القيم المجتمعية الرائعة التي نحملها في داخلنا ودهستها مآسي ومصاعب هذا الزمان فأجدبت اراضينا الخصبة. ويمكننا هنا أن نستعين بهذه النماذج من الدول الصديقة ونضيف اليها ما يشير لخصوصية مجتمعنا وحضارة شعبنا وتفرده بحملات "تصحيحية" لسلوكياتنا التي أصبح يشوبها الكثير والكثير مما لم نعد نحتمله مما استوجب الحاجة للبحث عن



ايجابيات حياتيه تنشلنا من مسارنا السلبي الذى ننحدر اليه. ومن ذلك الترويج لحملة "عمار يا مصر": وهي عبارة تحمل مشاعر الإعجاب ببلادنا وكنا نرددها كثيرًا عندما نرى الخير –على غير توقع- أو للتعبير عن التعجب من قدرة الإنسان المصري البسيط على تقديم والقيام بأعمال عظيمة يثبت فيها أنه أبدًا لم ينس حضارته رغم صعوبة حاضره، أو حملة "مصر الكنانة" تعبيرًا عن تمسكنا بقيم الاحسان والفضل فيما بيننا والترويج لمساعدة المحتاجين والعجزة والمرضى بتطوير بلادنا واعدادها لتتناسب مع الاحتياجات المختلفة لأفراد مجتمعنا وتحقيق الجنة على أراضيها. كذلك من الهام التأكيد على كلمات الخير والاحسان والسماحة والأمان في جميع الحملات والفرص والمناسبات واستخدام عبارات "أرض الخير"، و "الله عليكي يا مصر"، للدعوة لإكتشاف جمال أراضينا وتوثيق انجازتنا وتقدمنا حتى لو كان "محدود" وزرع الأمل في النفوس وتشجيع شبابنا على الانتشار في أرض مصر وتشجيع الهجرة إلى الداخل والعودة من المدن إلى القرى الواسعة وتعمير الصحاري الرحبة الصحية، وتأكيد اهمية سياحة الفرد في بلده ليستمتع بها وليستعيد ايمانه بقيم الجمال والأصالة قبل أن يطمح في السياحة خارجها لنحقق وبصدق كلمات المولى عز وجل عن أرض مصر "ادخلوها بأمان سالمين" فلا تكون كلمة بلا معنى منتشرة بموانئ الوصول، وانما ننشرها كحملة لطلب ومناشدة الأفراد والمجتمع بتحقيق جبهة متعاونة لمواجهه ما أصبحنا نعاني فيه -ولأول مرة في تاريخنا- من انتشار الرغبة القاتلة في الاساءة للغير بالقول والفعل حتى ولو لم يكن للمسئ اتصالًا بمن يسيئ اليه فلم يعد منا من لم يتعرض للسب والشتم وهو في منزله على صفحات التواصل الاجتماعي أو بمجرد



خروجه من منزله. كما انحدر مستوى الحوار على كافة المستويات، وانتشرت الالفاظ البذيئة الخادشة للحياة فأصبحت حديثًا عاديًا تتناقله الألسن، بل ويلفظ به الاساتذة والمعلمون صانعي الاجيال، ولم يعد هناك من يهب لنجدة الملهوف ولا لمساعدة المصاب ولا نبالي بحوادث الاساءة للكبير قبل الصغير أو للتحرش -الفردي أو الجماعي- بالسيدات والفتيات والاطفال، وحوادث الاختطاف، وغيرها من ظواهر عدم الأمن. والحل هو في إرادة التغيير وصدق عز من قال: "إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم".



إرادة مجتمع ومسؤلية التعايش!

إن إرادة التعايش في أي مجتمع لا يمكن أن تقوم إلا إذا توفر دور هام للمجتمع المدني أغفلناه ويجب أن نحييه، وهو العودة لنظم "مواثيق العمل" لكل فئة حرفية بالمجتمع، وبما يصنع رابطة أخلاقية و"مضبطة سلوكية" تنظم العلاقة بين ممارسي كل مهنة فيما بينهم وفي علاقتهم مع المجتمع والدولة، وبالتالي تضع المسؤليات في علاقتها الصحيحة مع الواجبات، وتوضح حدود السلطات ومقابلها من محاسبية، وبما يجعل لكل جماعة مثلها الأعلى الذى تسعى لتحقيقه وصيانته، وقدرتها الداخلية على اصلاح ذاتها وتقويم مسارها، وبما يعيد للكلمات والشعارات قيمتها التنفيذية، بالإضافة إلى قيمتها المعنوية. فكما نحرص الآن أن نجعل لكل مهنة "كادر" وظيفي يحدد علاقته بالدولة وحقوقه إزائها (مثل كوادر المعلمين والأطباء وغيرهم)، فلابد أن يكون هناك "رابطة مسئولية" لعلاقة هذا الكادر مع المجتمع يلخصها شعار لهذا الكادر وميثاق شرف يضم مبادئ عمله ويحكم سلوكياته. ويدعونا ذلك للمطالبة باعادة الشرطة لشعارها القديم الذى كانت تتحلى به اقسامها والذى كان ينادى بأن "الشرطة في خدمة الشعب" ثم أصبح إلى "الشرطة والشعب في خدمة الوطن". ويوضح هذا المثل بالذات أهمية اختيار الشعار بدقة وواقعية، والاهتمام بايحاءاته، وضرورة تحريكه لمشاعر الجماهير، فالشعار المستخدم حاليا للشرطة يعد قمة في المغالطة، فكيف للأشخاص الحقيقيين (من أفراد الشرطة وكذلك المجتمع) أن يكونوا في خدمة ما هو

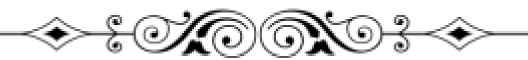
معنوى (الوطن)، كما أن ذلك يسمح لعديد من التأويلات والتساؤلات عمن يمثل هذا الوطن.. الخ. يضاف لذلك أن الأصل في الأشياء أن تكون القيمة (كالوطن) في خدمة الواقع (الفرد والمجتمع) وليس أن يكون الواقع في خدمة الخيال، وإلا أصبح ذلك يعبر عن حالة تهلهل وخواء مجتمعى يجب أن نتجنبه بأن نكون ايجابيين وعمليين وحريصين على كرامة الفرد والمجتمع.

ونفس الشيء مطلوب لكل مؤسسة –بما تتضمنه من كوادر مختلفة- وبما يهدف لخلق رابطة مسئولية فيما بينها تؤهلها لأن تتبنى مهمة مجتمعية، وهكذا نعيد عصر "الرواد" بإعادة "إحياء" مؤسساتنا.

ولسنا هنا نطالب بأمر خيالي أو إبداعي، فالثابت أن جميع الدول تسعى لتنشيط ذاكرتها ومؤسساتها حتى لا تركد، وأن قدرة الدولة على النمو والعطاء والقيام بدورها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، بل والحضارى، ترتبط بحياة وتجدد عطاء مؤسساتها المختلفة. وهذا بالضبط ما يحدث عند غيرنا ممن حافظوا على تقدمهم أو سبقونا في هذا الدرب. وتطبيقًا لذلك فاننا يجب أن نبدأ بأنفسنا ونؤكد على أهمية أن يسود روح عمل لتحقيق "الرعاية والكرامة"، وأن تسعى البنوك في عالمنا المليء بالأزمات المالية إلى تحقيق "الثقة والنماء"، ونستعير من جيراننا في الأردن شعارهم للمدرسة بأنها "مدرستى... مسؤليتي... مجتمعي.. مستقبلي"، أى أن نبرز دور المؤسسات المختلفة بالمجتمع لنشعر بحاجتنا لبعضنا البعض ونقضى على ظواهر تجاهل النظام وعدم



الالتزام وسيادة الانعزالية واللامبالاه وفقدان الانتماء والثقة والسطحية وكلها مشاكل شعوب المراهقة المتأخرة.



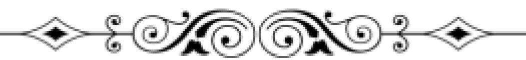
إرادة العلم.. إرادة المستقبل

إن أهم الارادات التي يجب تنميتها هي "إرادة العلم"، والعلم يرتبط مباشرة بامتلاك الإرادة لصياغة المستقبل، فالعلم يتعرض لأكبر مخاوف الإنسان وهو المستقبل (له وأولاده) واستخلافه في الأرض. فالانسان حينما خلقه الله سبحانه وتعالى كان أول ما أفاض به المولى عز وجل عليه من نعم هو العلم (يقول تعالى في سورة البقرة: وعلم آدم الأسماء كلها)، والأسماء هي مدخل العلم إلى البشر، ومنها تعلم آدم وحواء حقيقة وجودهما، وفضل موجده عليه وعلي نسله من بعده، وتفاصيل رسالته ورسالتهم، ومسئولية استخلافه واستخلافهم في الأرض، وحمل أمانة التكليف فيها. وهكذا خلق الله الإنسان عالما، عابدا، ناطقا، مفكرا، مزودا بكل صفات التكريم التي خصه بها خالقه، ومزودا كذلك بكل الأدوات اللازمة لتأهيله بالقدرات المطلوبة لحمل أمانة الاستخلاف في الأرض، والقيام بكل تكاليفها. وكثير من الناس اليوم ينسى في بعض أعماله أو مواقفه أو توجهاته أهمية هذا الأصل، وينطلق في حياته على آراء تقوم على مجرد تصوراته، أو تنطلق من خبرات بعض الناس وآرائهم، دون أن يزن ذلك بميزان العلم. والرأي غير المبني على العلم لا شك أن صاحبه أن أصاب مرة فسوف يخطئ مرات ومرات، وسيكون ضرره أكثر من نفعه، بل يمكن أن نقول أن السبب الرئيسي للكثير من السقطات التي تحدث على المستوى العام أو الخاص. وكثير من انحرافات الفكر والنزاعات جاءت من الهوى والرأي يتنبت في بيئة لا علم فيها. وقد ذمّ



الله سبحانه وتعالى الذين يحاربون الحق ويجادلون فيه دون علم، كما بيّن الرسول عليه الصلاة والسلام لنا - في حديث شريف - خطر الرأي الذي لا يقوم على علم، وكيف أنه يؤدي إلى الضلال، ومن هنا بات علماء كل دولة هم ثروتها الحقيقية التي تسعى للحفاظ عليها وتنميتها (وليس تصديرها والاستغناء عنها)، قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسُئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا)، فالعلم دعامة تقدم المجتمعات وتطورها، والمثابرة عليه هي التي تبني الأوطان وتنهض بالتنمية. وبذلك نصل لأسمى حالات الانسانية حينما تُغلب رأي البشر شريطة أن يقوم على علم يحترم العقول ويعترف بفضل نعمة الخالق تلك، وهي أولى النعم وأبسطها لأنها قائمة على الفطرة بدون تضليل ولا تزييف.

و لا خير في علم لا ينفع، ولا في أمة لا تسعى للاصلاح بين طوائفها، ولا في شعب لا يعرف كيف يقبل الاختلاف داخله، ولا في حكومة لا تدير خلافاتها بشكل سلمي.



إرادة الشفاء.. اليقين والتوكل

إرادة الشفاء من أهم أنواع الإرادة لجميع البشر، فليس منا وقد عم الوباء والبلاء من لم يصبه المرض. ومن الهام والراسخ الإيمان تمامًا بأن الشفاء من كل ما يصيبنا من أمراض، يأتي أولًا من الله سبحانه وتعالي، ثم من داخل الشخص في المقام الأول، وليس من الطبيب أو الدواء، علي الرغم من لجوئنا إليهم. وقديمًا قال «أبقراط» أبو الطب: «الأهم من أن تعرف أي نوع من الأمراض أصاب الشخص، هو أن تعرف أي نوع من الشخصيات أصابها المرض». وهكذا فإن ارادة الشفاء هي فن مقاومة الإحباط.

وفي كل مراحل المرض علينا أن نتمسك بإرادة الشفاء التي ينبغي أن يوقن بها المريض. ومعجزات الإنسان لا تنتهي، فهو الكائن الوحيد الذي لا يستغل كل قدراته العقلية والمخية من بين كل الكائنات الحية، حيث أن بقية الكائنات ليست لديها منطقة الاختيار التي تنمي أو تهدم هذه القدرات من منطلق مبدأ: إما أن تستخدمها أو تفقدها. في حين عندما ننظر إلى المخ البشري نجد أن الإنسان لا يتعدي استخدامه للقوي المختلفة في عقله أكثر من 5 % من القوي المتاحة التي منحها الله له وخلقه بها، أما الباقي فيصل إلى بعض أسرارها الأشخاص الذين يطلق عليهم أصحاب القدرات والمهارات الخاصة، حتى يقال أن الإنسان قادر على شفاء نفسه إذا ما استخدم تلك القوى المهملة. ومن هنا ظهرت مقولات "دواؤك فيك وما تشعر- وداؤك فيك وما تبصر" ...إنها تلك القوة الخفية تسري داخل كل المخلوقات وعلى رأسها الإنسان وقد عجزت



العلوم البشرية عن رسمها وتبيانها. وحدها ارادة الإنسان الصامتة بالشفاء والكمال تفعل فعلها عبر مجموعة الخلايا المتناغمة الهدف والعمل. اما القلق والشعور بالعجز والاستسلام والحزن والسوداوية جميعها تسبب تفككا في النغم العام للجسم لأن كل ذلك يُخرج الإنسان عن استمرار النغمة الكونية وتوافقها. وهكذا ظهر "العلاج بالطاقة" من منطلق أن الجسم البشري يقبع علاجه في العقل اللاواعي للانسان عبر توازنه الروحي والنفسي والجسدي. وإن إرادة الشفاء تأتي من داخل الإنسان وليس من خارجه وتتزامن مع التغيُّر لمحيط الحياة العام للمريض. وسادت فيه نظريات أن التسكين والتخدير وضرب الخلايا الخبيثة مع الحميدة ليست إلا إلغاء للذات وتحطيمها مع مناعتها الدفاعية. فطالبت بالرجوع إلى العمق النفسي للمريض لأنه جزء من كل حلقة تؤثر في الكون وتتأثر به عبر القوى الكامنة فيه والمتصلة من خلال احاسيسه ومشاعره ورؤاه وخياله وتصوراته... فالكون ينبض المشيئة الإلهية كما في السماء كذلك على الارض وقلب الإنسان ينبض على ذات الوتر.

وبعيدا عن نظريات الطب المختلفة إلا أن الفطرة الإنسانية أكدت أن إرادة الشفاء تعني إرادة الإذن من الله بالشفاء، وأن الله بيده الشفاء تحقيقا لقوله صدق من قال: "وإذا مرضت فهو يشفين". والإرادة في هذه الحالة هي حسن التوكل واليقين التام في قدرة الله وبأن الله هو الشافي المعافي النافع الضار سبحانه. وكما جاء في الحديث القدسي "أنا عند حسن ظن عبدي بي". فحسن الظن أن يلجأ المريض إلى الله حق اللجوء إلى الله! وفي الحكمة اللاتينية (إرادة الشفاء هي بحد ذاتها نصف الشفاء).





إرادة النجاح... إرادة مقاومة ونهوض!

النجاح قرار، النجاح إرادة، تتطلب حسن الإدارة والأخذ بأسباب التفوق مع اليقين بسنة الله الأزلية في كونه (إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا). والنجاح سلم لا تستطيع تسلقه، ويداك في جيبك. أن النجاح لا يقتصرُ على أحد، وليس حكرًا لأحد، إنما هو السلعة الغالية، لمن يقوى على دفع الثمن، بالصبر والمثابرة والإصرار، حتى مع الفشل. وما الفشل نفسه إلا خطوة على طريق النجاح.

الإنسان الناجح طريقه لم يكن سهلًا مُعبدًا، ولا يسيرًا ممهدًا، والفارق الوحيد بينه وبين غيره، أنه لم يستسلم لإرادة الإحباط، وإنما لإرادة المقاومة والنهوض، وكأن قوةً خفية تسير خلف ظهره، تدفعه للأمام دفعًا. ولايقاس النجاح بالمكانة التي وصل إليها الإنسان في حياته، بقدر ما يقاس بالمصاعب التي استطاع التغلب عليها، والعقبات التي أزالها في طريقه. وللنجاح أصول أربعة: التخطيط والعمل والصبر والتوكل على الله. كما أن للنجاح أخلاقيات كثيرة، أهمها التواضع، والقناعة أنك لست صانعه الوحيد، وإنما هناك شركاء نجاح، أصحاب فضل فيما وصلت إليه من مكانة، والأهم إلا يكون نجاحك على حساب فشل الآخرين، فمثل ذلك هو هزيمة ترتدى ثياب النصر. وتؤكد التجارب بأن تحدي الفشل هو ذاته طريق النجاح بل العبقرية. والأمثلة كثيرة كالأديب العلامة عباس العقاد (صاحب العبقريات الخالدة، والذي لم يكمل تعليمه النظامي)، والعالم ألبرت أينشتين (مكتشف "النسبية"، ومن أعظم العقول في العالم كله، وكان

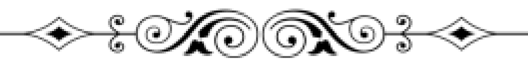


أساتذته يشكون دائمًا أنه ضعيف التحصيل، بطيء الفهم)، وبيتهوفن (الموسيقار الألماني الأصم وأعظم عباقرة الموسيقى)، والنماذج كثيرة والمجال لا يتسع لحصرها.. فسر النجاح هو الثبات على الهدف، والنجاح نفسه هو الجزء الأصغر من التجربة، فعندما تنجح، لا تظن أنك ستسترخى للاستمتاع به، إذ أن أحدًا لن يسمح لك بذلك، فأعداء النجاح كُثر. وكما يقول جوزيف ادسون "إذا أردت أن تنجح في حياتك فاجعل المثابرة صديقك الحميم والتجربة مستشارك الحكيم والحذر أخاك الأكبر والرجاء عبقريتك الحارسة". واصل واستمر، فهناك دوما المزيد، أقله المحافظة على النجاح، وأفضله تحقيق نجاحات أكبر وأعظم للإنسانية.



إرادة العمل والإنجاز ما بين العطاء والعزيمة

مما لا شك فيه أن هناك العديد من الناس محظوظين بقدرات ومواهب هائلة في مجالات مختلفة، لكنهم لم ينجزوا شيئا ذا قيمة لأنهم يفتقدون إرادة العمل وإرادة الإنجاز أي غير قادرين على العطاء. والعلاقات الإنسانية قائمة على أساس عمل الفرد داخل المجتمع وفقا للقيم الأخلاقية التي توجه سلوك كل منها. وبدون العمل لا تتواجد مجتمعات ولا يمكن التعايش مع الآخرين. والإنجاز مرتبط بالعمل. والإنجاز ليس بإعجاز، لكنه نتيجة لجهد مبذول، وهدف محدد. ليس مهما أن تصل إلى ما كنت تطمحه متأخرا، لكن المهم أن تحرز نجاحا يكون هو مؤشر لإنجاز حقيقي. الإنجاز هو أن تسعى بحكمة وعزيمة إلى أن تصل. ولهذا جعل الله كلًا من العزم والتوكل علاجًا شافيًا لهذا التردد الملازم لتلك النفوس، قال تعالى "فإذا عزمت فتوكل على الله". والله لن يرفض أو يرد من يلجأ أو يتوكل عليه عازمًا كان أم بدون عزم (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان). ولكن النفس الإنسانية تحتاج للعزم حتى ولو للدعاء. وتكوين ذلك العزم والإرادة يحتاج إلى مقومات من الإيمان بالله والصبر والتقوى والانتماء لله وحفظ العهد وعدم النسيان والحلم والغفران، وهي كلها من مولدات ومكونات العزم المطلوب لكي ينعقد التوكل حيث ورد في القرآن الحكيم: (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)، (واصبر على ما أصابك أن ذلك من عزم



الأمور)، (لمن صبر وغفر أن ذلك لمن عزم الأمور)، (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم)، (ولقد عهدنا إلى آدم من قبلُ فنسي ولم نجد له عزما).

إن النجاح يحتاج إلى كفاح، لذلك لا تستسهل الطريق وتختصر الطرق. والإنجاز يستدعي أفعال، والنجاح يستدعي الصبر. ومفتاح ذلك كله "العزيمة". وكما قال المتنبي: "عَلى قدرِ أهْلِ العَزم تأتي العَزائِمُ *وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المكارمُ. وَتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صغارُها *وَتَصْغُرُ في عَين العَظيمِ العَظائِمُ". ويقول الشافعي رضي الله عنه: "بقدرِ الكدِّ تكتسبُ المعالي * ومن طلب العلا سهر الليالي. ومن رام العلا من غير كد* أضاع العمر في طلب المحال. تروم العز ثم تنام ليلًا * يغوص البحر من طلب اللآلي".

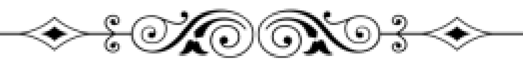
فالتحدي الأكبر الذي يواجه إنسان العصر هو هشاشة الإرادة مع عدم وضوح الأهداف. فعندما تتوفر إرادة العمل نجد قوة دافعة خلاقة مخلصة تحقق المعجزات. والمعجزة اليابانية هي أكبر دليل على حقيقة إرادة العمل. أن اليابان التي دمرت تماما في الحرب العالمية الثانية لم تنهض إلا عندما قامت عام 1950 بخطة وإرادة هدفا قوميا (يعيد الكرامة الوطنية. ويعيد الازدهار الاقتصادى إلى أراضيها) فقرروا أن هدفهم في الخمسينيات هو أن يصبحوا الأمة الأولى في العالم في إنتاج النسيج. وحققوا هدفهم. وفي عام 1960 عقدوا اجتماعا آخر للإرادة وقرروا تحقيق الحلم المستحيل «فلنصبح الأمة الأولى في العالم في إنتاج الفولاذ" بالرغم من عدم وجود الموارد الطبيعية اللازمة لتصنيعه في أراضيهم، وبعدها انتاج السيارات وبعدها إنتاج



الإلكترونيات وأجهزة الكمبيوتر... وغيره. والدرس الياباني واضح وهو أن تحديد هدف قومي للتنمية في كل وطن هو مغزى إرادة الحوار الوطني فيه، وهذا هو إرادة التعايش!

وإرادة العمل مرتبطة ارتباطا جذريا بقيمة العطاء. والعطاء من أهم القيم الإنسانية والأخلاقية، وهو نوع من السلوك الذاتي الطوعي، الذي يقوم به الفرد تجاه الآخرين، والنابع عن حب وقناعة ورضا في تقديم يد العون والمساعدة والخير والاهتمام بمصلحة الآخرين من دون التفكير بالمكافأة. والشخص القادر على العطاء هو شخص صحيح نفسيًا يقول الله تعالى (وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ). إذن إرادة العطاء تدفع الإنسان إلى حب غيره من الأفراد على نحو يجعله أكثر قدرة في أن يحيا حياة نفسية سليمة يسودها البر الحقيقي والفهم والعطف. وكلما زادت قدرة الفرد على المنح والعطاء اقترب من أن يعيش بسعادة والآخرين ممن يعيشون في محيطه.

يقول الشاعر: "ازرع جميلًا ولو في غير موضعه*فلا يضيع جميل أينما زُرعا. أن الجميل وإن طال الزمان به* فليس يحصده إلا الذي زرعا".



إرادة السعادة.. إرادة حياة!

يرى الأستاذ د. طه حسين أن الواجب الوطني الصحيح هو أن نبذل ما نملك وما لا نملك من القوة والجهد أفرادا وجماعات لتحقيق أن الله قد خلقنا للعزة لا للذلة، وللقوة لا للضعف، وللسيادة لا للاستكانة، وللنباهة لا للخمول... إنما خلق الناس جميعا ليكونوا سواء في الحقوق والواجبات واستقبال هذه الحياة، وما أتيح لنا فيها من خيرُ وما كتب علينا فيها من مكروه، ولكن الناس يطغى بعضهم على بعض، ويجب أن يُهدم هذا الطغيان وأن نكون نحن هادميه، ولكن الناس يبغي بعضهم على بعض، ويجب أن يزول هذا البغي وأن نكون نحن من مزيله. ويُضيف أن الله قد خلقنا جميعا لنستوفي حظنا من هذه الحياة سعداء بها ما وجدنا إلى السعادة سبيلا، أشقياء بأثقالها ما عجزنا عن دفع هذا الشقاء.... يجب أن نمحو من أنفسنا أن في الأرض امم قد خلقت لتسودنا، ويجب أن نمحو من أنفسنا أن في الأرض شعوبً جُعلت لنسودها، ويجب أن نقر في أنفسنا أن نظام المساواة في الحقوق والواجبات، هو وحده الذي نريد أن نقره في حياتنا الداخلية، وهو بعينه النظام الذي يجب أن نقره في حياتنا الخارجية وفيما بيننا وبين أوروبا من الصلات. " وأول تحقيق لغاية المساواة واول وسيلة من وسائل الكسب التي يجب على الديمقراطية أن تضعها في أيدي الأفراد إنما هو التعليم الذي يُمكن الفرد من أن يعرف نفسه، وبيئته الطبيعية والوطنية والإنسانية، وأن



يتزيد من هذه المعرفة، وأن يلائم بين حاجته وطاقته وما يحيط به من البيئات والظروف.

والسعادة اسم جامع لكل ما تحبه النفس وترضاه من الأحوال الظاهرة والباطنة، والمادية والحسية. ويعرفها البعض بأنها الشعور بالرضا والطمأنينة مقرونا بالإحساس بالمتعة والانبساط. وتعتبر السعادة من المشاعر الستة الأساسية للإنسان وهم: السعادة، الحزن، الغضب، الخوف، الاشمئزاز، الدهشة. وهي عندنا الانسجام فالروح عندما ارتبطت بالجسد أصبحت نفسًا، والسعادة تتحقق عند انسجام الروح مع الجسد، الظاهر مع الباطن في وحدة متناسقة متناغمة تغيب معظم الوقت عن حياتنا، فالله وعدنا السعادة. "فلا يقنط من رحمة الله إلا القوم الكافرون".

والواقع أن السعادة هي من صنع أنفسنا! حين نتقن التعامل مع أنفسنا نعرف العوامل الداخلية التي تجعلنا سعداء أو تعساء فنحِّيد العامل السلبي ونجتذب العامل الإيجابي أي التعايش السلمي مع النفس. وهذا هو ما يجعل السعادة ليست مجرد رغبة بل هي إرادة أي تحكم بالذات من خلال إعادة تحويل التفكير السلبي إلى إيجابي، وتحويل اليأس إلى أمل، والبؤس إلى عطاء. أي أن الإرادة بالسعادة هي سر التغيير الذي يجلبها.

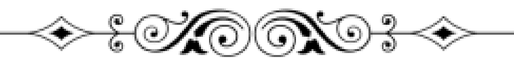
إن أول قواعد السعادة في الحياة بعد طاعة الله هو: اتخاذ القرار بالسعادة. فإرادة السعادة قرار يخطه المرء بيده، ويحس به بقلبه، ويعيش به عمليًا بطيبة قلبه



وسعة صدره، وحبّه لله أولًا، ثم للحياة والناس، إن هذا القرار يجعلك تندمج مع الأشياء الصغيرة، وتحفل بها، حتى كأنك مستعد لها جاهز للتعامل معها، تقرأها بشكل جيد وجميل. وأن تدع الأشياء التي تنغص الحياة وراء ظهرك، ولا تجعلها تدخل عالمك، أو تنغص عيشتك.

إرادة السعادة وإدارتها تحتاج لتدريب فالسعيد يجعل من الفشل فرصة للنجاح والتجربة والسعادة، وبقدر ما يكون لدينا من الصدور المتسعة، والنفوس الرضية والقبول والإصرار نكون حققنا جزءًا من السعادة، فهي عمل يمكن تحصيله، والسعي إليه. قال تعالى: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أو أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ".

ان التفاؤل والثقة بالله هم الركيزة الأساسية لتحقيق السعادة الدائمة والرضا بالحياة التي تحرر الإنسان من قيود اليأس والكآبة والحزن الذي قد يملأ قلبه إذا اعتاد على التشاؤم والنظرة السوداوية للحياة سر السعادة حسن ظنك بالذي.. خلق الحياة وقسم الأرزاق. وبهذا تتحقق إرادة الحياة التي هي مجموع ارادات الفرد والمجتمع، نتاج إرادة العلم... إرادة الشفاء.. إرادة النجاح... إرادة السعادة.



المحاكمة: فانتزيا العدل في زمن المعارك

الأول: دعوى قضائية للمطالبة بالخير والسلام في أتون معركة الحياة

قال زكريا عليه السلام: "أحبوا الحقّ والسلام . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: "كونوا دعاةً إلى الله وأنتم صامتون"، قيل: كيف ذلك قال: بأخلاقكم.

إن قوة الاعتقاد بالخير هي نفسها عمل عظيم. وبها يكون الإيمان بمعنى الحياة! هكذا يكون أدب الطبع الذي يهتدي من نفسه بدليل.

حبًّا في الحق والحياة، ودعوة إلى الأخلاق، وجهادا في سبيل الله... بالكلمة. أقاوم القهر.

القهر هو أكبر حروبنا في الحياة. أبحث عن رموز حلف الفضول في هذا العصر، وهو الحلف الذي اجتمعت بنو هاشم وزهرة وتيم يتعاهدون باسم الله المنتقم ليكون مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه، وهو حلف قبل الإسلام شهده رسول الله في شبابه وأحبه وحياه.

الخوف يتملكني فمخاوفنا البسيطة عندما تحيط بنا وتتملكنا تصبح أسوارًا عالية تمنعنا من الحياة. لا بد من وقفة للقضاء على هذا الخوف ولنحطم اسوار



السجن الذي لم يعد فقط بداخلنا ولكن امتد لقيود على حياة عزيزة كريمة. ولكن كيف السبيل والحياة نفسها أصبحت معارك يومية! إن البيئة المحيطة لنا هي مستودع شامل يوجد فيه الحسن والرديء، ويأكل منه كل منا على حسب مآتاه وموارده، وحسب ما هو مستعد وقادر عليه.

مشاعري مضطربة. أتأرجح ما بين الضحك والبكاء، وكلاهما مشاعر جياشة متطابقين لذلك الطفل الذي بداخل كل منا، مشاعر يجمعهما مع بعض كل انسان مهما كان عمره فدائما نجد بداخله عقل وروح الشباب في مقابل قلب وبراءة الأطفال. وكل لحظة سعادة داخلها خط رمادي غريب عن الخوف والقلق. وهذا هو سبب كل أحزاننا!

إن الحزن شيء أساسي في حياتنا، رغم أن الأوامر الربانية تؤكد على النهي عن الحزن.

الحزن هو الشر بعينه. منهي عنه في كل الأديان! لكن لكل شر أثر حسن. فما يبدو أنه شر هو في حقيقته خير. الشر المحض والخير المحض في هذه الدنيا عزيزان أو مستحيلان. وكما يقول الفاروق عمر: ليس العاقل من يعرف الخير من الشر ولكنه يعرف خير الشرين.



ها أنا ذا أنظر إلى المستقبل وليس لي رضا في حاضر عهدي، أضيق بالحاضر، وكل مستقبل لا محل له من حوائج الصدور أن لم يكن موضع رجاء ومرجع ايمان، وغاية سعي يستحق الكفاح.

وفي التاريخ الإنساني كله لم تقم الحركات العظمى جميعا على الماضي الذي لا مستقبل بعده، إنما تقوم الحركات العظمى جميعا على الرجاء في غد محجوب أو على شيء يمكن أن يتحقق في حياة الإنسان، وشيء يبقى أبدًا موضع الرجاء البعيد.

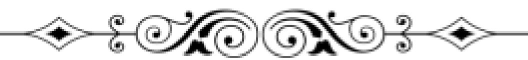
لن تتحرك أمة إلا إذا فتحت أمامها باب المستقبل، ولن تلتفت إلى الماضي إلا إذا كان فيه التقاء بالمستقبل.

لا مستقبل إلا بالأمل. سأذهب إلى المحكمة رجاء أن تحررني من قيودي. لا بد من أن أنفصل من حالة لا تبقى لنتصل بحالة يرجى لها البقاء.

المحاكم تأخذ وقتا طويلا في إرجاع الحق وانفاذ القانون في حين تستعجل أحكام الإدانة والعقوبات.

لا بأس من الصبر! سأخوض التجربة. إن الصبر عز وإن الفشل عجز وإن الصبر مع النصر.

كما أن القوة تأتي على قدر النية، وإن المسلم لا ينبغي له أن يكترث لشيء يقع فيه مع معونة الله.



لم أجد سوى المحكمة مقر القضاة تمثيلا لحلف الفضول الذي اريد أن ألجأ اليه! لعله يرد لعصرنا الحق والأخلاق المنشودان!

اليوم ألجأ لمحكمة الضمير الذي غاب والحق الذي ضل عنا.

إنَّ في حياة الناس لحظات، يتعين فيها على هؤلاء الذين يتّصفون بالحكمة والرؤية الثاقبة، أن ينظروا إلى ما وراء الماضي، بتعقيداته ورواسبه، من أجل انطلاقة نحو آفاق جديدة.

لا بد لمن هو مثلي أن يتغلب على الخوف أن يُخطأ القاضي، أو الحزن أن يحكم لغير ما أظنه حقًا وأن يبخسني حقي. يقولون لي: انها مغامرة! أقول: انها شجاعة. والفرق بين الشجاع والمغامر أن الأول مقدام إذا ما طلب الموقف، والثاني مغامر يبحث عن موقف وفرصة ليجازف.

أنا أقدم نفسي وبنفسي للمحاكمة وأنا أعلم أنه مخاطرة كبيرة. ساءت الدنيا أن كانت نفس الإنسان لا تغنيه في تقويم النفوس، وفي إلا تعجبها البطولة.. أطلب المحاكمة للتأكيد أننا أمام روح عظيم. وأننا جميعا، بني البشر، خطاؤون. إنما هي النفس القوية في دفعاتها وفي ضوابطها على السواء. لا أخشى معتقداتي. أؤمن بالحق وحرماته. عالم أنا يبحث منقطع ومتفرغ للكشف والتنقيب. معنيا بالعمل وليس بالنظر أو الفرض والتقدير. تنتابني فطنة العليم بنقائص الاخلاق وخبايا النفوس. أعرف الشر كما أعرف الخير، لأن الذي لا يعرف الشر أحرى أن يقع فيه. أؤمن بأن



اعقل الناس اعذرهم للناس. أظن أن القسوة والحزم باسم واجب أو في سبيل واجب هي عدل. الغيرة على الحق من طباعي. الغيرة حماسة روح وليست بضراوة وحش. غيرة على شيء نحميه، غيرة من يريد الحماية لغيره، ولا يريد انتزاع الخير لنفسه، أو غلبة انسان على حظه. أنشد الحق والاخلاق! اطلب العدل في كل معانيه وبكل خلق الله.

لقد اقتنعت بعد تفكير طويل، أن أمانة المسؤولية أمام الله، وأمام الوطن، تفرض عليَّ أن أذهب إلى آخِر مكان في العالم ممكن أن يحب أن يضع فيه العاقل نفسه، بل أن أحضر بنفسى واتوجه إلى قفص الاتهام والادانة لمحاكمة الإنسان والزمان، لأخاطب قضاة محكمتكم، ممثلي العدل، بكل الحقائق التي تعتمل نفسي، وأترككم، بعد ذلك، لكي تقرروا لأنفسكم، وبأنفسكم ما تفعلوه بي. وليفعل الله بنا، بعد ذلك، ما يشاء. فالعظائم النفسية في عمومها تنطوي على العلم والمنطق معا، وتأتي الايام بعد ذلك بتفصيل هذا الإجمال وتوضيح هذا الإبهام. وعظمة النفوس مستحقة للإعجاب كما يستحقه جمال الوجوه. ونأمل أن يتكشف كل ذلك المحكمة.

كلنا ينشد العدل. العدل هو القوة التي تخيف الظالمون.

فإلي المحاكمة فليتنافس المنافسون!



الثاني: ما هي المحكمة المناسبة لمحاكمة زماننا:

قصدت الذهاب إلى القضاء العسكري فرفض مثولي أمامه.

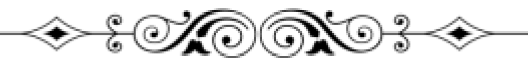
يقولون إن الإنسان صنيعة الحضارة. مدني بطبعه. ولا يخضع لقوانين الجندية! مع أنه الأليق بمحاكمتي لهذا الزمان قضاء المعارك. طال الصبر على الباطل! انه زمن المعركة. لا نأسى على الحق أن تفوته معركة زائلة في صراعه الدائم مع خصمه القديم "الباطل"، فهي معركة لا تضيع بصدمة ولا تؤخذ بهجمة؛ ولا تزال سجالا منظورة العواقب في ساعة النصر وساعة الهزيمة على السواء. القضاء العسكري هو الأنسب دائما للمعارك. يمنع الضرر من أقرب الطرق ويحمي الأغلبية بالحد من حقوق الأقلية.

أؤكد أنه زمن المعركة، وميدانه كل هذا العالم الكبير، المعقَّد بصراعاته الدامية، المضطرب بتناقضاته الحادَّة، المهدَّد بين الحين والحين بالحروب والافات المدمِّرة، تلك التي يصنعها الإنسان، ليقضي بها على أخيه الإنسان. وفي النهاية، وبين أنقاض ما بنَى الإنسان، وبين أشلاء الضحايا من بنِي الإنسان، فلا غالب ولا مغلوب، بل أن المغلوب الحقيقي دائما هو الإنسان، أرقى ما خلقَّه الله. الإنسان الذي خلقه الله، كما يقول غاندي، قدّيس السلام، "لكي يسعى على قَدَميه، يبني الحياة، ويعبد الله".

قلت لهم أريد أن تنظروا في الأمر وقيموني بأخلاق الجندي. فما أنا إلا من شعب مصر الذي هو خير جند الأرض كما قال رسولنا الكريم صلوات الله عليه وسلامه.



سمات الجندي نرها تتمثل كأوضح ما تكون في الشخصية المصرية تلك التي تلبي الضرورة فور الساعة في كل ترتيب، وتمزج الفن بالبديهة، والعلم بالحق. وتتربى على رياضة التقوى. ولا تخلو الشخصية المصرية من العديد من العوامل الإيجابية -وهي عوامل راسخة منذ القدم- من سمة "الجندية"، فالمصري هو عاشق لنظام الجندية – حتى ولو أظهر غير ذلك- وهذا النظام أظهر نجاحه في تحقيق إنجازات على مر عصوره، فبناء الأهرامات لم يكن ليتم سوى على أسس ونظم الجندية، وبقاء مصر طوال عصورها المختلفة اعتمد على جيشها وأدواره المتعددة -ولولا ذلك لإنقرض المصريين مثل غيرهم من الشعوب القديمة. وحتى الآن فإن المشاريع الناجحة والمعمرة في مصر قامت على أيدي "القوات المسلحة". ونظام "الجندية" هو أفضل نظام عمل جماعي بما فيه من تضامن وإنكار للذات وشهامة وحماسة وبث للروح القتالية والطموح والتحدي والايمان بوحدة المصير وعدالة الاجتهاد ونتيجته وضرورة بذل الدم والمال من أجل تحقيق الأهداف، وأسلوب المكافأة والثواب المباشر، وكذلك التخلص الحاسم – والسريع- من العناصر الفاسدة. وتتميز الجندية في مصر بأنها تعالج –وبحسم- المشاكل الأساسية في الشخصية المصرية وعلى رأسها التواني واللامبالاه وعدم الانضباط. ونظام الجندية لا يخص الجيش فقط، فأخلاقياته وانضباط عمله هي قيم يمكن نشرها وتنميتها في كل المؤسسات المدنية والعسكرية. وما دمنا بحاجة لسلوكيات وقيم الجندية وقوانينها، فإننا لا بد أن نسعى لإنشاء ما يسمي "الجيش المدني" الذى ينتمي اليه كل مواطن حريص على أداء واجبه وعمله تجاه وطنه. ونتذكر هنا أن النشأة الأولى للبيروقراطية –وكانت بمصر الفرعونية- كانت بدايتها هي "جيش مدني"، إلا أن



فسادها وتهاونها في إنفاذ القانون جعل منها مؤسسات هشة وأصبحت عبئًا على المجتمع بدلًا من أن تكون عونًا له، وبالتالي لا بد من التأكيد هنا على ارتباط القيم بالسلوكيات، وذلك حتى تنتشر بمؤسسات المجتمع ثمار أخلاق الجندية التي هي أخلاق المؤمن الحق. وما محاولات إنشاء الكوادر المختلفة في صفوف المهن المتعددة وخلق مواثيق عمل لها إلا خطوة ناجحة في تكوين هذا الجيش المدني بكتائبه المختلفة، والأمر الحاسم هنا هو في الجمع الصحيح لهذه الكوادر بانسجام يحقق مصلحة الوطن.

وأنا من "الجندية المدنية" يحكمني أخلاق الجندية الوازعة الحاكمة مع طبيعة الجندي الذي يكون في طاعة المطيعين من سلطة النظام وحكم الشرع وغلبة العادات. فاذا وجبت الطاعة كان أول من يطيع. الطاعة لا تمنع المراجعة والمشاورة. خاصة لتقرير مكان التبعات حين تقسم التبعات.

لا بأس فلتكن محاكمة مدنية!

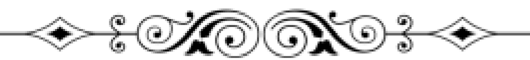
جئت إليكم اليوم على قَدَمَيْن ثابتَتَيْن لكي تحاكموني، وما أنا إلا مثال لإنسان هذا العصر بكل أخطائه ومزاياه، لكي أتبرأ أو أدان. حاكموني بمعايير الإنسان، وأنا الحكيم الاديب المتشوق إلى التجديد والإصلاح وإغاثة المكظوم، الثائر على كل ضيم. طهروني من ذنوبي لنبني معًا حياة جديدة، نعرف فيها الحق من الباطل، فما أنا سوى باحث عن الحق وحرماته، عن الخير ومسؤلياته، لكي نُقِيم السلام فيما بيننا فقد



سأمت القتال اليومي على مقدروات الحياة. وكلنا على أرض الله، نعبد الله، ولا نشرك به أحدا. وتعاليم الله ووصاياه ملخصها حب وصدق وطهارة وسلام. علامة الإيمان-كما يقول الامام علي رضي الله عنه- أن "تؤثر الصدق حيث يضرك، على الكذب حيث ينفعك، وألا يكون في حديثك فضل على علمك، وأن تتقي الله في حديث غيرك". وصدق الصديق حينما بين "أن أصدق الصدق الأمانة وأكذب الكذب الخيانة. وأن خير خصالك أبغضها إليك. وإن الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله. فإذا فاتك خير فأدركه، وإن أدركك فاسبقه".

أنازع قلبي قبل نفسي فيما أصنع! الاضطراب يعمني وهذا برهاني على صحة ما أفعله. فالقلب الذي لا يخاف لا فضل له في الشجاعة، القلب الذي لا يحزن لا فضل له في الصبر، تماما كما أن القلب الذي لا يعرف قيمة المال لا فضل له في الكرم. وانما الفضل في الحزن والغلبة عليه، وفي الخوف والسمو عليه، وفي معرفة المال والإيثار عليه.

كل هذا يؤكد أهمية تلك المحاكمة لنفسي قبل غيري! فاصلاح شؤون النوع الإنساني ضريبة تغني عن ضريبة الذريه في بعض الأحوال. والمزايا الإنسانية واجبات واعباء، وليست بالمتع والأزياء، وعلم الإنسان بالخير والشر يفرض عليه الفرائض التي يبتلى بها، ولا يهنئه بالراحة التي يصبو إليها، وهو محسوب عليه، وكذلك ذكاؤه محسوب عليه.



الثالث: فحوى القضية محل النزاع:

اليوم يوم محاكمة الأخلاق! أنا الدفاع وأنا الاتهام كما قال الأديب الفيلسوف توفيق الحكيم!

هي محاكمة نستخلص عبرتها بالاستفادة من خصائص علم الأخلاق وحقائق الحياة. قضيتي هي تأكيد وإبراز لحق ضائع أو حقيقة مجهولة أو عظمة كلمة أو عبقرية عبادة ما وربما انفعالا بموقف أو حكاية. إنه يوم الكلمة. الكلمة هي بضعة من حياة. مقدسة. ذات ذخيرة إنسانية. فاذا كانت مرتبطة بالإيمان بالفريضة الإلهية تكون ذات ذخيرة سماوية لحياة الخلود.

في حكمكم حياة! واذا حضر الحكم استوجب طلب العدل، أساس الحكم. احذركم من العدل الناقص الذي هو من يعمى عن الطبيعة البشرية ويزهل عن ضعف الإنسان. أخشى عليكم الوقوع في الرحمة الناقصة التي هي التي تجور مع الهوى ولا تدين بالمساواة. أسألكم الله أن تستعينوا بالفطنة الحقة التي هي تخرج من ظلام إلى نور. ابحثوا عن الحق والأخلاق.

الصواب أن ننظر إلى المسألة في أساسها وفي مجملها وهما المقيمان للقياس على أساس قويم. سواء أخذناه بالإحساس والايمان، أو بالتجربة والتفكير. وهكذا تكون وافيت المنطق والعلم. فأخذت في المنطق والعلم بالنتيجة ولم تبال بالمقدمات التي قد



تخدع وتسبب البلبلة. وبهذا فانت في سبيلك اهدي، وانت إلى المنطق والعلم أقرب وتدني.

عرفنا طريق الخير من بداءة الأمر أنه أشق الطريقين، وأن المجد تكليف وجهد، وأن الحق صبر وجهاد.

أسألكم أن تحققوا في قول الفاروق عمر ابن الخطاب: "إذا رايتم أخا لمنزل زلة فسددوه، ووقفوه، وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه".

اطلبوا معي العدل. الحقّ أساس العدل، والعدل يكتمل بالرحمة. من يطلب الحقّ يبادر بالعدل ويُثبِّت بالرحمة حُكمه. الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. من عرف الحق الأكبر، عرف بيع الحياة في سبيل "الحق". وإن مشورة العقل وحدها لتهدي هذه الهداية.

أيها القضاة، للمدعي حق غائب أو بينة ينتهي إليه، فإن أحضر بينته أخذتم له بحقه، وإلا وجهت عليه القضاء. وادرأ بالشبهات. الميزان في الحكم دليل القائل وليس مقال القائل.. القاضي لا يحكم بعلمه وانما بالشهود والأدلة. والقاضي لا ينبغي أن يحكم بغير بينة ظاهرة. هكذا يكون الأمر: في الولاية يتحرى البواطن، وفي القضاء يتحرى الظواهر.



سأعرفكم اولًا بخصومي... هم قوم تجرؤوا على الشر فعلموه، وتناسوا الخير فجهلوه. أغفلوا، ونعوذ بالله من الغفلة، أن صلاح الأمر في ثلاث"أداء الامانة، والأخذ بالقوة، والحكم بما أنزل الله". وصلاح المال في ثلاث "أن يؤخذ من حق، ويعطى في حق، ويمنع من باطل". وأن أولى الناس بالحكم أقدرهم على البر والحزم والنهوض بالأعباء. وأن تملك نفسا تحس بالروح والضمير يملؤها العقيدة. تطلب طهارة السيرة وصلاح الأمور. ومن عرف الحق الأكبر، عرف بيع الحياة في سبيل "الحق". ومشورة العقل وحدها لتهدي هذه الهداية.

أعداء النوع الإنساني حقا كثيرون. هم الحريصون على تصغير كل عظيم فيه، الملوثون لكل صفحة نقية من صفحاته، العاكفون على هدم ما بناه في تاريخه الطويل من قيم الأخلاق، وعقائد الخير والفلاح. الذين يعملون ما لا يعمله إلا عدو مغير على الأرض، يتعقب بقايا أهلها كما يتعقب العدو اللدود جنسا من ألد الأعداء لجنسه، فلا يسره شيء كما يسره أن يرجع إلى ماضيه وحاضره بالتشويه والتخريب، وذم الحميد منه وتسجيل الزميم المعيب بتعليل الأمور بأسوأ العلل، وتفسيرها بأقبح البواعث والاغراض.

إنه الهيام بتحقير كل عظيم واتهام كل ثناء الذي يرجع إلى مسخ في الكيان يسلخ المبتلى به في مسالخ العدو المبين لنوع الإنسان لأنهم فقدوا الثقة بالحياة المثلى. هو بمثابة الانتحار بغير إرادة الانتحار.



لا تتركوني ميتًا معهم! فكما يقول المفكر الراحل جبران خليل جبران: "إن الإنسان لا يموت دفعة واحدة، وانما يموت بطريقة الأجزاء، وكلما غادرنا حبيب مات جزء، وكلما قتل حلم مات جزء، فياتي الموت الأكبر ليجد كل الاجزاء ميته فيحملها ويرحل".

هؤلاء الصنف من الناس يقرنون الثناء والملام حتى يقال عنهم عدول منصفين. ويشفعوا كل فضيلة بنقيصة تعادلها حتى لا يتهموا بمظنة المغالاة والإعجاب المتحيز.

لا حرج أن تزكي عملا كلما رأيته أهلًا للتزكية طالما وجدت عليها حجة ناهضة فيها ولو أخطأ الصواب. لكن قليلون هم من قل أن يجوروا عن القصد وهم عالمين بجورهم!

أنكر خصومي علي، وأنا أحقهم بالقيام على الأمور، حق الطاعة متزرعين بالعرف الذي يرتبط به مصالح السيادة وغباوة الدماء تراث الأجداد والاباء. افتعلوا المواقف والاحداث. وسطروا تاريخا مشوها بألسنتهم وهم كاذبون. ادعو علي التفرقة بلا عدل. الهمة المجهدة لهم وقد خارت عزائمهم. وتحصنوا بظاهر من الافعال الطيبة.

هكذا كانت المؤامرة بين أصحاب الضلالة المختلفين وتعمل فيها الدعاية والاستثارة من جهة، والشعوذة والشغب الأعمى المدبر من جهة اخرى. يجمح الدهماء فيشاغبوا على الاغراض الصغيرة والغرائز الهوجاء والدعاوى الملفقة والصيحات



(الإشاعات) التي تُقبل منهم –للأسف- بغير تمحيص، وتنطلق إلى غير مقصد وعلى غير هداية.

تقدموا بأسباب مزعومة يراد بها غير ظاهرها، أو أسباب صحيحة لم تفعل قوتها إلا لاقترانها بأحوال تلك الفترة ولو جاءت في فترة أخرى لما كان لها ذلك الأثر. في حين كل افعالي كان باعثها الشعور بالمسؤولية. ولا بأس أبدًا أن يراجع المسؤول رأيه فلا يستسلم لأول عارض يمليه عليه طبعه. فأنا من طراز أظنه فريد في زماننا، سري على وفاق مع جهري، باطني مصدق للظاهر مني، لا تناقض في خلائقي. أحرص على الموت لكي توهب لي الحياة كما أوصى الصديق أبو بكر رضى الله عنه. إنه أدب الطبع الذي يهتدي من نفسه بدليل.

ومن هنا اضطراب الوزن. واضطراب السخط والرضا. وقياس الأمور في وقت واحد بمقياسين مختلفين ومتعارضين. وأساس البلاء كله البطر.

يخطئ من يظن أن التاريخ الإنساني هو تاريخ الوقائع والأحداث التي تتشابه في العصور المتطاولة من غير الزمان والمكان كأنها صور متكررة.. فما يجعلها مختلفة اختلافا بعيدا عندما ننفذ من ظاهرها إلى باطنها، من حركاتها المكشوفة إلى القيم النفسية التي تكمن وراءها، والدعاوب التي تدور عليها هو تاريخ القيم والمبادئ. وبالعقائد تتجدد القيم التي تدور عليها الحوادث والخصومات.

الرابع: دفاع الكلمة في محكمة الحياة



نعم الموازين كلها مختلة منقوصة في تقدير الناس حتى لو كانوا قضاة، وفي تقدير الأعمال حتى لو كانت قائمة على بينة ومثبتة بالدليل. دليل تؤيده الوقائع والاعمال، لقد تعلمت كيف أواجه الحياة وأثبت لخطوبها وأنفذ من مشكلاتها. فكما يقولون النجاح برهان الصلاح. ولا سند أوثق ولا شفاعة اكرم من الواقع الصالح في كل مآل. والاستقامة أعظم كرامة. ومع ذلك لا بد من حكم المحكمة كإثبات!

كيف هذا! وهي استقامة قدرة وليست باستقامة عجز، استقامة تصرف سريع وليست باستقامة محجور مقيد. استقامة حياة غلابة، وليست باستقامة أداة، كالموازين، فهي تميز الذهب عن التراب. لا محيص إذن من مجاراة الطبيعية في مجاريها التي لا تشق عليها، وأن أذهب للمحكمة وأواجه القهر وأخضع للعدل الناقص اتقاءً للبلاء.

البلاء كله في خبث الناس وشدة خلافهم، وفي سر لا يكتم، وانتظار مفاجأة الأمر قبل المبادرة بذلك، والخضوع لحكم الضرورة الحازبة، وقد بطل الجدل وبطل من قبله التدبير. إنه حكم الموقف الذي لا محيد عنه حتى لو بخسني. لا بأس حينها أن أكون من الشهداء. آية الشهداء أنهم يبخسون حقهم في الحياة، ثم يُعطون فوق حقوقهم بعد الممات. فالشهيد آيته أن يخفق حيث يعيبه أن ينجح. ولا ننسى أبدًا أن العصمة لله وحده.

ليس من الجائز أن يخدعنا من يصدق ويبر ويؤدي الأمانة ويستقيم على سواء الطريق في فعاله وخياله. ما قدموه من أسباب تثبت لي، أنا الأخلاق، الفضائل والمواهب ولا تنفيها. ما كنت إلا كالقائد الموفق يلمح الفروق بالفطنة والنشاط والجلد والشجاعة واليقظة وحضور البديهة وسرعة الملاحظة وقوة التأثير، فيعمد إلى العمل اللازم في الوقت اللازم بالقدر اللازم، فلا ينقص أو يزيد، ولا يتقدم أو يتأخر، ولا يوحد العمل مع وفرة الفروق، ويعلم أن الخبر والمعلومة قوة وسلاح.

واجهني خصومي بالدفعة الحيوانية التي لها أبدًا الوثبة العاجلة الأولى مع الكثرة والراحة. ظنوا ضعفي لكثرة السماحة في امري. في حين أن السماحة قوة لا يضطلع بها ضعف ضعيف. انما يرحم الله من عباده الرحماء.. صدقت يا أيها الفاروق!

نعم إنما الثبات للعقيدة التي يلوذ بها الإنسان بعد المراجعة، وللضمير الذي يثوب إليه المرء يعد الامتحان، فهي لهذا تنفع صاحبها في المحنة وبعد تبين الشدة. وتستعيد قوى النفس وتستخرج ذخيرتها من اعماقها.

إن من التقصير في حق النفس الإفراط في المسالمة، واغتفار ما لا يغتفر من العدوان عليها، والتحرج من البطش بمساعير الفتنة.. شكوني في كل مكان وشوهوا صورتي بقدر الإمكان!

من محنة الزمن أن نلام على النقيضين: على الرأفة بالشاكين، وعلى اغضابهم وعدم اجابتهم إلى ما سألوه. مع أن اليقين أن الرضا من أمثال ذلك مطمع لا يرام؛ لأن



أساس البلاء كله سهولة الشكوى من الدهماء، ومتى سهلت الشكوى فالاعراض عنها محنة واستجابتهما محنتان، لأنها تغرى بالشكوى من جديد وتزيد البلاء بزيادة السهولة طمعا في دوام الاصغاء.

واجهتهم بشجاعة. الشجاع الحق مطبوع على الآنفة من الظلم، لانه شديد الاحساس بعزة العدل وبذل الظلم.

التحدى الأكبر الذي يثير الشجاعة ويثير النقمة على الظلم أو يثير حب العدل هو استطالة الظلم. وان الموت لأهون من الصبر على هذا التحدي المرذول.

وما الشجاعة أن لم تكن جرأة على الموت كلما وجب الاجتراء عليه.

أنا هو الشجاع الذي يعلم أن الحق بين يديه.

عابوا علي مبادراتي! وهي وليد ذكاء الباحثين المنقيين لا ذكاء الساسة المتغلبين. الذكاء الذي تحسه في الفكرة والخاطرة قبل أن تحسه في نتيجة العمل ومجرى الأمور. ومع ذلك لم أعدم المشاورة معهم. وإن المشاورة لفن عسير. وان الذي ينتفع بمشورة غيره لايقل قدر ممن يشير عليه. فالانتفاع بأهل الحدة والنشاط من الشباب واجب كما هو لأهل الحنكة والخبرة. إنها شورى الرأي الأصيل.

لم يخف على أي ممن يحيطوني مما أنا فيه، إنها العبقرية! هي التفرد والسبق والابتكار. صاحبها يعرف بالفراسة والخبرة وبالعلم أو مشاهدات العلماء، من معدن



غير معدن السواد.. موثق بكل دليل تؤيده الوقائع والأعمال. وصدق من قال أن المعهود من اخلاق الإنسان ليس هو الإنسان كله. والخلق المعهود قد يفسر على وجه كثيرة.

ولكن هل يتركوني! وهل لي من الخطورة حتى يعزلوني! لن يهلك الإنسان إلا إسرافه على نفسه بالشك والارتياب. ما أنا إلا مولى ولست بوالٍ! ربما كان الوالي المقتدر المحبوب أخطر على الدولة الناشئة في تأسيسها من الوالي العاجز البغيض إذا لم يتعهده نظر ثاقب وحساب عسير.

أما إذا كنت أخطأت، فالخطأ لا يغالى بالمؤاخذه ويتم التعذير فيه بفداحة الجرم أو المعاناة، وقبول شفاعة طول الندم. أما أنا فلم يواجهني احد بخطأ أو فعل منكر؟

سأعتزل ولكن لا تعزلوني! من الفراسة أنه من لم ينفعه ظنه لم تنفعه عينه. أظن أنها النهاية!

ولكني أريدها بعزة!

إن الحق فوق كل قدر، فيُقدم من يقدمه عمله ويُؤخر من يؤخره عمله، ولا عليه من غضب الغاضبين ولوم اللائمين.

والعظماء بحاجة إلى رد اعتبار وهو ما يأتي من التوقير. ثروات النفوس تصدق أن ذُكرت بما تملك.. وهذا هو التوقير ووقار العظمة. ولكل إمرئ من نفسه ما تعود.



وختاما أقول: المحكمة من مشتقات الحكمة! ومن الحكمة فروع الفقه الذي يراد به الفكر المحض والدراسة الخالصة بحثا عن الحقيقة العلمية أو الحقيقة الفلسفية. إن كلي رجاء الإيمان لا رجاء العيان أن تحكموا بحكمة! والحكمة ضالة المؤمن. ولندعو معًا: "اللهم آتنا الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي فضلا كثيرا". ولا أصدق من الانضمام إلى دعوة صادقة من رجل عبقري كرئيسنا الراحل محمد أنور السادات عندما طالب بإنهاء زمن المعركة. فإن كان يقصد المعركة الحربية فإننا هنا نقصد معركة الحياة في عصر عز عليه أن يعيش في هناء دعاة الأخلاق والعلماء الباحثين عن العمل الصادق. فيا كل رجل وامرأة وطفل: شجعوا قيادتكم على نضال السلام، ولتتجه الجهود إلى بناء صرْح شامخ للسلام بمكارم الاخلاق واستقامة الايمان، بدلًا من بناء القصور الفخمة والقلاع والمخابئ المحصنة بصواريخ الدمار. قدّموا للعالم صورة إنسان السلام في كل موقع ومكان. بشّروا أبناءكم، إن ما مضى هو آخر الحروب ونهاية الآلام، وأن ما هو قادم هو البداية الجديدة، للحياة الجديدة، حياة الحب والخير والحرية والسلام. املأوا الأرض والفضاء بتراتيل السلام. املأوا الصدور والقلوب بآمال السلام. اجعلوا الأنشودة حقيقة تعيش وتثمر. اجعلوا الأمل دستور عمل ونضال. وإرادة الشعوب هو من إرادة الله.

الخامس: حُكم الحياة:

هل علمت أن كل أمور دنيانا هي في حقيتها انتظار للنطق بالحكم في قضايا الحياة.. النطق بالحكم هو نهاية كل محاكمة، ومن شروطه الواجبة أن يكون في جلسة



علنية. هكذا نصت جميع الدساتير والقوانين في كل زمان، حتى لو كانت جلسات المحاكمة سرية. لكن هل تنتهي المعركة بانتهاء المحاكمة والنطق بالحكم؟!إن معركتنا معركة الحياة الانسانية والمجتمعات المتحضرة جميعها. محاربة مجتمع الظلام النمطي الذي يحول دون العبقرية والريادة. سلاحي الفكر والعلم والعمل! تسألوني عن نواياي؟!من قيمكم مراقبين على حرية الفكر والابداع. لا وجود لصاحب كلمة يتمتع بالحرية الكاملة في أي مكان أو زمان في هذا العالم. أن تطور الفكرة ونماءها هو عين الحياة، هو منبع كل تقدم وتحرك وانطلاق أخلاقي.

إلى متى انتظار الحكم؟ وماذا افعل فترة الانتظار؟ اعتزل الحياة! ماذا أنتظر؟! أنتظر قسوة الزمان وجور المكان؟! إلى أن يأتيني الممات! الراحة والسعادة الأبدية حيث العدل المستدام. لننتهز الفرصة متى هيئت لنا، ولنحيا عيشة ناعمة بائسة وسعيدة شقية حتى يكون لنا حُكما جديد.

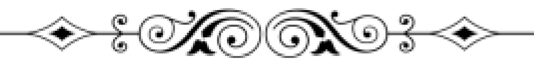
من المهم أن يضع الإنسان نفسه قدوة حسنة لمن حوله. فكيف ننتظر؟! كيف لنا بالصبر؟ أمام كافة الأمور جلها وصغارها يكون الصبر من اعظم الطاعات! صبرٌ على أقدار الله المؤلمة. هكذا الإنسان إما أن يكون مخالطا للناس فعليه أن يصبر على إيذائهم. وإما أن يكون مجانبا لهم، فعليه أن يهجرهم هجرا جميلا. بأن يجانبهم بقلبه وهواه، ويخالفهم في أفعالهم. فلا نقول إلا كل جميل، فالله نعم الوكيل، وأفضل طاعاتنا هنا هي الصبر الجميل؛ وهو قمة الإيمان لأنه صبر المتيقن من حسن تدابير الله، المتوكل المفوض الراضي للخالق العليم، هو صبر من دون قلق.



هل سيكون الحكم بموتي وسجن كلمتي بين محابس الخوف والصمت والنسيان أم بصدق الحياة؟ هل ستقيمون لي حفل تأبين بعد مماتي!لا أريد منكم تأبينا في مماتي، يكفيني النكران والتأبين الذي لقيته منكم في كل يوم من أيام حياتي.

المحكمة حكمت. ولم أفهم هل برأتني أم نالت مني؟ يقيني لا ينقطع. سبق القضاء بأحداث لا بد أن تقع، وجرى القدر بأمور لا بد من أن تكون. فازت الإنسانية في كل الاحوال! وفرضت علي الاستمرار في الحياة. لكن أي حياة؟ والاستمرار في ماذا؟ وأين هي من قول أمير الشعراء: قف دون رأيك في الحياة مجاهدا أن الحياة عقيدة وجهاد. هو اذن النضال والكفاح ولا مجال لأن اسكن وأهدأ جبرا كما يظنون؟! هل هو نصر ام هزيمة؟!

للنصر في الحياة قواعده وشروطه. وأول قواعد النصر: أن النصر من عند الله، وحينما يتوهم البعض أن النصر من عند احد من خلق الله أو عبيده فقد وقعوا في وهمٍ كبير! ولهذا وجب أن نتوقف عن قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ إلا أن نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ(214)﴾. فهكذا كل من قام بالحق فإنه يمتحن. فكلما اشتدت عليه وصعبت، إذا صابر وثابر على ما هو عليه انقلبت المحنة في حقه منحة، والمشقات راحات، وأعقبه ذلك، الانتصار وشفاء ما في قلبه من الداء، وهذه الآية نظير قوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}. وهكذا فثاني شروط



ومسببات النصر: الصبر والثبات. ومن الحكم المشهورة: "من صبر ظفر فاصبر تظفر"، و"إنما النصر صبر ساعة". ويقول تعالى في سورة الروم: "لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون"، ويعد الصابرين بالنصر"فاصبر، إنَّ وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون". وتكتمل قواعد النصر باكتمال الإيمان بوحدوية وعظمة وقدرة وقدر الخالق. فالإيمان العامل المؤثر الاساسي في النصر. قال تعالى: "وكفى بربك هاديا ونصيرا". والتوكّل الكامل على الله تعالى يجعل الإنسان في غنًى عن سواه. وبكلمة عامّةٍ التوكّل على الله يرفع منسوب الثقة ويشدّ العزيمة فمن يرَ الله ظهيرًا له ومعتمدًا، يكنْ أقدر على اتّخاذ المواقف الحاسمة في الأوقات الصعبة. ومن المعلوم أن كثيرًا من اسباب الفشل في الحياة سببها الضعف في اتّخاذ القرار في الوقت المناسب، وكثيرًا من الانتصارات سببها ارتفاع منسوب الثقة بالمستند والمعتمد.

هو النصر إذن لا محالة! وكيف لا يكون وقد قصدناه بالعمل الصالح. فالنصر لا يجوز طلبه في الخيانة أو الفجور والايذاء والمعاصي. يقول ربنا النصير سبحانه وتعالى: "إن الله يدافع عن الذين آمنوا، إن الله لا يحب كل خوان كفور"، ويؤكد: "ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز".

تغمرني السكينة وهي منبع كل نصر، فالسكينة هي من المدد الالهي ومن مسببات النصر الروحية الأساسية. وفي طلبها آمان النفوس: "ربي اني مغلوب



فانتصر"،"ربي انصرني بما كذبون". "وينصرك الله نصرا عزيزا"، "وما ذلك على الله بعزيز". وكل ذلك يؤكد أن طلب النصرة من الله هو طلب مقرون بالعزة!

فالمدد الإلهيّ والعون إذا كان من الله تعالى، بشكلٍ غيبيّ أو بواسطة ماديّة طبيعيّة، فإنّه سوف يحقّق أهدافه عادةً إذا لم يضيّع الإنسان هذا العون ويفرّط فيه. وحُسْنَ الظنِّ بالله وفي نصره وعزته قمة الإيمان. لكن أين العزة فيما آلت إليه الأمور؟ كنا أعزاء فأرادوا بنا كيدا. فأين نحن الآن!؟

آفة عالمنا النسيان. لا بد من استئناف ومحاكمة على كل فترة من الزمان! وباختلاف المكان!

نعم انتهت المحكمة ولكن لم تنتهِ الحياة أو آتون معاركها! سندخل في محاكمات جديدة ومتواصلة. السعادة في الطموح المستمر والجهاد المتصل، لا في بلوغ الغاية والانتهاء إلى الأمد.

لن أتوقف إلى أن يكون عالمنا وزماننا يماثلنا في أخلاقنا المأمولة وليست الملموسة، يعبر عن ايماننا وأحلامنا ورجاءاتنا. هكذا تكون هويتنا انعكاس لما نعيشه في حياتنا تلك. هكذا يكون الأمل في حياة افضل برجاء الإيمان لا رجاء العيان!



المحتويات